

الجزو الاول من كتاب تجارب الامم وعواقب الهمم



جمع الاستاد ابي علي احمد بن محمد
ابن يعقوب مسكويه
عفا الله عنه
ونور ضريحه

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان
ابن السلطان السلطان الغازي محمود خان وقفا صحيحا شرعيا
لمن طالع واستفاد وتذكر [illegible]
حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
غفر لهما



الحمد لله حق حمده

وقف وحبس وسبل المقر الاشرف العالي [illegible] محمود استادار العالية الملكي الظاهري [illegible]
[illegible] جميع هذا المجلد وما بعده من المجلدات من كتاب تجارب الامم وعواقب الهمم للاستاذ ابي علي بن
مسكويه وعدة ذلك ست مجلدات وقفا شرعيا على طلبة العلم الشريف ينتفعون به على الوجه الشرعي وجعل مقره
بالخزانة السعيدة المرصدة لذلك بمدرسته التي انشاها بخط [illegible] الاعظم [illegible]
المحروسة وشرط الواقف [illegible] ان لا يخرج ذلك ولا شيئا منه من المدرسة المذكورة [illegible]
وجعل النظر في ذلك لنفسه ايام حياته ثم من بعده [illegible] الناظر على المدرسة المذكورة على
وقفها [illegible]
المدرسة المذكورة [illegible] فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه [illegible]

[illegible]

الجزو الاول من تجريد الاغاني
من ذكر المثالث والمثاني
الفه برسم مولانا السلطان العالم العادل
المؤيد المظفر الملك المنصور ناصر الدين ابي المعالي
محمد بن مولانا السلطان الملك المظفر تقي الدين
ابي الفتح محمود بن مولانا السلطان الملك المنصور
[illegible] محمد بن مولانا السلطان الملك المظفر
تقي الدين ابي الفتح عمر بن شاهنشاه بن
ايوب خلد الله سلطانه [illegible]
[illegible]
وكتبه [illegible] برسم خزانة مولانا
السلطان [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العلمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد النبي
وآله اجمعين

قد انعم الله علينا معاشر خدم مولانا الملك
السيد الاجل ولي النعم اطال الله بقاه وكبت اعداه
وحرس ملكه واعز سلطانه لما اخرجنا في زمانه وانشانا
في ايامه وبوانا ظله وانزلنا كنفه وجعلنا من خاص خدمه
فنحن نتقلب من نعمه فيما لا نشكر له غير الدعا ولا ثمن له
غير الثنا فنسل الله باخلص نية واصدق طوية ادامة
ايامه والامتاع بما خولناه من انعامه انه جواد كريم
واني لما تصفحت اخبار الامم وسير الملوك وقرات اخبار
البلدان وكتب التواريخ وجدت فيها ما تستفاد منه

تجربه في امور لا تزال يتكرر مثلها وينتظر حدوث
شبهها وشكلها كذكر مبادي الدول ونشو الممالك
وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك وتلافي من تلافاه
وتداركه الى ان عاد الى احسن حال واغفال من
اغفله واطرحه الى ان تادى الى الاضمحلال والزوال
وذكر ما يتصل بذلك من السياسات في عمارة البلدان
وجمع كلم الرعية واصلاح نيات الجند وحيل الحروب
ومكايد الرجال وما تم منها على العدو وما رجع على
صاحبه وذكر الاسباب التي تقدم بها قوم عند
السلطان والاحوال التي تاخر لها آخرون ومنها ما كان محمود
الاوائل مذموم العواقب وما كان بضد ذلك وما
استمر اوله وآخره على سنن واحد وذكر سياسات
استمر اوله واخره

الوزرا واصحاب الجيوش ومن اسند اليه حرب وسياسة
او تدبير او ايالة فوفق بذلك وبما تأتى له او كان بخلاف ذلك
ورايت هذا الضرب من الاحداث اذا عرف له مثال
مما تقدم وتجربة لمن سلف فاتخذ اماما يقتدى به
وحذر مما ابتلى به قوم وتمسك بما سعد به قوم
فان امور الدنيا متشابهة واحوالها متناسبة وصار جميع
ما يحفظه الانسان من هذا الضرب كانه تجارب له وقد دفع
اليها واحتنك بها وكانه قد عاش ذلك الزمان كله وباشر
تلك الاحوال بنفسه واستقبل اموره استقبال الخبير
وعرفها قبل وقوعها فجعلها نصب عينه وقابلها بالحيطة
فاعد لها اقرانها وقابلها باشكالها وشتان بين من كان بهذه
الصورة وبين من كان غرا غمرا لا يتبين الامر الا

بعد وقوعه ولا يلاحظه الا بعين الغريب منه المتحيرة كل
خطب يستقبله ويدهشه كل امر يتجدد له ::

ووجدت هذا النمط من الاخبار مغمورا بالاخبار التى
تجرى مجرى الاسمار والخرافات التى لا فايدة فيها غير
استجلاب النوم بها والاستمتاع بانس المستطرف منها حتى
ضاع بينها وتبدد فى اثنايها فبطل الانتفاع به ولم يتصل للسامع
وقايعه اتصالا لا يرتبط بعضه ببعض بل تنسى النكتة منها قبل ان
تجى اختها وتنفلت من الذهن قبل ان تتقيدها نظايرها
ويشتغل الفكر بسياقة خبرها دون تحصيل فايدتها
فلذلك جمعت هذا الكتاب وسميته تجارب الامم واكثر
الناس انتفاعا به واكبرهم حظا منه اوفرهم قسطا من الدنيا
كالوزرا واصحاب الجيوش وسواس المدن ومدبرى امر

تم كتاب

العامة والخاصة ثم ساير طبقات الناس واقل الناس حظا
لا يخلوا ان ينتفع به في سياسة المنزل وعشرة الصديق
ومداخلة الغريب ولا يعدم مع ذلك انس السمر الذي يوجد
في القسم الاخر الذي اطرحناه وبعد فلو كان الخادم لا يتقرب
الا بما يعز وجوده عند سلطانه ولا يتلطف في الخدمة الا بما
لا يجد مثله لانقطعت اسباب الهدايا والتحف وارتفعت
الملاطفات بالاداب والطرف ولا سيما عند من كان في
علو الهمة وتوقد القريحة وحفظ الاداب وسياسة
الملك والرغبة في الخير على ما عليه الملك السيد
ادام الله سلطانه :. وانا مبتدئ بذكر الله ومشيته
بما نقل الينا من اخبار بعد الطوفان لقلة الثقة بما كان منها
قبله ولان ما نقل ايضا لا يفيد شيا مما عزمنا على ذكره

وضمناه شرطنا في صدر الكتاب :. ولهذا السبب بعينه
لم نتعرض لذكر معجزات الانبيا صلوات الله عليهم وما تم لهم من
السياسات بها لان اهل زماننا لا يستفيدون منها تجربة
فيما يستقبلونه من امورهم اللهم الا ما كان منها تدبيرا بشريا
لا يقترن بالاعجاز :. وقد ذكرنا اشيا مما جرى على الاتفاق
والبخت وان لم يكن فيها تجربة ولا يقصد بارادة وانما فعلنا
ذلك لتكون هي وامثالها في حساب الانسان وفي خلده
ووهمه لئلا يسقط من ديوان الحوادث عنده وما ينتظر
وقوع مثله وان لم يستطع تحرزا من مكروهه الا
بالاستعانة بالله ولا توقعا لمحبوبه الا مسالة التوفيق
وهو عند الله خير موفق ومعين
فاول من حفظ اسمه وسيرته من الملوك اوشهنج

واياذ ذكره والملوك بعده على توالي ونسق فان كان لواحد
منهم سيرة محمودة او تدبير مرضي ذكرته وذكرت سائر ما
ضمنته في صدر الكتاب ومن لم احفظ له سيرة ذكرت
اسمه فقط ليكون نظام التاريخ محفوظا : فاقول
ان اوشهنج هذا هو الذي خلف جده جيومرث وجمع
الاقاليم السبعة ورتب الملك ونظم الاعمال ولقب
بفيشداد وتفسيره بالعربية اول سيرة العدل
ويقال انه كان بعد الطوفان بمائتي سنة وهو اول من
عرف قطع الشجر وبنى به واستخرج المعادن وبنى مدينتي بابل
والسوس وكان فاضلا سائسا محمودا ونزل الهند ثم تنقل
في البلاد وعقد التاج وجلس على السرير : وكان من
حسن سياسته ان نفى اهل الفساد والدعارة من البلدان

الى البراري والآجام والى رؤوس الجبال وجزائر البحار وطهر
منهم الممالك واستخدم من كان يستصلحه منهم وسماهم الشياطين
والعفاريت وقرب اهل الصلاح واحسن رعاية الامور الى
ان انتهى ملكه الى طهومرث بعده : طهومرث
وهو من ولد اوشهنج وبينهما عدة آباء وسلك سيرة جده
وتنقل في البلدان وبنى الموضع الذي جدده بعد ذلك سابور
من فارس ونزله وطلب الدعار ونفى الشياطين اعني
الاشرار وهو اول من كتب بالفارسية وسلك سبيل جده
فاستمر نظام الملك على حال واحدة من عموم الصلاح
والاستفاضة احوال الجند والرعية الى ان ملك بعده
جمشيد وهو اخو طهومرث وتفسير شيد
الشعاع لانه كان وضيا جميلا وملك الاقاليم وسلك

السيره المتقدمه وزاد عليها بان صنف الناس وطبقهم
ورتب منازل الكتاب وامر ان يلزم كل احد طبقته
وعمل اربعة خواتيم خاتما للحروب والشرط وكتب عليه
الاناه : وخاتما للخراج وجباية الاموال وكتب عليه
العماره : وخاتما للبريد وكتب عليه الوحا : وخاتما
للمظالم وكتب عليه العدل : فبقيت هذه الرسوم
في ملوك الفرس الى ان جا الاسلام : والزم من غلبه من
اهل الفساد والشياطين الاعمال الصعبه واذلهم بقطع
الحجاره والصخور من الجبال وعمل الكلس والجص والبنا
والطين وعمل المعادن وغير ذلك من الامور الصعبه فحسنت
سيرته وخافه اهل العبث والفساد بما الزمهم من الاعمال الشاقه
واحدث النوروز وجعله عيدا وامر الناس بالتنعم فيه :

ثم انه بعد ذلك بدل سيرته فكان من نتيجه فعله وسو عاقبته
ان دخل الوهن في الممالك وتجاسر اهل الفساد عليه فما خلي من
تبديل سيرته اظهار الكبر والجبرية على وزرايه وكتابه وقواده واساوره
التخلي والاغرام باللذات وترك مراعاه كثير من السياسات
التي كان يتولاها بنفسه فاحس بذلك بيوراسب وهو الذي تسميه
العرب الضحاك وعلم استيحاش الناس منه وتنكر خواص اصحابه
له فدس اليه رجاله من استصلحه لنفسه ودبر عليه حتى قوي
ثم قصده فهرب منه جم وشيعته حتى ظفر به فنكل به واشره بمنشار
وقد كان جم ينتقل في البلدان قبل ذلك الى ان جرى عليه ما
جرى : وكان الضحاك هذا على ما زعم الفرس من ولد
جيومرث وبينه وبين جيومرث من الابا تاج واليه تنتسب
العرب فيقال لهم تاجي وهم يلقبون بيوراسب بالازدهاق

وقوم منهم يزعمون أن جمشيد زوّج أخته من بعض أشراف
أهل بيته وملّكه اليمن فولدت له الضحاك   وأما العرب
فيسمّون الضحاك على هذه النسبة وزعم قوم أنه نمرود وزعم
آخرون أن نمرود كان عاملاً من قبله على كثير من أعماله ولا
ينبغي أن نذكر من أمره فيما قصدنا له أكثر من هذا لئلا
ننقطع عن غرضنا:

بيوراسب

ولما ملك بيوراسب ظهر منه خبث شديد وفجور كثير وملك
الأرض كلها فسار فيها بالجور والعسف وبسط يده بالقتل
والضرب والصلب ليهابه الناس وليمحو عن صدور الناس
سياسة من تقدّمه وذكرهم وسنّتهم فسنّ العشور
واتخذ المغنين والملهين وكان على منكبيه سلعتان يحركهما
إذا شاء كما يحرك يديه فادّعى أنهما حيّتان تهويلاً على
ضعفاء الناس وأغبيائهم وكان يسترهما بثيابه فلما طالت
أيامه وعمّ الناس جوره

كان من سوء عاقبة ذلك

أن ظهر بأصبهان رجل يقال له كابي من أبناء العامة وكان الضحاك
قتل له ابنين فلما بلغ الجزع من كابي هذا على ولديه ما بلغ أخذ
عصاً فعلّق بأطرافها جراباً ويقال إنه كان حدّاداً وأن الذي
علّقه نطع كان يتوقّى به من النار فجعله علماً ودعا الناس إلى
مجاهدة بيوراسب فأجابه خلق كثير لما كانوا فيه من البلاء
وفنون الجور فاستفحل أمره وقوي وتفاءل الفرس بذلك العلم
وعظّموا العره وزادوا ورصّعوه بعد ذلك بالجواهر
حتى جعلته ملوك العجم علمهم الأكبر الذي يتبرّكون به وسمّوه
درفش كابيان وكانوا لا ينشرونه إلا في الأمور العظام
ولما استعلى كابي الأصبهاني وأشرف على بيوراسب هرب

عن منازله واجتمع اشراف الناس على كاى وناظروه في
الملك فقال لهم كاى انه لا يتعرض للملك لانه ليس من اهله
وامرهم ان يملّكوا بعض ولد جم وكان افريذون بن اثفيان مستخفيا
من الضحاك في بعض النواحي فوافى هو ومن معه الى كاى فاستبشر
الناس به لانه كان مرشحا للملك فصار كاى احد اعوان افريدون
حتى احتوى على منازل بيوراسب وحتى تبعه واسره بدنباوند
فقتله ولم نسمع امور الضحاك بشئ يستحسن ولا نقل من اخباره
ما يكتب غير شئ واحد وهو ان بليته لما اشتدت وطالت ايامه
وتراسل وجوه الناس في امره واجمعوا على المصير اليه من البلدان
وافى بابه العظما والوجوه من النواحي والاقطار وتناظروا
في الدخول عليه والتأني له واستعطافه واجمعوا على تقدم
كاى الاصبهانى وذلك لما اراد من تحرقه على ولده

وجرأته على الكلام فلما اجتمعوا ببابه اعلم بمكانهم فاذن لهم
فدخلوا يقدمهم كاى فمثل بين يديه وامسك عن السلام
ثم قال اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها ام سلام
من يملك هذا الاقليم فقال بل سلم سلام من يملك الاقاليم
كلها فاني رب الارض فقال له كاى فان كنت مالك الاقاليم
كلها فما بالك خصصتنا بتحامل مؤنتك واساءتك ناحيه كذا
وهلا قسمت امر كذا بين الاقاليم ثم عدد اشيا وجرد له الصدق
حتى انخزل له الضحاك واقر ووعد الناس بما يحبون وامرهم
بالانصراف ليستعدوا ثم يعودوا اليه ليقضي حاجاتهم
وكانت له ام فاحشه بذيه جباره وكانت تسمع كلامهم لما دخلوا
عليه فاغتاظت منهم وانكرت اقراره للقوم وكلمت بيوراسب
منكرة عليه وقالت هلا دمرت عليهم وامرت بهم فقال لها

الضحاك على عتوه انك لم تفكرى فى امر الا وقد سبقت اليه
ان القوم بدهوى بالحق فلما هممت بالسطوه بهم وقف
الحق بينى وبينهم واعترض كالجبل فحال بينى وبين ما اردت
فهذا اما استحسن من فعل الضحاك وقوله ولا يعرف
له شى مستحسن غيره :: ثم ملك افريدون
وهو من ولد جم ويقال انه كان التاسع من ولده فرد مظالم
الناس وامر بالانصاف والاحسان ونظر الى ما غصب عليه
الضحاك من الارضين وغيرها فردها كلها على اهلها
الا ما لم تجد له اهلا فانه وقفه على المساكين ومصالح
العامة وكان موثرا للعلم واهله وكان صاحب طب
ونجوم وفلسفة وكان له ثلثة اولاد سرم
وطوج وايرج فخشى الا يتفقوا بعده وان يبغى بعضهم

على بعض فظن انه اذا قسم الملك بينهم اثلاثا فى حياته
بقى الامر بعده على انتظام وصلاح فجعل الروم
وناحية المغرب لسرم والترك والصين لطوج
والعراق والهند لايرج وهو صاحب التاج والسرير
فلما مات افريدون وثب طوج وسرم بايرج فقتلاه
وملكا الارض بينهما وافريدون اول من تسمى بكى وكان
يقال له كى افريدون وهى كلمة تعنى التنزيه اى روحانى
اى هو منزه متصل بالروحانية وكان جسيما وسيما حسن
البهاء مجربا عظيم القوة :: ويقال ان بيوراسب
قال له لما ظفر به لا تقتلنى بجدك جم فقال له افريدون
منكرا لقوله لقد سمت بك نفسك وهمتك وعظمت
فى نفسك حين حدثتها بهذا جدى كان اعظم

قدراً من ان يكون مثلك كفواً له في القود ولكني اقتلك
بثور كان في دار جدتي وافريدون اول من عرف
ذلل الفيلة وقاتل بها الاعداء ثم قسم الارض كما ذكرنا
بين اولاده ولاجل ما صار بين اولاده من العداوة بقيت
الذحول بين الترك وملوك ايرانشهر والروم وطلب
بعضهم بعضاً بالدماء والتراث وكان ابرهيم النبي صلى الله عليه
في ايام الضحاك ولذلك زعم قوم انه نمرود وان نمرود
عامل من عماله ولم ينقل من اخباره عليه السلم شي من
النمط الذي هممنا بايراده في هذا الكتاب الا اشياء حكاها
ماني وهي بعيدة من الحق فلذلك لم اوردها ولم اتعرض
لذكرها وكان من سوء عاقبة وثوب طوج وسرم بايرج
وقتلهما اباه ان نشأ ابن لايرج بن افريدون يقال له منوشهر.

حقد على طوج فدبر عليه الى ان قاومه وتغلب على
ملك ابيه ايرج ثم نشأ ولد لطوج التركي فنفى منوشهر
عن بلاده وكانت بينهما حروب لم ينقل منها شي يستفاد
منه تجربة ثم اديل منه منوشهر فنفاه عن بلاده وعاد
الى ملكه وكان منوشهر موصوفاً بالعدل والاحسان
وهو اول من عرف خندق الخنادق وجمع آلة الحروب
واول من وضع الدهقنة فجعل لكل قرية دهقاناً
وجعل اهلها عبيداً وخولاً والبسهم لباس المذلة وامرهم
بطاعته ولما قوي سار نحو الترك وطلب دم جده
ايرج بن افريدون فقتل طوج بن افريدون واخاه سرماً
وادرك ثاره وانصرف ثم نشأ فراسياب بن ترك
الذي ينسب اليه الترك من ولد طوج بن افريدون فحارب

منوشهر وحاصره بطبرستان ثم ان منوشهر وفراسياب
اصطلحا وضربا بينهما حدا لا يجاوزه واحد منهما وهو نهر
بلخ والفرس تحكي في ذلك حكايات لا فايدة في ايرادها فانقطعت
الحرب بين فراسياب ومنوشهر فيما حكي ونقل من تمام امر منوشهر
انه لما مضى من ملكه نحو ثلثين سنة تناولت الاتراك اطراف
اعماله فجمع قومه ووبخهم ثم خطب عليهم وهذه اول
خطبة عرفناها ونقلت الينا قال ايها الناس
انكم لم تلدوا الناس كلهم وانما الناس ناس ما حفظوا انفسهم
ودفعوا العدو عنهم وقد نالت الترك منكم ومن اطرافكم
وليس ذلك الا من ترككم جهاد عدوكم وقلة المبالاة
وان الله تعالى اعطانا هذا الملك ليبلونا انشكر
فيزيدنا ام نكفر فيعاقبنا ونحن اهل بيت خير ومعدن

الملك فاذا كان غدا فاحضروا فاعتذر الناس واعدوه
الحضور فلما كان من غد ارسل الى اهل بيت المملكة واشرافهم
والى الاساورة وكبارهم فدعاهم واذن للروسا من الناس
ودعا موبذان موبذ واقعده على كرسي مقابل سريره ثم قام
على سريره خطيبا فقام اشراف الناس واهل بيت المملكة
والاساورة فقال اجلسوا فاني انما قمت لاسمعكم فجلسوا
فقال ايها الناس انما الخلق للخالق والشكر للمنعم والتسليم
للقادر ولا بد مما هو كائن وانه لا اضعف من مخلوق
طالبا كان او مطلوبا ولا اقوى من خالق ولا اقدر
ممن طلبته في يده ولا اعجز ممن هو في يد طالبه الا وان
الفكر نور والغفلة ظلمة والجهالة ضلالة وقد ورد
الاول ولا بد للآخر من اللحوق بالاول وقد مضت قبلنا

اصول الجن فروعها فما بقا فرع بعد ذهاب اصله وان
الله عز وجل اعطانا هذا الملك فله الحمد ونسله الهام
الرشد والصدق واليقين الا وان للملك على اهل مملكته
حقا ولاهل مملكته عليه حقا فحق الملك على اهل مملكته
ان يطيعوه ويناصحوه ويقاتلوا اعدوه وحقهم على
الملك ان يعطيهم ارزاقهم في اوقاتها اذ لا معتمد لهم على
غيرها وانها تجارتهم وحق الرعية على الملك ان ينظر لهم
ويرفق بهم ولا يحملهم ما لا يطيقون فان اصابتهم مصيبة تنقص
من ثمارهم لافة او ضرر من السما او الارض ان يسقط عنهم
خراج ما نقص وان اجاحتهم مصيبة ان يعوضهم ما يقوي بهم
على عمارتهم ثم ياخذ منهم بعد ذلك على قدر ما لا يجحف
بهم في سنة او سنتين والجند للملك بمنزلة جناحي

الطير للطير فهم اجنحة الملك ومتى قص من الجناح
ريشة كان ذلك نقصانا منه . وكذلك الملك انما هو بجناحه
وريشه . وان الملك ينبغي له ان يكون فيه ثلث خلال
اولها ان يكون صدوقا فلا يكذب وان يكون سخيا فلا يبخل
وان يملك نفسه عند الغضب فانه مسلط ويده مبسوطة
والخراج ياتيه فينبغي له ان لا يستاثر عن جنده ورعيته بما هم
اهل له وان يكثر العفو فانه لا ملك ابقى من ملك فيه العفو
ولا اهلك من ملك فيه العقوبة وان المرء لان يخطي في
العفو خير له من ان يخطي في العقوبة فينبغي له ان يتثبت
في الامر الذي فيه قتل النفس وبوارها واذا رفع اليه من
عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا ينبغي له
ان يحابيه وليجمع بينه وبين المتظلم فان صح عليه

للمظلوم حق خرج اليه منه وان عجز عنه ادى الملك عنه
ورده الى موضعه واخذه باصلاح ما افسد فهذا الكم علينا
الا ومن سفك دما بغير حق او قطع يدا بغير حق فاني لا اعفوا
عن ذلك الا ان يعفو عنه صاحبه فخذوا بهذا عني الا
وان الترك قد طمعت فيكم فاكفوها فانما تكفون انفسكم وقد
امرت لكم بالسلاح والعده وانا شريككم في الراي وانما لي
من هذا الملك اسمه مع الطاعه منكم الا وان الملك
ملك اذا اطيع فاذا خولف فذلك مملوك وليس بملك ومهما
بلغنا من الخلاف فانا لا نقبله من المبلغ حتى نتيقنه فاذا صحت
معرفه ذلك انزلناه منزله المخالف الا وان اكمل الاداه عند
المصائب الاخذ بالصبر والراجد الى اليقين فمن قتل في مجاهده
العدو رجوت له الفوز برضوان الله وافضل الامور التسليم

لامر الله والراجد الى اليقين والرضا بقضائه ابن المهرب مما هو
كائن وانما تنقلب في كف الطالب وانما هذه الدنيا سفر لاهلها لا يحلون
عقد الرحال الا في غيرها وانما بلغتهم فيها بالعواري فما احسن
الشكر للمنعم والتسليم لمن قضا الحق ومن احق بالتسليم لمن فوقه
ممن لا يجد مهربا الا اليه ولا معولا الا عليه فثقوا بالغلبه
اذا كانت نياتكم ان النصر من عند الله وكونوا على ثقه من درك
الطلبه اذا صحت نياتكم واعلموا ان هذا الامر لا يقوم الا
بالاستقامه وحسن الطاعه وقمع العدو وسد الثغور والعدل
للرعيه وانصاف المظلوم فشفا وكم عندكم والدوا الذي لا دا
فيه الاستقامه والامر بالخير والنهي عن الشر ولا قوه الا بالله
انظروا للرعيه فانها مطعمكم ومشربكم ومتى عدلتم فيهم رغبوا
في العماره فزاد ذلك في خراجكم وتبين في زياده ارزاقكم واذا

حيفهم على الرعية زهدوا في العمارة وعطلوا اكثر الارض
فنقص ذلك من خراجكم وتبين في نقص ارزاقكم فتعاهدوا
الرعية بالانصاف وما كان من الانهار والبثوق مما نفقته
على السلطان فاسرعوا فيه قبل ان يكبر وما كان من ذلك على
الرعية فعجزوا عنه فاقرضوهم من بيت مال الخراج فاذا جاءت
اوقات خراجهم فخذوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يجحف بهم
ذلك ربع في كل سنة او ثلث او نصف لكيلا يشق ذلك عليهم
هذا قولي وامرت باموبذ موبذان الزم هذا القول وجدّ
في الذي سمعت في يومك اسمعتم ايها الناس قالوا نعم واثنوا
عليه ودعوا له ثم امر بالطعام فوضع واكلوا وشربوا وخرجوا
وهم له شاكرون ثم كان من امره ما كان مما ذكرناه ٥
وفي ايامه غزا الرائش قيس صيفي بن يشجب بن يعرب بن قحطان

من ملوك اليمن وكان اسم الرائش الحرث غزا الهند فغنم غنائم
عظيمة فانفذ رجلا من اصحابه يعرف بشمر بن العطاف فدخل
الترك من ارض اذربيجان وهي يومئذ في ايديهم فقتل وسبى وغنم
وغزا بعده ذو منار بن رائش بعد ابيه وانما سمي ذا منار لانه غزا
بلاد المغرب فوغل فيها برا وبحرا وخاف على جيشه الهلاك
عند قفوله فبنى المنار ليهتدوا بها ثم وجه ابنه الى اقاصي المغرب
فغنم واصاب مالا وقدم عليه بسبي لهم خلقة منكرة فذعر
الناس منهم فسموه ذا الاذعار وانما ذكرناهم في هذا الموضع
لاتصال ذلك بذكر منوشهر وان الفرس تدعي ان ملوك اليمن كانت
عمالا لملوك الفرس بها وان الرائش كان من قبل منوشهر
يغزو الترك وغيرهم والعرب تنكر ذلك وتزعم ان ملكهم لم يكن
قط من قبل احد وانما كانوا ابروسهم وفي ايام منوشهر

ظهر موسى صلى الله عليه ويقال ان عمره عليه السلم كان مائة
وعشرين سنة منها في ايام افريدون عشرين سنة وفي ايام منوشهر
مائة سنة وكان من حديث موسى مع فرعون وما انزل الله من
الآيات على يده ما هو مشهور وقد اعتذرنا من ذكر هذه الاخبار
وتركها ثم كان من حديث التيه ما كان الى ان اخرج بنو اسرائيل
منه يوشع بن نون بعد موت موسى وغزا الكنعانيين ونفاهم
الى السواحل وافتتح مدينة الجبابرة فيقال ان افريقيس بن قيس
بن صيفي بن كعب بن زيد بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب
بن قحطان مر بهم متوجها الى افريقية فاحتملهم من سواحل
الشام حتى اتى بهم افريقية فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا واسكنها
البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم
من سواحل الشام فهم البرابرة وانما سموا بذلك لان افريقيس

قال لهم ما اكثر بربرتكم فسموا بذلك بربرا: وكان افريقيس هذا
عاملا لمنوشهر على ما زعم الفرس وكان تدبير يوشع امر بني اسرائيل
من لدن مات موسى الى ان توفي يوشع في زمان منوشهر عشرين سنة
وفي زمان فراسياب سبع سنين ولما هلك منوشهر تغلب فراسياب
على مملكة فارس وطلب بالذحول وصار الى ارض بابل واقام
بمهرجان قذق واكثر الفساد وخرب ما كان عامرا ودفن
الانهار والقنى فقحط الناس في سنة خمس من ملكه الى ان اخرج
ورد الى بلاد الترك فغارت المياه في تلك السنين وحالت
الاشجار المثمرة ولم يزل الناس في اعظم بلية الى ان ظهر زو بن
طهماسب ويقول بعضهم زاغ وبعضهم راب وبعضهم راسب
وهو من اولاد منوشهر وبينه وبينه عدة آباء: فلما ظهر زو
طرد فراسياب عن مملكة فارس حتى رده الى الترك بعد حروب

كثيرة جرت بينهما لم يذكر لنا منها ما نستفيد منه تجربة ٥
وكانت غلبة فراسياب على اقليم بابل لثنتي عشرة سنة من لدن
توفي منوشهر الى ان طرده زو بن طهماسب الى تركستان
ثم ابتدا زو في عمارة ما خربه فراسياب فامر ببناء ما هدم
من الحصون واعادة ما طم وعور من الانهار والقني وكرى ما
كان اندفن من المياه حتى عاد جميع ذلك الى احسن ما كان
ووضع عن الناس الخراج سبع سنين فعمرت البلاد في ايامه
وكثرت المياه ودرت معايش الناس واستخرج بالسواد نهرا
وسماه الزاب وبنى على جانبيه مدينة وهي التي تسمى المدينة
العتيقة وكورها كورة وجعلها ثلث طساسيج الزاب الاعلى
والزاب الاوسط والزاب الاسفل ونقل اليها بزور الرياحين
واصول الاشجار من الجبال ؞ وزو هذا اول من عرف

اتخاذ الوان الطبيخ واصناف الاطعمة واعطى جنوده مما غنم بالجبل
ومما اوجف عليه من اموال الترك وكان وزيره كرشاسف
من اولاد طوج بن افريدون وقد حكي ان زوا وكرشاسف اشتركا
في الملك والصحيح من امره انه كان وزيرا لزو ومعينا له وكان جميع
ملك زو ثلث سنين ٥ ثم ملك بعده كيقباذ بن زو
وسلك سبيل ابيه فكور الكور وبين حدودها وحريمها ولقب الناس
بالعمارات واخذ العشر من الغلات لارزاق الجند وكان حريصا
على العمارة مانعا للحوزة والملوك الكيانية من نسله وجرت
بينه وبين الترك حروب كثيرة وكان مقيما في الحد الذي بين مملكة
الفرس والترك بناحية بلخ ليمنع الترك من تطرق شيء من
حدود فارس فجميع هذه العداوات والحروب سببها سوء
نظر من قسم الملك بين اولاده ثم وقوع من وقع من الاخوة

بأخيه واستمرار الشحناء بعد ذلك والعداوات : فأما القيّم
بأمر بني إسرائيل بعد يوشع فكان كالب بن يوفنا ثم حزقيل الذي
يقال له ابن العجوز وكانت لهما أخبار مشهورة تركنا ذكرها
لأنها معجزات لا تستفاد منها تجربة : وحزقيل هو صاحب
القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال
لهم الله موتوا ثم أحياهم لأنهم ودّوا لو ماتوا فاستراحوا
من بلاء كان أصابهم إما طاعون أو ما أشبهه فخرجوا فرارا
من ذلك ثم إلياس ثم اليسع ثم إيلاف : وفي خلال هؤلاء
كان يملك عليهم قوم من الكنعانيين وغيرهم فيسومونهم
البلايا والعظائم وليس في ذكرهم فائدة إلى أن جاءهم
شمويل النبي وكان من خبره مع جالوت وطالوت ما ذكر الله
تعالى وملك داود لما كان منه من مبارزة جالوت والخبر

مشهور مقرون بمعجزة الأنبياء ثم ملك سليمن وأخباره
ومعجزاته مذكورة ثم ملك بعد كيقباذ كيقابوس بن كيبيه
بن كيقباذ الملك فاشتد على أعدائه وقتل خلقا من عظماء
البلاد ممن كان ينكر أمرهم وسكن بلخ وولد له ابن لم ير مثله
في عصره جمالا وتمام خلقة وسماه سياوخش وضمه إلى رستم
الشديد بن دستان من ولد كرشاسف الذي ذكرناه قبل
وكان اصبهبذ سجستان وما يليه من قبله وأمره بتربيته
وأوصاه به فأخذه رستم ومضى به إلى سجستان وتخير له
الحواضن والمرضعات حتى أدرك فجمع له المعلمين وأدّبه
ثم علمه الفروسية حتى فاق فيها وقدم على والده رجلا
كاملا فامتحنه كيقابوس والده فوجده كاملا نافذا بارعا
وكان لكيقابوس زوجة بارعة الجمال يقال إنها بنت

فراسياب ملك الترك ويقال انها بنت ملك اليمن فهويت
سياوخش وهويها والفرس تحكي امورا طويلة وتزعم انها كانت
ساحرة وانها سحرته الا ان آخر امرها آل الى ان علم كيقابوس
بما جرى بينهما فكان من عاقبة ميلهما الى الهوى وظنهما
ان ذلك يكتم ان تغير كيقابوس لابنه سياوخش
واشفق سياوخش على نفسه فسال رستم ان يسل اباه توجيهه
لحرب فراسياب وكان قد تجدد فتنة وحشة بين كيقابوس وفراسياب
واراد سياوخش بذلك البعد من والده والتنحي عما تكيده به امراة ابيه
ففعل ذلك رستم وخاطب اباه فيه واستاذن له في جند
يضمهم اليه فاذن له وضم اليه جندا كثيفا واشخص سياوخش
الى بلاد الترك فلما التقى سياوخش وفراسياب جرى بينهما
صلح وكتب بذلك سياوخش الى ابيه يعلمه ما جرى بينه وبين

فراسياب وكتب اليه ابوه بانكار ذلك وامره بمناهضته ومناجزته
الحرب فراى سياوخش ان في فعله ما كتب به ابوه من محاربة
فراسياب بعد الذي جرى بينهما من الصلح والهدنة من غير نقض
فراسياب شيئا من اسباب ذلك عارا ومنقصة فامتنع
من انفاذ امر ابيه في ذلك وراى انه يؤتى في كل ذلك من زوجة
ابيه فمال الى الهرب من ابيه فراسل فراسياب في اخذ
الامان لنفسه منه واللحاق به وفراق والده فاجابه فراسياب
الى ذلك وكان السفير بينهما رجلا من عظماء الترك يقال له فيران
فلما فعل ذلك سياوخش انصرف عنه من كان معه من جند ابيه
الى ابيه واكرم فراسياب سياوخش وزوجه ابنة له وهي
ام كيخسرو ولم يزل على اكرامه الى ان ظهر له من ادب سياوخش
وادبه وكماله وتجلده ما اشفق منه وضرب بينهما اخ كان

لفراسياب وابنان له حذرا على ملكهم وله خبر طويل في ذلك الى
ان قتل والمراة سياوخش وهي ابنة فراسياب حامل منه بابنه
كيخسرو فطلبوا له الحيلة لاسقاطها وما في بطنها فلم تسقط
ثم ان فيران الذي توسط الصلح بين سياوخش وبين فراسياب
انكر ما جرى من فعل فراسياب وحذره عاقبة الغدر والطلب
بالثار واشار عليه ان يدفع ابنته اليه يعني زوجة سياوخش
لتكون عنده الى ان تضع ثم ان اراد قتله قتله ففعل فراسياب
ذلك فلما وضعت امتنع فيران من قتل الولد وستر امره حتى
بلغ المولود وهو كيخسرو فيحكى ان كيقابوس بعث بيب
جوذرز الى بلاد الترك وامره بالبحث عن امر المولود الذي
لسياوخش والتاتي لاخراجه مع امه ففعل بيب ذلك وبقي
زمانا طويلا يبحث عن امره الى ان وقف على خبره فاحتال

فيه وفي امه حتى اخرجهما من ارض الترك فاستقبلهما رستم الشديد
في جند عظيم من اولي الباس والنجدة وطلب الترك اثر كيخسرو
فجرت بينهم وبين رستم حروب ظفر فيها رستم فللفرس ملمثا خرافات
ونزعم ان الشياطين كانت مسخرة لكيقابوس وقوم يزعمون ان سليمن
بن داود عليهما السلم امرهم بذلك في خرافات كثيرة ظاهرة
الاحالة من الصعود الى السما وبنا مدينة كذكر زما بسوار ذهب
وفضة وحديد ونحاس وانها بين السما والارض واشباه ذلك
مما لا فايده في ذكره الا ان جملة امره اند انجبر لما تم له اكثر
ما كان يقصده وسار من خراسان حتى نزل بابل وترك ما كان
يسوسه بنفسه ويباشره برايه واوحش الناس بالحجاب والتعظم
وايثار الخلوة فكان من عاقبة ذلك ان فسد عليه ملكه
وكثرت الملوك في النواحي حتى كان يغزوهم بعد ذلك ويغزونه

فبطفر مرة ونكب اخرى الى ان غزا بلاد اليمن والملك يومئذ
بها ذو الاذعار بن ابرهه بن ذي المنار بن الرايش فلما اظله
كيقابوس خرج اليه ذو الاذعار في جموع حمير وولد قحطان فظفر
بكيقابوس واسره واستباح عسكره وحبسه في بير واطبق
عليها طبقا ٥ فخرج من سجستان رستم الشديد
فيمن اطاعه من الناس فاما الفرس فتحكي حكايات لا فايدة فيها
عن شدة رستم وباسه وانه وغل في البلاد بلاد اليمن
واستخرج كيقابوس من محبسه ٥ واما اليمن فتزعم انه لم
يكن من ذلك شي وان ذا الاذعار لما بلغه اقبال رستم خرج اليه
في جنود عظيمه وخندق كل واحد منهما على نفسه وعسكره
وانهما اشفقا من البوار على جندهما وخوفا ان تزاحما ان لا
يكون لهما بقيه فاصطلحا على دفع كيقابوس الى رستم ووضع

20

الحرب فانصرف رستم بكيقابوس الى بابل فكتب له كيقابوس كتابا
بالعتق واقطعه سجستان وزابلستان وكانت الكتب يومئذ
والرسايل يسيرة نزره الكلام لا يذكر فيهما الاسباب والعلل ونسخه
الكتاب مر كيقابوس بن كيقباذ الى رستم اني قد اعتقتك
من العبوده وملكتك على بلاد سجستان فلا تقرن لاحد بعبوده
واملك سجستان كما امرتك واجلس على سرير من فضه مموهه بالذهب
والبس قلنسوة منسوجة بالذهب متوجه ٥ ومما يدل على
صدق ما حكيناه من امر كيقابوس قول الحسن بن هاني
وقاظ قابوس في سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها

ثم ملك كيخسرو بن سياوخش بن كيقابوس

فعقد التاج على راسه وخطب رعيته خطبة بليغة اعلمهم
فيها انه على الطلب بدم ابيه سياوخش قبل فراسياب ثم كتب الى

جوذرز باصبهان وكان اصبهبذه على خراسان بامره بالمصير اليه
وامره ان يعرض جنده وان ينتخب ثلثين الف رجل وضمهم الى طوس
وكان فيمن اشخص معه برزافره عم كيخسرو وابن لجوذرز وجماعة
من اخوته وتقدم كيخسرو الى طوس ان يكون قصده لفراسياب
وطراخنته وحذره من ناحية ببلاد الترك فيها اخ له يقال له
فروذ بن سياوخش من بعض نساء الاتراك كان سياوخش تزوجها
ايام صار الى فراسياب فولدت له فروذ واقام بموضعه الى ان
شب ٥ وكان من غلط طوس ان خالف كيخسرو وذلك
انه لما صار بالقرب من المدينة التي فيها فروذ هاجت الحرب وقتل
فروذ واتصل خبره بكيخسرو وكتب الى برزافره عمه كتابا غليظا يعلمه
فيه ما ورد عليه من خبر طوس ومحاربته فروذ وقتله اياه وامره
بتوجيه طوس اليه مقيدا مغلولا وتقدم اليه في القيام بالعسكر

والتوجه اليه لوجهه ففعل برزافره ذلك وتولى امر العسكر
وعبر النهر المعروف بكاسرود واتصل خبره الى فراسياب فوجه
الى برزافره جماعة من اخوته وطراخنته لمحاربته فالتقوا وفيهم فيران
واخوته فاقتتلوا قتالا شديدا وظهر برزافره في ذلك اليوم فشل
لما اشتد الحرب وكثر القتلى فهرب والخازن بالعلم الى رؤس الجبال
واضطرب على ولد جوذرز امرهم فقتل منهم في تلك الملحمة
في وقعة واحدة سبعون رجلا وقتل بشر كثير وانصرف برزافره
ومن افلت معه الى كيخسرو فرتب الكآبة في وجهه وامتنع
من الطعام والشراب الى ان مضت ايام ثم راسل جوذرز ولما
دخل عليه شكا اليه برزافره واعلمه انه كان سبب الهزيمة
بالعلم وخذلانه ولده فقال كيخسرو ان حقك لازم لنا لخدمتك
ابانا وهذه جنودنا وخزائننا مبذولة لك فاطلب بثارك واشتف

ونهيّيا للتوجّه الى فراسياب فنهض جوذرز فقبّل يده وقال
ايها الملك نحن رعيّتك وعبيدك فان كانت آفة او نازلة فلتكن
بالعبيد دون الملوك واولادي المقتولون فداؤك ونحن من
وراء الانتقام من فراسياب والانتقام من الترك وكتب كيخسرو
الى رؤساء اجناده ووجوه عسكره يامرهم بموافاته في صحراء تعرف
بشاه اسطون من كورة بلخ في وقت وقّته لهم فوافت رؤساء
الاجناد في ذلك اليوم وشخص اليه كيخسرو باصبهبذيه واصحابهم
وفيهم برزافره عمّه وجوذرز وبقية ولده فتولى كيخسرو
بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم وفهم احوالهم ثم دعا
لجوذرز وثلثة نفر معه فاعلمهم انه يريد ادخال العساكر
على الترك من اربعة وجوه حتى يحيطوا بهم برًّا وبحرًا وقوّد
على تلك العساكر وجعل اعظمها الى جوذرز وجماعة من الاصبهبذين

كثيرة ودفع اليه يومئذ العلم الاكبر الذي يسمّونه درفش
كابيان ولم يكن يدفع قبل ذلك الى احد من القوّاد وانما كانوا
يتبرّكون به مع اولاد الملوك وامر احد القوّاد بالدخول
مما يلي الصين وضمّ اليه جماعة كثيرة وامر آخر بالدخول من ناحية
الخزر وضمّ الى آخر ثلثين الف رجل وامرهم بالدخول من طريق
بين جوذرز وبين الذي دخل من طريق الصين ودخل جوذرز
من ناحية خراسان وبدا بفيران فالتحمت بينهما حرب مذكورة
تحكى فيها القصص عجائب بارز فيها بيزن بن بيب خمان وهو
اخو فيران فقتله مبارزة وقتل جوذرز فيران مبارزة ايضا وقصد
جوذرز فراسياب والحّت عليه العساكر من كل وجه واتبع
القوم كيخسرو بنفسه وجعل قصده للوجه الذي كان فيه
جوذرز وصيّر مدخله منه موافيًا عسكر جوذرز وقد الحّ

في القتال وقتل فيران اصبهبذ فراسياب والمرشح للملك بعده
وجماعة كثيرة من اخوته واولاده واسر برزين قاتل سياوخش ووجد
جوذرز قد احصى القتلى والاسرى وما غنم من الكراع والاموال
فوجد مبلغ ما في يده من الاسرى ثلثين الفا ومن القتلى خمس مايه
الف ونيفا وستين الفا على ما زعم الفرس وحاز من الكراع
والاموال ما لا يحصى كثرة وامر كل واحد من الوجوه الذين كانوا
معه ان يجعل اسيره او قتيله عند علمه لينظر اليه كيخسرو
عند موافاته فلما وافى كيخسرو العسكر موضع الملحمة اصطفت
الرجال له وتلقاه جوذرز فلما دخل العسكر جعل يمر بعلم
علم فكان اول قتيل رآه جثة فيران فنظر اليه وخاطبه
بما جرى مجرى الاشتفا ولم يزل يفعل ذلك حتى وقف
على علم بيژن بن جوذرز ووجد عنده برزين حيا اسيرا فسال

عنه فاخبر انه قاتل سياوخش الذي مثل به بعد قتله فقرب
منه كيخسرو ثم طاطا راسه بالسجود شكرا لله ثم قال الحمد لله
الذي مكنني منك ثم وبخه طويلا ثم امر بقطع اعضايه حيا
فلما لم يبق له طابق ذبحه ثم استقر في مضربه واجلس عمته
عن يمينه ودعا بجوذرز فاحسن صلته ومخاطبته وحمد ما
كان منه وفوض اليه الوزارة التي يقال (لها) بزرجفرمذار ومعنى رتبه
الوزارة وجعل اليه مع ذلك اصبهان وجرجان وفعل مثل
ذلك من الحبا والكرامة بكل من ابلى من قواده ورجاله:
ثم اتته الاخبار من الوجوه الثلثة الاخر انهم قد احاطوا
بفراسياب وبرزفراسياب وما كان قد بقي من ولده الاشداء
فتوجه نحو كيخسرو بعدته وعتاده فقال ان كيخسرو لشفق
يومئذ وهابه وظن ان لا طاقة له به وان القتال بقي منفردا

بينهما اربعة ايام الى ان انهزم شيذه واتبعه كيخسرو فلحقه وضربه
بالعمود على راسه فخر ميتا وغنم كيخسرو ماله وبلغ الخبر فراسياب
فاقبل في جمع عظيم فلما التقى مع كيخسرو نشبت بينهما حرب يقال
انه لم ير مثلها قط على وجه الارض حتى اختلط رجال ايرانشهر
برجال الترك ثم انهزم فراسياب وكثر القتل فزعم الفرس انه
بلغ عدد القتلى لعظمها لم استحسن ذكره لكثرته   وجد
كيخسرو في طلبه حتى لحقه باذربيجان فظفر به واستوثق منه
بالحديد ثم وبخه وساله عن سبب قتله سياوخش فلم تكن له حجة
فذبحه كما ذبح سياوخش ثم انصرف غانما مسرورا وكان لفراسياب
اخ يقال له كي شواسف صار الى بلاد الترك بعد اخيه وكان
له ابن يقال له خرزاسف فملك البلاد بعد ابيه كي شواسف
وهو ابن اخي فراسياب الذي حارب منوشهر   ولما فرغ كيخسرو

كيخسرو من المطالبة بوتره واستقر في ملكه زهد في الملك
وتنسك واعلم الوجوه من اهل بيته ومملكته انه على التخلي
فاشتد جزعهم وتضرعوا اليه وراودوه على المقام على
تدبير ملكهم فابى عليهم فلما يئسوا قالوا فاذ اقمت على ما انت عليه
فسم للملك من يقوم به وكان لهراسف حاضرا فاشار بيده
اليه واعلمهم انه خاصته ووصيه فقبل لهراسف الوصية
واقبل الناس عليه وفقد كيخسرو فبعض الناس يقول انه غاب
للتنسك ولا يدرى اين مات وبعضهم يقول غير ذلك وكان ملكه
ستين سنة ثم ملك بعده لهراسف
ويقال انه ابن اخي كيقابوس واتخذ سريرا من ذهب مكللا بالجوهر
للجلوس عليه وبنيت له بارض خراسان مدينة بلخ وسماها الحسناء
وهو اول من دون الدواوين وقوى ملكه بانتخاب الجنود لنفسه

وعمر الارض وذلك ان الاتراك اشتدت شوكتهم في زمانه
فجعل منزله ببلخ ليقاتل الاتراك ووجه بختنصر اصبهبذا ما بين
الاهواز الى ارض الروم من غربي دجلة ويقال ان اسمه
بالفارسية بخت نرسي فشخص حتى اتى دمشق فصالحه اهلها
ووجه قائدا له فاتى بيت المقدس فصالح ملك بني اسرائيل
وهو رجل من ولد داود واخذ منه رهائن وانصرف فلما بلغ طبرية
وثبت بنو اسرائيل على ملكهم فقتلوه وقالوا داهنت اهل بابل
وخذلتنا واستعدوا للقتال وكان من عاقبة جنايتهم على ملكهم
ان كتب قائد بختنصر اليه بما كان فكتب اليه يامره ان يقيم بموضعه
حتى يوافيه وان يضرب اعناق الرهائن الذين معه وسار بختنصر
حتى اتى بيت المقدس فاخذ المدينة عنوة وقتل المقاتلة وسبى
الذرية وهرب الباقون الى مصر وكتب بختنصر الى ملك مصر

ان عبيدا لي هربوا مني اليك فسرحهم الي والا غزوتك واوطات
بلادك الخيل فكتب اليه ملك مصر ما هم عبيدك ولكنهم الاحرار
ابناء الاحرار فغزاه بختنصر فقتله وسبى اهل مصر ثم سار في ارض
المغرب حتى بلغ اقصى نواحيها ثم انصرف بسبي كثير من اهل فلسطين
والاردن فيهم دانيال النبي وغيره من ابناء الانبياء وخرب بيت المقدس
منذ ذلك ○ وكان لهراسف بعيد الهمة طويل الفكر شديد
القمع للملوك المحيطة بايرانشهر وكانت ملوك الروم والمغرب
والهند يحملون اليه في كل سنة وظيفة معروفة واتاوة
معلومة ويقرون له انه ملك الملوك هيبة له وكان بختنصر
حمل اليه من بيت المقدس خزائن واموالا عظيمة ○
ثم كبرت سنه واحس بالضعف فملك ابنه بشتاسف واعتزل
الملك وكان عمره وملكه فيما ذكر مائة وعشرين سنة ○

وقد قيل ان بختنصر كان في خدمة لهراسف وتوجه من قبله
الى الشام وبيت المقدس ليجلي اليهود عنها ففعل ثم انصرف ثم كان
في خدمة لابنه بشتاسف ثم في خدمة ابنه بهمن وان بهمن اقام
ببلخ التي كانت تسمى الحسنا وانفذ بختنصر الى بيت المقدس لاجلا
اليهود وان السبب في ذلك كان وثوب صاحب بيت المقدس
على رسل بهمن وقتله بعضهم فمضى بختنصر فسبى وهدم بيت المقدس
وانصرف الى بابل وملك سسا وسماه صدقيا فلما صار بختنصر
ببابل خالفه صدقيا فغزاه بختنصر ثانيا وظفر به فاخرب المدينة
والهيكل واوثق صدقيا وحمله الى بابل بعد ان ذبح ولده وسمل
عينيه فمكث بنو اسرائيل ببابل الى ان رجعوا الى بيت المقدس
وكانت غلبة بختنصر وهو لجنرسي الى ان مات في هذا القول
الذي حكيناه آنفا اربعين سنة ثم قام بعده ابن له يقال له اويل مرودخ

ثم ابن له يقال له بلتشصر فخلط ولم يرتض بهمن امره فعزله
وملك مكانه كيرش وتقدم اليه بهمن ان يرفق ببني اسرائيل
ويطلق لهم النزول حيث احبوا والرجوع الى ارضهم وان يولي
عليهم من يختارونه فاختاروا دانيال النبي عليه السلام فولاه
امرهم وكان ملك كيرش ومدة سنيه معدودة من خراب
بيت المقدس منسوبة الى بختنصر ومبلغها سبعون سنة
ثم ملك بابل وناحيتها من قبل بهمن رجل من قرابته يقال له
اخشوارش بن كيرش بن جاماسف الملقب بالعالم وولد لاخشوارش
ولد من امراة من سبي بني اسرائيل يقال لها اشتير صنعا من الله
لبني اسرائيل فسماه كيرش فملك بعد ابيه وهو ابن ثلث عشرة
سنة وعلمه خاله التورية وفقه امر دانيال ومن كان معه
مثل حننيا وعازريا وعزير وتادب وعلم العلوم وساله

بنو اسرائيل ان ياذن لهم في الخروج الى بيت المقدس فابى
وقال لو كان معي منكم الف بني ما فارقني ما دمت حيا وولى
دانيال القضا وامره ان يخرج كل شي في الخزاين مما كان بختنصر
اخذه من بيت المقدس فبنى وعمر في ايام كرش ومات بختنصر لثلث
عشره سنه خلت من قيام كرش ببابل وقد خلى اهل
التوريه وغيرهم في امر بختنصر اقوالا مختلفه تركنا ذكرها
الا انهم ذكروا ان بختنصر لما اخرب بيت المقدس امر جنوده
ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس
فقذفوا فيه من التراب ما ملاوه ولما انصرف الى بابل اجتمع
معه سبايا بني اسرائيل وامرهم ان يجمعوا من كان في بيت المقدس
كلهم فاجتمع عنده الكل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما
خرجت غنايم جنده سالوه ان يقسم فيهم الصبيان فقسم في الملوك

منهم فاصاب كل رجل منهم اربعه وكان من اوليك الغلمه
دانيال النبي وحنينا ومسايل وسبعه الف من اهل بيت داود
واحد عشر الفا من سبط اسر بن يعقوب وعلى ذلك سايرا ولد
يعقوب الاسباط ثم غزا بختنصر العرب وذلك في زمن معد بن
عدنان فوثب على من كان في بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون
عليه بالتجارات ويمتارون من عندهم الحب والتمر والثياب وغيرها
فجمع من ظفر به منهم وبنى لهم حيرا على النجف وحصنه وضمهم فيه
ووكل بهم حرسا ثم نادى في الناس بالغزو فتاهبوا لذلك
وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليهم طوايف منهم
مسالمين فاحسن اليهم وانزلهم بختنصر شاطي الفرات فابتنوا
موضع معسكرهم وسموه الانبار وخلى عن اهل الحيره فاتخذوها
منزلا مده حياه بختنصر فلما مات انضموا الى اهل الانبار وبقي ذلك
الحير خرابا

وملك كي بشتاسف بن كي لهراسف

فبنى مدينة فسا وهو اول من عرف بسط دواوين الكتاب
لاسيما ديوان الرسائل وامر الكتاب ان يطيلوا كتب الرسائل
ويذكروا فيها الاسباب والعلل وكان له ديوانان احدهما
ديوان الخراج والآخر ديوان النفقات فكان كل ما يرد فالى
ديوان الخراج وكل ما يخرج فالى ديوان النفقات وكان من رسم — من جيش وغيره
الوزير واسمه بزرجفرمذار ان يكون له خليفة يسمى ايرانمارغر
يصل الى الملك ويعرض عليه وينوب عن الوزير فاما
المتقلد لديوان الرسائل فيسمى دبيرفذ وكان له كاتب موكل
بدار المملكة فان وقع على احد تقصير في منزلة او حط من درجة
رجع الى ذلك الكاتب حتى يبين حال مرتبته فيجري على رسمه
وظهر في ايامه زردشت واراده على قبول دينه فامتنع من

ذلك ثم صدقه وقبل ما دعاه اليه واتاه به من كتاب يكتب في
جلد اثني عشر الف بقرة حفرا في الجلود ونقشا بالذهب وصير
بشتاسف ذلك باصطخر ووكل به الهرابذة ومنع تعليمه العامة
وبنى ببلاد الهند بيوتا للنيران وتنسك واشتغل بالعبادة
وهادن خرزاسف بن كي سواسف ابن اخي افراسياب ملك
الترك على ضرب من الصلح وفي شريطة الصلح ان يكون ببلاد
خرزاسف دابة موقوفة في منزلة الدواب التي تكون على ابواب
الملوك فاشار زردشت على بشتاسف بنقض الهدنة ومنابذة
ملك الترك فقبل منه وبعث الى الدابة والموكل بها ان ينصرف
واظهر الغدر فغضب خرزاسف وكتب اليه كتابا غليظا وامره
بتوجيه زرادشت اليه واقسم ان امتنع ان يغزوه حتى يسفك دمه
ودماء اهل بيته فلما ورد الرسول بالكتاب كتب كتابا اغلظ منه

جوابا عن كتابه وآذنه بالحرب واعلمه انه غير ممسك ان امسك
فسار بعضهما الى بعض ومع كل واحد منهما اخوته واهل بيته
فقتل بينهما خلق كثير واحسن الغنا ابن بشتاسف اسفنديار وقتل
بيدرفس الساحر بيده مبارزة فصارت الدبرة على الترك فقتلوا
قتلا ذريعا ومضى خرزاسف هاربا على وجهه ورجع بشتاسف
الى بلخ فلما مضت لتلك الحرب سنون سعى على اسفنديار رجل
يقال له قرزم فافسد قلب بشتاسف عليه وذلك انه اعلمه انه
يتأهب للملك ويزعم انه احق به وان الناس مايلون اليه فصدق
بشتاسف بذلك وترك الرفق ومعالجة الامور على تؤدة واخذ
في ندبه لحرب دون حرب وكان يبعثه فيها كلها ثم امر بتقييده
وصيره في الحصن الذي فيه حبس النسا وصار بشتاسف الى جبل
يقال له طميذر للدراسة دينه والنسك هناك وخلف اباه لهراسف

في مدينة بلخ شيخا هرما قد ابطله الكبر وترك خزاينه وامواله
على امراته **فكان من عاقبة ذلك** ان حملت الجواسيس
خبره الى خرزاسف فجمع جنودا لا يحصون كثرة وشخص من بلاده
نحو بلخ فلما انتهى الى تخوم ملك فارس قدم امامه جوهرمز اخاه وكان
مرشحا للملك في جماعة من المقاتلة كثيرة وامرهم ان يغذوا السير حتى
يتوسطوا المملكة ثم يوقعوا باهلها ويغيروا على المدن والقرى ففعل
جوهرمز ذلك وسفك الدما واستباح الحرم وسبى ما لا يحصى
كثرة واتبعه خرزاسف فاحرق الدواوين وقتل لهراسف
والهرابذة وهدم بيوت النيران واستولى على الاموال والكنوز
وسبى ابنتين لبشتاسف واخذ فيما اخذ درفش كابيان وشخص
يتبع بشتاسف فهرب منه بشتاسف حتى تحصن في الجبل الذي يعرف
بطميذر مما يلي فارس ونزل ببشتاسف ما ضاق به ذرعا

وندم على ما صنعه باسفنديار فقال انه وجه اليه جاماسف
حتى استخرجه من محبسه وصار به الى ابيه فلما دخل عليه اعتذر اليه
ووعده عقد التاج على راسه وان يفعل به مثل الذي فعل به لهراسف
وقلده عسكره وامره لمحاربة خرزاسف فلما سمع اسفنديار كلام ابيه
طابت نفسه وقبل بين يديه ثم نهض من بين يديه وتولى الامر
وتقدم فيما احتاج اليه ثم عبى ليلته اصحابه فلما اصبح لم ينخ القرون
وسار بالجنود نحو عسكر الترك فلما راى الترك عسكره خرجوا اليه
على وجوههم يتسابقون وفي القوم جوهرمز واندرمان فالتحمت
الحرب بينهم وانقض اسفنديار بيده الرمح كالبرق حتى خالط القوم
واكب عليهم بالطعن فلم يكن هنيهة حتى ثلم في القوم ثلمة عظيمة
وفشا في الترك ان اسفنديار قد اطلق من الحبس فانهزموا
لا يلوون على شيء وانصرف اسفنديار وقد اقتلع العلم الاكبر

وحمل معه منشورا فلما دخل على بشتاسف استبشر بظفره
وامره باتباع القوم وقتل خرزاسف ان قدر عليه بلهراسف وبقتل
جوهرمز واندرمان بمن قتل من ولده وبهدم حصون الترك وحرق
مدنها وبقتل اهلها بمن قتلوا من حملة الدين وباستنقاذ السبايا
ووجه معه من القواد والعظماء خلقا كثيرا فدخل اسفنديار
بلاد الترك ورام ما لم يرمه احد واعترض على ما تزعم الفرس
العنقا المذكورة ورماها ودخل مدينة الصفر عنوة حتى قتل
ملكها واخوته ومقاتلته واستباح امواله وسبى ذراريه
ونساءه واستنقذ اختيه وكتب بالفتح الى ابيه فاما ملوك
اليمن فقد كتبنا لهم الى عهد سليمن وايامه ثم صار الملك الى ياسر
عم والذى يقال له ياسر انعم لانعامه على العرب وكان سار
غازيا نحو المغرب حتى بلغ واديا يقال له وادى الرمل ولم يكن

بلغه احد قبله ولم نجد وراءه مجازا لكثرة الرمل فبينا هو مقيم
اذ انكشف الرمل فامر بعض اهل بيته ان يعبر هو واصحابه فعبروا
ولم يرجعوا فامر بصنم من نحاس فصنع ثم نصب على صخرة عظيمة
على شفير الوادي وكتب في صدره بالمسند هذا الصنم لياسر
انعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلف ذلك احد فيعطب ثم
ملك بعده تبع وهو سان وهو اسعد وهو ابو كرب بن ملكيكرب
تبع بن زيد بن عمرو بن تبع ذي الاذعار بن ابرهة تبع ذي المنار بن الرائش
بن قيس بن صيفي بن سبا ٥ وكان تبع هذا في ايام بشتاسف
واردشير بهمن بن اسفنديار بن بشتاسف خرج وغزا وبلغ الانبار
والموصل ثم اذربيجان ولقي بها الترك فهزمهم وقتل بها المقاتلة
وسبى الذرية فاقام بها دهرا وهابته الملوك واهدت اليه وقدم
عليه رسول ملك الهند بالهدايا والطرف من الحرير والمسك

وسائر الطرف فرأى ما لا يرى مثله فقال ويحك اكل هذا في
بلادكم فقال ابيت اللعن هذا اقل ما ترى في بلادنا واكثره في بلاد
الصين ووصف له بلاد الصين وسعتها وخصبها فآلى ليغزونها
وسار بحمير حتى اتى الصين في جمع عظيم حتى دخلها فقتل مقاتلتها
واكتسح ما وجد فيها ويزعمون ان مسيره اليها كان ومقامه بها
ورجعته منها في سبع سنين وخلف بالتبت اثني عشر الف فارس
من حمير فهم اهل التبت اليوم ويزعمون انهم عرب وخلقهم
والوانهم خلق العرب والوانهم ٥

وملك بعد بشتاسف اردشير بهمن

وانبسطت يده وتناول الممالك بقدرته حتى ملك الاقاليم وابتنى بالسواد
مدينة وهي المعروفة بهمنيا وهو ابو دارا وابو ساسان ابي الفرس
الاخير اردشير بابك وولده ٥ وكان بهمن اسفنديار كريما

متواضعا مرضيا وكانت تخرج كتبه من اردشير بهمن عبد الله وخادم
الله والسائس لامركم: ويقال انه غزا الرومية الداخلة في الف
الف مقاتل ولم تزل ملوك الارض تحمل اليه الاتاوة الى ان هلك
وابنه دارا في بطن امه فملكوا حماي بنته شكرا لابيها وكان من اعظم
ملوك الفرس شأنا وافضلهم تدبيرا وله كتب ورسائل تفوق كتب
اردشير وعهده وتفسير بهمن بالعربية الحسن النية :: ثم ملكت
حماي بنته لانها حملت منه دارا الاكبر وسالته ان يعقد التاج له في
بطنها وتؤثره بالملك ففعل بهمن ذلك ٥ وكان ساسان بن بهمن
في ذلك الوقت رجلا يتصنع للملك لا يشك فيه فلما راى ساسان
ما فعل ابوه شق عليه فلحق باصطخر وتزهد وخرج من الحلية
واتخذ غنيمة فكان يتولى ماشيته بنفسه واستشنعت العامة
ذلك من فعله وقالوا صار ساسان راعيا وسبوه به ٥

ثم لما كبر دارا حولت التاج اليه وكانت حماي ضبطت الملك بنجدة
وراي وحصافة واغزت الروم جيشا واوتيت ظفرا فمنعت الاعدا
وشغلتهم عن تطرف شي من بلادها ونال رعيتها في تدبيرها خفض
ورفاهة الى ان ملك ابنها **دارا بن بهمن**
فنزل بابل وكان ضابطا لملكه قاهرا لمن حوله من الملوك يؤدون اليه
الخراج وابتنى بفارس مدينة وسماها دار الجرد وحذف دواب البريد ورتبها
وكان معجبا بابنه دارا وبلغ من حبه اياه ان سماه باسم نفسه وصير
له الملك من بعده وكان له وزير يسمى رشنين محمودا في عقله فشجر
بينه وبين غلام تربى مع دارا الاصغر يقال له بيري شش وعداوة
فسعى رشنين عليه عند الملك فقال ان الملك سقى بيري شش ربه
فمات فاضطغن دارا الاصغر على رشنين وعلى جماعة كانوا اعانوه
فلما ملك دارا بن دارا بن بهمن كان اول ما تكلم به حين عقد التاج

على راسه قال لن يدفع احدا في مهوى الهلكه ومن تردى فيها
لم يكففه عنها :: واستكتب اخابيري واستوزره رعاية لحق
اخيه وانسابه ولم يكن في موضع الوزاره ولا كان له كفاية تشبر
فكان من عاقبة ذلك ان افسد قلبه على اصحابه وحمله
على قتل بعضهم فاستوحشت منه الخاصه والعامه ونفروا
عنه وكان حيقود اخبارا معه وخبره الاسكندر فغزاه وقد
مله اهل مملكته واستوحش جنده واحب الجميع الراحه منه فلحق
كثير من وجوه اصحابه واعلام جنده بالاسكندر فاطلعوه على
عوره دارا وقوه عليه فلما التقيا ببلاد الجزيره اقتتلا
سنه ثم ان رجالا من اصحاب دارا وثبوا به فقتلوه وتقربوا
بذلك الى الاسكندر فامر بقتلهم وقال هذا جزا من اجترا على
ملكه :: وتزوج ابنته روشنك :: ثم غزا الهند ومشارق

الارض فملكها ثم انصرف وهو يريد الاسكندريه فهلك بناحيه
السواد فحمل في تابوت من ذهب الى امه وكان ملكه اربع عشره
سنه واجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق
ملك فارس وكان مجتمعا   وقد كان فيلقوس ابو
الاسكندر صالح دارا على خراج يحمله اليه في كل سنه فلما هلك
الاب وملك الاسكندر وطمع في دارا منعه الخراج الذي كان
يحمله ابوه اليه فاسخط دارا فكتب اليه يونبه بسو صنيعه
في تركه حمل ما كان ابوه يحمله من الخراج وانه انما دعاه الى
حبس ذلك الصبى والجهل وبعث اليه بصولجان وكره وبقفيز
من السمسم يعلمه بذلك انه انما ينبغي له ان يلعب مع الصبيان
بالصولجان ولا يتقلد الملك ولا يتلبس به ويعلمه انه ان لم يقتصر
على ما امره به وتعاطى الملك بعث اليه من ياتيه به في وثاق

وان عدة جنوده الذين بعث بهم كعدة حب السمسم الذي بعث
به اليه فكتب الاسكندر في جواب ذلك ان قد فهم ما كتب به ونظر
الى ما ارسله من الصولجان والكره وتيمن به لالقا الملقي الكره
الى الصولجان واجترا ره اياها وانه شبه الارض بالكره وتفال
بملكه اياها واحتوايه عليها وانه يختر ملك دارا الى ملكه
وبلاده الى حيزه من الارض وان نظره الى السمسم الذي بعث به
كنظره الى الصولجان والكره لدسمه وبعده من المراره والحرافه
وبعث الى دارا مع كتابه بصره من خردل واعلمه في ذلك الجواب
ان ما بعث به اليه قليل غير ان ذلك مثل الذي بعث به في القوه
والحرافه والمراره . وان جنوده فيما وصف به منه .
فلما وصل الى دارا جواب كتاب الاسكندر جمع اليه جنده
وتاهب لمحاربه الاسكندر وتاهب له الاسكندر وسار نحو

بلاد دارا فلما التقيا وجرى ما جرى من امر القايدين اللذين
تقربا الى الاسكندر وطلبا الحظوه عنده والوسيله وكان
نادى الاسكندر الا يقتل دارا وان يوسر اسرا فلما علم الاسكندر
بما جرى سار حتى وقف عنده فراه يجود بنفسه فنزل الاسكندر
عن دابته حتى جلس عند راسه واخبره انه ما هم بقتله وان الذي
اصابه لم يكن عن رايه وقال له سلني ما بدا لك فاني اسعفك
به فقال له دارا لي حاجتان احداهما ان تنتقم لي من الرجلين
اللذين قد ذكرا وسماهما والاخرى ان تتزوج ابنتي روشنك فاجابه
الى الحاجتين وامر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من ملكهما ما
انتهكا وتزوج روشنك وملك الارض كلها ويقال ان الرجلين
اللذين قتلا دارا انما فعلا ذلك بامر الاسكندر وكان شرط
لهما شرطا فلما اطاعاه دفع اليهما حكمهما ووفى لهما بشرطهما

ثم قال قد وفيت لكما بالشرط ولم يكونا شرطتما انفسكما وانا
قاتلكما فانه ليس ينبغي لقتلة الملوك ان يستبقوا الا بذمة لا
تخفر فقتلهما وصلبهما ويقال ان الاسكندر في الايام التي
نازل فيها دارا كان يصير اليه بنفسه على انه رسول فيتوسط
العسكر ويعرف كثيرا مما يحتاج اليه وكان اذا اوصله دارا
اعجب به واستحسن سمته ومحاورته الى ان اتهمه واحس
الاسكندر فهرب ٥ **ذكر حيلة للاسكندر**
فلما توافقت الخيلان يوم الحرب خرج الاسكندر من صف اصحابه
وامر من ينادي يا معشر الفرس قد علمتم ما كتبنا لكم من الامانات
فمن كان منكم على الوفا فليعتزل عن العسكر وله منا الوفا
بما ضمناه واتهمت الفرس بعضها بعضا فكان اول اضطراب
حدث فيهم ٥ **ومما يحكى من حيله في الحروب**

انه لما شخص عن فارس الى ارض الهند تلقاه فور ملكها في جمع
عظيم ومعه الف فيل عليها السلاح والرجال وفي خراطيمها
السيوف والاعمدة فلم تقف دواب الاسكندر وانهزم فلما حصل
في ما منه امر باتخاذ فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله بين تلك
التماثيل حتى الفتها ثم امر فملئت نفطا وكبريتا والبسها الدروع وجرت
على العجل الى المعركة وبين كل تمثالين منها جماعة من اصحابه
فلما نشبت الحرب امر باشعال النيران في اجواف التماثيل فلما
حميت انكشف اصحابه عنها وغشيتها الفيلة فضربتها
بخراطيمها فتشيطت وولت مدبرة راجعة على اصحابها
وصارت الدبرة على ملك الهند ٥ **ومما يحكى انه عنه**
انه كان نزل على مدينة حصينة فتحصن منه اهلها وعرف خبرها
فاعلم ان فيها من الميرة والعيون المتفجرة كفايتهم فدبر لحجارا

متنكرين وامرهم بدخول المدينه وامدهم بمال على سبيل
التجاره وتقدم اليهم ببيع ما معهم وابتياع ما امكنهم من الميره
والمغالاه بها ففعل التجار ذلك ورحل الاسكندر عنهم
فلم يزل التجار يشترون الميره الى ان حصل في ايديهم اكثره فلما علم
الاسكندر ذلك كتب اليهم ان احرقوا الميره التي في ايديكم
واهربوا ففعلوا ذلك وزحف الاسكندر اليها فحاصرهم
اياما يسيره فاعطوه الطاعه وملك المدينه :: وكان ايضا
اذا انصرف عن مثل هذه المدينه شرد من حولها من اهل
القرى ونهددهم بالسبى حتى خرجوا هاربين معتصمين بالمدينه
فلا يزال بذلك حتى يعلم انه قد دخلها اضعاف اهلها واسرعوا
في الميره فيرجع حينئذ فيحاصرهم ويفتح المدينه :: ومما يحكى
عنه انه كتب الى ارسطوطالس يخبره ان في عسكره من الروم

جماعه من خاصته لا يامنهم على نفسه لما يرى من بعد هممهم
وشجاعتهم وكثره آلتهم ولا يرى لهم عقولا تفي بتلك الفضايل
ويكره الاقدام بالقتل عليهم بالظنه مع وجوب الحرمه
فكتب اليه ارسطوطالس فهمت كتابك وما وصفت به
اصحابك فاما ما ذكرت من بعد هممهم فان الوفا من بعد
الهمه واما ما ذكرت من شجاعتهم ونقص عقولهم عنها
فمن كانت هذه حاله فرفهه في معيشته واخصصه بحسان
النساء فان رفاهه العيش توهي العزم وتحبب السلامه
وتباعد من ركوب الخطا والغرر وليكن خلقك حسنا لخلص
لك النيات ولا تتناول من لذيذ العيش ما لا يمكن اوساط اخوتك
مثله فليس مع الاستيثار محبه ولا مع المواساه بغضه واعلم
ان المملوك اذا اشترى لا يسال عن مال مولاه وانما يسال عن خلقه

وكان الاسكندر في الايام التي لقي فيها دارا وجل من محاربته ودعاه
الى الموادعة لما راى كثرة عدته وعتاده وعدد جنده فاستشار دارا
اصحابه في امره فغشوه وزينوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه وكاتبوا
الاسكندر واطمعوه فيه . وكان ملك دارا اربع عشرة سنة
فهدم الاسكندر حصون الفرس وبيوت النيران وقتل الهرابذة
واحرق كتبهم ودواوين دارا وكان معلمه ووزيره ارسطوطالس
يعلمه انه شاهد بابل اشهر رجالا ذوي اصالة في الراي وجمال
في الوجوه لهم مع ذلك صرامة وشجاعة وانه راى لهم هيبات وخلقا
لو كان عرف حقيقتها لما غزاهم وانه انما ملكهم بحسن الاتفاق
والبخت وانه لا يامن ان ظعن عنهم وثوبهم ولا تسكن نفسه الا ببوارهم
وكتب اليه ارسطوطالس فهمت كتابك في رجال فارس فاما
قتلهم فهو من الفساد في الارض ولو قتلتهم لانبتت البلاد امثالهم

لان اقليم بابل يولد امثال هولاء الرجال من اهل العقول والسداد
في الراي والاعتدال في التركيب فصاروا اعداءك واعداء عقبك بالطبع
لانك تكون قد وترت القوم ولكثرت الاحقاد على ارض الروم منهم وممن
بعدهم واخراجك اياهم في عسكرك مخاطرة بنفسك واصحابك ولكني
اشير عليك براي هو ابلغ لك في كل ما تريد من القتل وهو ان تستدعي
اولاد الملوك منهم ومن يستصلح للملك ويترشح له فتقلدهم البلدان
البلدان وتوليهم الولايات ليصير كل واحد منهم ملكا براسه فتتفرق
كلمتهم ويجتمعوا على الطاعة لك ولا يودي بعضهم الى بعض طاعة
ولا يتفقوا على امر واحد ولا تجتمع كلمتهم . ففعل الاسكندر
ذلك فتم امره وامكنه ان يتجاوز ملك الفرس فسار قدما الى ارض
الهند حتى قتل ملكها مبارزة بعد حروب عظيمة هايلة وفتح مدنها
ثم سار الى الصين وصنع بها كصنيعه بارض الهند ثم طاف بها الى القطب

السماوي ورجع الى العراق وخرج منها بعد ان ملك ملوك الطوايف
ثم مات في طريقه بشهرزور ويقال بل في قرية من قرى بابل وكان
عمره ستا وثلثين سنة وملك منها ثلث عشرة سنة واشهرا وقتل
دارا في السنة الثالثة من ملكه وفي الرواية الصحيحة ان الاسكندر
لما انتهى الى بلاد الصين اتاه حاجبه وقد مضى من الليل شطره
فقال هذا رسول ملك الصين بالباب يستاذن في الدخول
عليك قال ادخله فادخله فوقف بين يدي الاسكندر وسلم ثم قال
ان راى الملك ان يستخليني فامر الملك من حضرته ان ينصرفوا فانصرفوا
كلهم وبقي حاجبه فقال ان الذي جئت له لا يحتمل ان يسمعه غيرك
قال فتشوه فلم يوجد معه سلاح فوضع الاسكندر بين يديه سيفا
مسلولا وقال له قف مكانك وقل ما شئت واخرج كل من كان
بقي عنده فقال انا ملك الصين لا رسوله جئت اسلك عما تريده

فان كان مما امكن عمله ولو على اصعب الوجوه عملته واغنيتك عن
الحرب فقال له الاسكندر وما الذي امنك مني قال علمي بانك عاقل
حكيم ولم يكن بيننا عداوة ولا مطالبة بذحل وانك تعلم ان قتلتني
لم يكن ذلك سببا لتسليم اهل الصين اليك ملكهم ولم يمنعهم قتلي من ان
ينصبوا لانفسهم ملكا ثم ينسب الى غير الجميل وضد الحزم فاطرق الاسكندر
وعلم انه رجل عاقل ثم قال له الذي اريد منك ارتفاع مملكتك لثلث
سنين عاجلا ونصف ارتفاع مملكتك لكل سنة قال هل غير
هذا قال لا قال قد اجبتك ولكن سلني كيف تكون حالي بعد ذلك
قال قل كيف يكون حالك قال اكون اول قتيل من محارب واول
اكلة مفترس قال فان قنعت منك بارتفاع سنتين كيف تكون حالك
قال تكون اصلح قليلا وافسح مدة قال فان قنعت منك بارتفاع سنة
قال يكون في ذلك بقاء لملكي وذهاب جميع لذاتي قال فان قنعت

منك بارتفاع الثلث كيف تكون حالك قال يكون السدس للفقرآ
ومصالح البلاد ويكون الباقي للجيش ولساير اسباب الملك فقال
قد اقتصرت منك على هذا فشكره وانصرف فلما طلعت الشمس
اقبل جيش الصين حتى طبق الارض واحاط بجيش الاسكندر حتى خافوا
الهلاك وتواثب اصحابه حتى ركبوا الخيل واستعدوا للحرب
بعد الامن والطمانينة الى السلم فبيناهم كذلك اذ طلع ملك الصين
وعليه التاج وهو راكب فلما ترآى الصفان وراى الاسكندر ملك
الصين قد رآه حضر للحرب فصاح به اغدرت فترجل وقال لا والله
قال فادن مني فدنا وقال ما هذا الجيش الكثير قال اني اردت ان اريك
اني لا اطيعك من قلة وضعف ولكني رايت العالم العلوي مقبلا
عليك ممكنا لك ممن هو اقوى منك واكثر عددا ومن حارب العالم
العلوي غلب فاردت طاعته بطاعتك والتذلل له

بالتذلل لك فقال له الاسكندر ليس مثلك من يسام الذل ولا من يودي
الجزية فما رايت بيني وبينك من الملوك من يستحق التفضيل والوصف
بالعقل غيرك وقد اعفيتك من جميع ما اردته منك وانا منصرف
عنك فقال ملك الصين فلست تخسر ثم انصرف عنه الاسكندر فبعث
اليه ملك الصين بضعف ما قرره معه وبنى الاسكندر
اثنى عشرة مدينة وسماها كلها الاسكندرية منها مدينة جي باصبهان
وثلث مدن بخراسان وهي هراه ومرو وسمرقند وبنى بارض
بابل مدينة لروشنك وبنى بارض يونان سبع مدن وعرض
على ابن للاسكندر الملك بعد وفاه ابيه فابى واختار النسك
فملكت اليونانية على رواية اكثر الناس بطلميوس ثم ملك عدة
منهم يقال لكل واحد منهم بطلميوس كما يقال لملوك الفرس
الاكاسرة وتغلب قوم من اليونانيين بعده على نواحي مصر

والشام واختلف اهل الروايه في عدد ملوك الطوايف الذين ملكوا
اقليم بابل الى ان قام بالملك اردشير بن بابكان فنظم ملك الفرس
فبعضهم يزعم ان اشك وهو ابن دارا الاكبر جمع جمعا كثيرا وسار
الى انطيخس وكان مقيما بسواد العراق من قبل الروم وزحف اليه
انطيخس فالتقيا ببلاد الموصل فقتل انطيخس وغلب اشك على السواد
وصار في يده من الموصل الى الري واصبهان وعظمه سائر ملوك
الطوايف لشرفه وما كان من فعله وبدوا به على انفسهم في كتبهم
وبدا انما كان يكتب اليهم بنفسه وسموه ملكا واهدوا اليه من غير
ان يعزل احدا منهم او يستعمله

ثم ملك جوذرز بن اشكان

وهو الذي غزا بني اسرائيل المره الثانيه وذلك بعد قتلهم يحيى بن زكريا
فسلطه الله عليهم فاكثر القتل فيهم فلم تعد لهم جماعه بعد ذلك

ورفع الله عنهم النبوه وانزل بهم الذل   وكان من ملوك
الفرس بعد الاسكندر ان يخضعوا لمن ملك بلاد الجبل فخضعوا للاشغانيه
واولهم اشك بن اشكان ثم سابور بن اشكان وفي ايامه ظهر عيسى بن مريم
بارض فلسطين   ثم ملك جوذرز بن اشغانان الاكبر
ثم بيري الاشغاني ثم جوذرز الاشغاني ثم نرسي الاشغاني ثم هرمز
الاشغاني ثم اردوان الاشغاني ثم كسرى الاشغاني ثم بلاش الاشغاني
ثم اردوان الاصغر الاشغاني ثم اردشير بابك فكان مده هولا
الى ان وثب اردشير على الاردوان فقتله وجمع امر الفرس مايتين
وستا وستين سنه ولم يقع الينا شي من تدابيرهم يستفاد منه تجربه
الا خبر لبعض الروم وهو ذكر حيله لبعض ملوك
الروم   كان احد ملوك الفرس وجه رجلا من جله قواده في جيش
الى ملك الروم فحاربه فاجلاه الفارسي عن اكثر بلاده حتى فتح

انطاكيه وجاوزها فاوغل في بلاد الروم فجمع ملك الروم روسا
قومه فشاورهم فاشاروا بامور مختلفه حتى انفرد له رجل من اهل
مملكته ولم يكن من ابنا الملوك فقال ان عندي رايا اشير به
فان رزق الله الظفر فما لي عندك قال الملك سل حاجتك
قال اني ابين الراي الصحيح واخاطر فيه بنفسي فاجعل لي الملك من
بعدك قال نعم فوثق له به فقال الرومي ان الفرس قد طمعت في
ملكنا فلم يبق منهم نجد ولا ذو راي الا وجهوه في وجوهنا
وقد ضعفنا عنهم وقد حملوا ذراريهم الى الشام والجزيره فالراي ان
تاذن لي فانتخب من عسكرك خمسه الف رجل ثم احملهم في البحر
واصير من خلفهم فاوكل بمضايق الطرق وصعاب العقاب رجالا
من اصحابي من اهل الباس والنجده فان خبري اذا بلغهم فت في عضدهم
وخبثت قلوبهم ورجعوا الى عيالاتهم واموالهم منقطعين فلا

يمرون بالمواضع التي وكلت بها احد من الفرس الا قتل فلا يسلم الا
القليل الذين اذا صاروا الى الشام اتيت عليهم وتشردهم اسيرا من
خلفهم فاجابه الملك الى رايه وانفذه الى الشام فلما بلغ الفرس
ان الروم قد خلفتهم في اموالهم واهاليهم خرج اكثرهم على وجوههم
منقطعين لا يلوون على شي ومروا بمضايق الطرق فقتل اكثرهم
وخرج ملك الروم الى من بقي منهم فقهرهم فلم يسلم منهم الا القليل
فحول الملك بذلك السبب من اهل بيت المملكه بالروم الى قوم
ليسوا من اهل بيتها بل هم من اهل ارمناقس فبقي فيهم الى هذه
الغايه ۝

ذكر سبب طمع العرب في اطراف الفرس

كما حكينا من امر بختنصر انه انزل الحيره من العرب جماعه فانتقلوا
بعد موته الى الانبار وبقي الحيره خرابا زمانا طويلا لا يطلع
طالع من بلاد العرب ولا يطمع احد منهم في الريف بعدما قصدهم

بختنصر فلما غلب الاسكندر على مملكة الفرس وجعلها مقسومة في
ملوك الطوايف ضعف كل واحد منهم في نفسه وصار عدوه ما قرب
منه من الارض ولكل واحد خندق يقصده الآخر فيغير بعضهم على
بعض ثم يرجع كالخطفة وقد كان كثر في ذلك الزمان اولاد معد
عدنان ومن كان معهم من قبايل العرب وملأوا بلادهم من تهامة
وما يليها وحدثت بينهم احداث وحروب فتفرقوا وخرجوا يطلبون
متسعا في بلاد اليمن ومشارق الشام واقبلت منهم قبايل حتى نزلوا
البحرين وبها جماعة من الازد كانوا نزلوها في زمان ابن ماء السماء
وتحالف القوم الذين خرجوا من تهامة على التنوخ بالبحرين
والتنوخ المقام وكان منهم قوم من قضاعة وقوم من معد
وقوم من اياد فتعاقدوا على التوازر والتناصر وصاروا ابدا
على الناس وصار اسمهم تنوخ ثم لما بلغهم انتشار

امر الفرس واختلاف كلمتهم فطلعت نفوسهم الى ريف العراق
وطمعوا في الفرس وفيما يلي بلاد العرب من اعمالهم او مشاركتهم
فيها واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوايف من الاختلاف فاجمع
رؤساؤهم على المسير الى العراق فلما ساروا وجدوا الارمانيين
وهم القوم الذين بارض بابل وما يليها الى ناحية الموصل يقاتلون
الاردوانيين وهم ملوك الطوايف وهم فيما بين نفر قرية من سواد
العراق الى الابلة واطراف البادية فلم تدن لهم فدفعوهم عن بلادهم
وانما قيل الارمانيين لانه كان يقال لعاد ارم فلما هلكت قيل لثمود
ارم ثم سموا الارمانيين وهم بقايا ارم وهم نبط السواد ويقال
لدمشق ارم ثم طلع قوم من تيم الله وغطفان فمن تبع معهم
من الحلفاء والعشاير على الانبار على ملك الارمانيين وطلع قوم
من كندة وبني فهم ممن حالفهم وتنخ بعضهم على نقر على

ملك الاردوانيين فانزلوا الحيرة فلم تزل طائفة الانبار وطائفة
تقر على ذلك لا يدينون للاعاجم ولا تدين لهم الاعاجم حتى قدمها
تبع وهو اسعد بن ملكيكرب في جيوشه فخلف بها من لم تكن
به قوة ومن لم يقو على الغزو معه ولا الرجوع الى بلاده فانضموا
الى اهل الحيرة وخرج تبع في حمير سائرا ثم رجع اليهم فاقرهم
على حالهم وانصرف الى اليمن وفيهم من كل القبائل من بني لحيان
وهم بقايا جرهم وطيء وكلب وتميم وغيرهم واتصلت جماعتهم
وقووا وكانوا بين الانبار والحيرة الى طف الفرات في المظال
والابنية وكانوا يسمون عرب الضاحية وكان اول من ملك
منهم مالك بن فهم وملوك الفرس طوائف وقد دخل الوهن عليهم
وطمع فيهم ثم ملك اخوه عمرو بن فهم ثم ملك جذيمة الابرش
بن مالك بن فهم فقوي امره وكان جيد الراي شديد النكاية في الاعدا

بعيد المغار فاستجمع له الملك بارض العراق وضم اليه العرب
وغزا بالجيوش وعظمته العرب وكنت عن برص به بالابرش وبالوضاح
فكان تفد عليه الوفود وتجبى اليه الاموال ∴ وكان عنده غلام
من اياد يقال له عدي بن نصر بن ربيعة وضي له جمال وظرف
يلي شرابه فعشقته اخت جذيمة رقاش وما زالت تحتال وتواطيه
حتى زوجها الملك بعدي في سكره فوطئها من ليلته وعلقت
منه فلما اصبح جذيمة وعرف الخبر ندم ندامة شديدة وعرف
عدي الخبر فهرب ولحق باياد حتى هلك واشتملت رقاش على
حبل فولدت غلاما وسمته عمرا فترعرع الغلام وحسن وبرع
فالبسته وحلته وازارته خاله جذيمة فاعجب به واحبه
وخالطه بولده وامر فطوق وهو اول عربي البس طوقا
ثم تزعم العرب ان الجن استهوته زمانا الى ان عاد الى

جذيمة وله خبرٌ وكان قد ملك بارض الجزيرة ومشارف
بلاد الشام عمرو بن ظرب بن حسان العمليقي فجمع جذيمة جموعه
من العرب ليغزوه واقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام فالتقوا
واقتتلوا قتالا شديدا فقتل عمرو بن الظرب وفضت جموعه وغنمه
جذيمة وانصرف موفورا فملكت من بعده ابنته الزبا واسمها
نايله وكان جنودها بقايا من العماليق والعاربة الاولى وقبايل
من قضاعه فلما استحكم ملكها اجمعت على غزو جذيمة الابرش
تطلب بثار ابيها واستشارت اهل الراي فاشير عليها بالعدول
عن الحرب الى المكر واعلموه انها امراه والحرب سجال بين الرجال
وانها لو قد هزمت كان البوار واعلموها من غب مباشرة مثلها
للحرب ما كرهته واشارت عليها اختها ربيبه وكانت ذات
دهاء وارب ان تاتي الامر من جهة الخدع والمكر وان تكتب الى جذيمة

تدعوه الى نفسها وملكها فقبلت ذلك وكتبت اليه انها لم تجد
ملك النسا الا الى قبح في السماع وضعف في السلطان وقلة
ضبط للمملكة وانها لم تجد لملكها موضعا ولا لنفسها كفوا غيرك
فهلم الي واجمع ملكي الى ملكك وصل بلادي ببلادك
وتول تدبيري كله وامري ليموت الضغاين والاحقاد وزوال
عن قلوب الناس ما خامرها من العداوات فلما انتهى كتاب
الزبا الى جذيمة وقدم عليه رسلها بمخاطبات تشبه بهذا
المعنى استخفه ما دعته اليه ورغب فيما اطمعته فيه وجمع
اهل الراي من اصحابه فاستشارهم فاجمع رايهم على ان يسير
اليها ويستولي على ملكها وكان فيهم رجل يقال له قصير
بن سعد وكان سعد هذا تزوج امة لجذيمة فولدت
له قصيرا وكان حازما اريبا اثيرا عند جذيمة فخالفهم فيما

اشار وابه عليه وقال رأى فاتر وعدو حاضر فذهبت مثلاً فنازعوه
الرأي فقال لجذيمة اكتب اليها فلتقبل اليك ان كانت صادقة
فان لم تفعل لم تمكنها من نفسك وقد وترتها وقتلت
اباها فلم يوافق جذيمة ما اشار به عليه قصير وقال جذيمة
لست امرؤ رأيك في الكن لا في الضح فذهبت مثلاً ودعا جذيمة
ابن اخته عمرو بن عدي فاستشاره فشجعه على المسير وقال
هناك نمارة قومي ولو قدروا لصاروا معك فاطاعه وعصى قصيرا
فقال قصير لا يطاع لقصير امر وفي ذلك يقول الشعر اما جذقاه
طلب الاوتار واستخلف جذيمة عمرو بن عدي على ملكه وسلطانه
وسار في وجوه اصحابه فاخذ على الفرات من الجانب الغربي فلما نزل
رحبة مالك بن طوق وكانت تدعى في ذلك الزمان الفرضة
دعا قصيرا فقال ما الرأي فقال ببقة تركت الرأي فذهبت مثلاً

واستقبلته رسل الزباء بالهدايا والالطاف فقال يا قصير كيف
ترى قال خطر يسير في خطب كبير فذهبت مثلاً وستلقاك الخيل
فان سارت امامك فان المرأة صادقة وان اخذت جنبيك فالقوم
غادرون فاركب العصا فاني مساير عليها وكانت العصا فرسا
لجذيمة لا تجارى فلقيته الخيول والكتائب فحالت بينه وبين
العصا فركبها قصير موليا على متنها فقال ويل امه حزما على
ظهر العصا فذهبت مثلاً ونجا قصير وادخل جذيمة على الزباء
فلما رأته كشفت له عن اسبها فاذا هو مضفور فقالت يا جذيمة
اداب عروس ترى فذهبت مثلاً فقال بلغ المدى وجف الثرى
وامر غدر ارى فذهبت مثلاً وثمت حيلتها على جذيمة حتى
قتلته بان قطعت رواهشيه في خبر طويل وامثال محفوظة
فهلك جذيمة وخرج قصير حتى قدم على عمرو بن عدي

وهو بالحيرة فقال له قصير أداثر أم ثائر فقال بل ثائر سائر

فذهبت مثلا

ذكر حيلة لقصير على الزباء تمت له عليها

كانت الزباء قد سألت الكهنة والمنجمين عن أمرها وملكها فقالوا نرى هلاكك بسبب غلام مهين غير أمين ووصفوا قصيرا وعمرو بن عدي وقالوا لن تموتي بيده ولكن حتفك بيدك ومن قبله ما يكون فحذرت عمرا واتخذت نفقا من مجلسها الذي كانت تجلس فيه الى حصن لها داخل مدينتها وقالت ان فجأني أمر دخلت النفق الى حصني ثم دعت مصورا حاذقا فجهزته وقالت سر حتى تقدم على عمرو بن عدي متنكرا فتخلو بحشمه وتخالطهم بما عندك من التصوير ثم أثبت عمرو بن عدي معرفة فصوره جالسا وقائما وراكبا ومتفضلا ومتسلحا بهيئته ولبسته وثيابه ولونه فاذا احكمت ذلك فأقبل الي فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدي

وبلغ جميع ما وصته به ثم رجع اليها بما وجهته له من الصور فعرفت عمرا على جميع هيآته وحذرته ثم ان قصيرا قال لعمرو اجدع انفي واضرب ظهري ودعني واياها فقال عمرو وما انا بفاعل وما انت مستحق مني لذلك فقال قصير خل عني اذا وخلاك ذم فذهبت مثلا وقال له عمرو فانت ابصر فجدع قصير انف نفسه واثر بظهره وقيل فيه الاشعار وخرج قصير كأنه هارب واظهر ان عمرا فعل به ذلك وانه يزعم انه مكر بخاله جذيمة وغره من الزباء فسار قصير حتى قدم على الزباء فقيل لها ان قصيرا بالباب فأمرت به فأدخل عليها فاذا انفه قد جدع وظهره قد ضرب فقالت ما الذي ارى بك يا قصير قال زعم عمرو اني غررت خاله وزينت له المسير اليك وغششته ومالأتك عليه ففعل بي ما ترين فأقبلت اليك وعرفت اني لا اكون مع احد هو اثقل

عليه منك فاكرمه واصابت عنده حزما ورايا وتجربة ومعرفة
بامور الملوك فلما علم انها قد وثقت به واسترسلت اليه قال لها
ان لي بالعراق اموالا كثيرة وبها طرايف وثياب وعطر فابعثيني الى
العراق لاحمل مالي واحمل اليك من بزوزها وطرايف ثيابها وصنوف
ما يكون بها من الامتعة والطيب والتجارات فتصيبين ما لا غنا للملوك
عنه مع ارباح عظيمة فان لا طرايف كطرايف العراق فلم يزل
بها يزين لها ذلك حتى سرحته ودفعت اليه اموالا وجهزت معه
عيرا وقالت انطلق الى العراق فبع بها ما جهزناك به وابتع لنا
طرايف ما يكون بها فسار قصير واتى الحيرة متنكرا فدخل على عمرو
واخبره بالخبر وقال جهزني بالبز والطرف من الامتعة لعل الله
يمكن من الزبا فتصيب ثارك وتقتل عدوك فاعطاه حاجته
وجهزه بصنوف الثياب وغيرها ثم رجع بذلك كله الى الزبا

فعرضه عليها فاعجبها ما رات وازدادت به ثقة واليه اطمانينة
ثم جهزته باكثر مما كانت جهزته به فسار حتى قدم العراق ولقي عمرو
عدي وحمل من عنده ما ظن انه موافق للزبا ولم يترك جهدا ولا حيلة
في طرفه ولا متاع قدر عليه الا حمله اليها ثم عاد الثالثة الى العراق
فقال لعمرو اجمع الي ثقات قومك واصحابك وجندك وهيئ لي الغراير
والمسوح واحمل كل رجلين في غرارتين وجعل معقد رؤوس الغراير
من باطنها وقال اذا دخلنا مدينة الزبا اقمتك على باب نفقها وخرجت
الرجال من الغراير فصاحوا باهل المدينة فمن قاتلهم قتلوه واذا اقبلت
الزبا تريد النفق جللتها بالسيف ففعل عمرو بن عدي جميع ذلك فلما قرب
من المدينة تقدم قصير اليها فبشرها واعلمها كثرة ما حمل اليها من
الثياب وسالها ان تخرج فتنظر الى قطرات تلك الابل وما عليها من
الاحمال وكان قصير يكمن النهار ويسير بالليل فخرجت الزبا فابصرت

الابل فلما توسطت الابل المدينة انيخت ودل قصير عمرا على
باب النفق وخرجت الرجال من الغرائر وصاحوا باهل المدينة ووضعوا
فيهم السلاح وقام عمرو بن عدي بباب النفق واقبلت الزباء مبادرة
تريد النفق لتدخله فابصرت عمرا قائما فعرفته بالصورة التي صورها
المصور فمصت خاتمها وكان فيه سم وقالت بيدي لا بيدك يا عمرو وتجللها
بالسيف فقتلها واصاب ما اصاب وانكفا سالما وصار الملك
بعد جذيمة لعمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة بن الحرث بن مالك بن عمرو
بن نمارة بن لخم وهو اول من اتخذ الحيرة منزلا من ملوك العرب واليه
تنسب ملوك آل نصر ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة لا يدينون
لملوك الطوائف ولا يدينون له حتى قدم اردشير بن بابك في اهل
فارس فكان من امرهم ما كان ولم يكن لملوك اليمن نظام قبل
آل نصر وانما كان الرئيس يكون ملكا على مخلافه ومحجره لا يتجاوزه

فان نبغ منهم نابغ مثل تبع وغيره فتجاوز ذلك فانما هو عن غير
نظام ولا ملك موطد ولا امانة ولا ابناء آبائه ولكن كالذي يكون
من بعض من تشرد فيغير عند الغرة فاذا قصده الطلب لم يكن له
ثبات وكذلك كان امر ملوك اليمن كان الواحد بعد الواحد في
قديم الدهر يخرج من مخلافه ومحجره اياما فيصيب ما مر به ثم ينشمر
عند الطلب راجعا الى موضعه من غير ان يدين له احد من غير
اهل مخلافه ومحجره بالطاعة او يؤدي اليه خرجا الا ما يصيب على
جهة الغارة. حتى كان عمرو بن عدي لابن اخت جذيمة فانه
اتصل له ولعقبه ولاسبابه الملك على من كان بنواحي العراق
وبادية الحجاز باستعمال ملوك فارس اياهم واستكفائهم امر من
وليهم من العرب ومن اساء السيرة فاصطلم طسم
وجديس وكانوا في ايام ملوك الطوائف فاما طسم فكان الملك

فيهم وكانوا ساكني اليمامة وهي اذ ذاك من اخصب البلاد
واعمرها واكثرها خيرا لهم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق
والقصور الشامخة وكان ملكهم ظلوما غشوما يا دبا هواه وكان
مما لقوا من ظلمه انه امر الا تهدى بكر من جديس الى زوجها حتى
تدخل عليه فيفترعها فغبروا على ذلك دهرا حتى انف منهم رجل يقال له
الاسود بن غفار فقال لرؤساء قومه قد ترون ما نحن فيه من العار
والذل الذي ينبغي للكلاب ان تعافه وتمتعض منه فاطيعوني
فاني ادعوكم الى عز الدهر ونفي الذل قالوا وما ذاك فاخذ عهودهم
الى ان وثق ثم قال اني صانع للملك طعاما فاذا حضر نهضنا اليهم
باسيافنا فانفردت به فقتلته واجهز كل رجل منكم على جليسه
فاجابوه الى ذلك واجمع رايهم عليه فاتخذ طعاما وامر قومه
فانتضوا سيوفهم ودفنوها في الرمل وقال اذا اتاكم

القوم يرفلون في حللهم فخذوا سيوفكم ثم شدوا عليهم قبل ان ياخذوا
مجالسهم ثم اقتلوا الرؤسا فانكم اذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئا
وحضر الملك فقتل وقتل الرؤسا ثم شدوا على البقية فافنوهم
فهرب رجل من طسم يقال له رياح بن مرة حتى اتى حسان بن تبع
فاستغاث به فخرج حسان تبع في حمير فلما كان من اليمامة على
ثلث قال له رياح ابيت اللعن ان لي اختا متزوجة في جديس
يقال لها اليمامة ليس على وجه الارض ابصر منها انها لتبصر
الراكب من مسيرة ثلث واني اخاف ان تنذر القوم فمر اصحابك
فليقطع كل رجل منهم شجرة فيجعلها امامه ففعلوا ذلك فابصرتهم
فقالت لجديس لقد سارت حمير وكذبوها وقالوا ما الذي ترين قالت
ارى رجلا في شجرة معه كتف يتعرقها او نعل يخصفها فلم يسمعوا
منها ولم يتاهبوا وكان كما قالت وصبحهم حسان فاباد هم

واخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم واتى حسان باليمامه
ففقا عينها وقالت العرب في ذلك الاشعار وهي معروفه ثم
لما استولى اردشير بن بابك على الارمانيين وهم ملوك العراق
وانباط السواد وكان كل واحد منهم يقاتل صاحبه فاستولى اردشير
عليهما وقتل الاردوان وسمى شاهنشاه كره كثير من تنوخ ان يقيموا
في مملكته فخرجوا فلحقوا بالشام وانضموا الى من كان هناك وكان
ناس من العرب يحدثون الاحداث او تضيق بهم المعيشه فيخرجون
الى ريف العراق وينزلون الحيره على ثلثه اثلاث الثلث تنوخ
وهو من كان يسكن المظال وبيوت الشعر والوبر في غربي الفرات
فيما بين الحيره والانبار وما فوقها والثلث الثاني العباد وهم الذين
سكنوا الحيره وابتنوا بها والثلث الثالث الاحلاف وهم الذين
لحقوا باهل الحيره ونزلوا فيهم ممن لم يكن من تنوخ الوبر

ولا من العباد الذين دانوا لاردشير وكانت الحيره والانبار جميعا بنيتا
في زمن بختنصر فخربت الحيره لما تحول اهلها عند هلاك بختنصر الى
الانبار وعمرت الانبار خمس مايه وخمسين سنه الى ان عمرت الحيره
في زمن عمرو بن عدي باتخاذه اياها منزلا فعمرت الحيره خمس مايه
وبضعا وثلثين سنه الى ان وضعت الكوفه ونزلها المسلمون ودبر
اردشير امر الفرس والعرب ورد نظام الملك وكان حازما اريبا
كثير الاستشاره طويل الفكر معتمدا على رجل فاضل من الفرس في تدبيره
يعرف بتنسر وكان زهيدا فلم يزل يدبر امره ويجتمع معه على
سياسة الملك الى ان اطاعه من جاوره من ملوك الطوايف
وعرفوا فضله ودخلوا تحت رايته رهبة ورغبة وحارب من امتنع
منهم عليه وله مكايد وحروب يطول الكتاب بذكرها فمن احسن
ما حفظ له عهده الى الملوك بعده وهذه نسخته ::

باسم ولي الرحمه   من ملك الملوك اردشير
بابك الى من يخلفه بعقبه من ملوك فارس السلم والعافيه
اما بعد فان صنيع الملوك على غير صنيع الرعيه فالملك
يطغيه العز والامن والسرور والقدره على طباع الانفه
والجراه والعبث والبطر ثم كلما ازداد في العمر تنفسا وفي الملك
سلامه ازداد في هذه الطبائع الاربعه حتى تسلمه الى سكر
السلطان الذي هو اشد من سكر الشراب فينسى النكبات والعثرات
والغير والدوائر وفحش تسلط الايام ولوم غلبه الدهر فيرسل
يده ولسانه بالفعل والقول وقد قال الاولون منا عند حسن
الظن بالايام تحدث الغير   وقد كان من الملوك من يذكره
عزه الذل وامنه الخوف وسروره الكابه وبطره بالسوقه
ولا حزم الا في جميعها ان   لتعلموا ان الذي انتم

لاقون بعدي هو الذي لقيني من الامور وهي بعدي وارده عليكم
فيا بتكم السرور والاذى في الملك من حيث اتاني وان منكم من
سيركب الملك صعبا فيمنى من شماسه وجماحه وخبطه واعتراضه
بمثل الذي منيت به   ومنكم من سيرث الملك عن الكفاه المذللين
له مركبه ويجري على لسانه ويلقى في قلبه ان قد فرغ له وكفي
واكتفى وفرغ للسعي في العبث والملاهي وان من قبله من الملوك
الى التوطيد له اجروا وفي التذليل له سعوا وان قد خص بما حرموا
واعطي ما منعوا فيكثر ان يقول مسرا ومعلنا خصوا بالعمل
وخصصت بالدعه وقدموا قبلي الى الغرر وخلقت في الثقه
وهذا الباب من الابواب التي تلبس سكور الفساد ويهاج بها قربات
البلا ويغني البصر اللطيف ما ينتهك من الامور في ذلك
فانا قد راينا الملك الرشيد السعيد المنصور المكفي المظفر

الحازم في الفرصة البصير بالعورة اللطيف المبسوط له في
العلم والعمر المجتهد فلا يعدو اصلاح مملكته حياته الا ان يتشبه
به متشبه ؞ ورأينا الملك القصير عمره القريبة مدته اذا
كان سعيه بارسال اللسان بما قال واليد بما عملت بغير تدبير
يدرك افسد جميع ما قدم له من الصلاح قبله وخلف المملكة خرابا
على من بعده ؞ وقد علمتم انكم ستبلون مع الملك بالازواج
والاولاد والقرنا والوزرا والاخدان والانصار والاصحاب والاعوان
والمتنصحين والمتقربين والمعجبين والمزينين كل هولا الا قليلا ان
ياخذ لنفسه احب اليه من ان يعطي منها وانما عمله لسوق يومه وجاه
غده فنصيحة الملوك فضل نصيحته لنفسه وغاية الصلاح عنده صلاح
نفسه وغاية الفساد عنده فسادها يجعل نفسه هي العامة والعامة هي
الخاصة فان خص بنعمة دون الناس فهي عنده نعمة عامة واذا عم

الناس بالنصر على العدو والعدل في البيضة والامن على الحرم والحفظ
للاطراف والرافة من الملك والاستقامة من الملك ولم يخصص من ذلك
بما يرضيه سمى تلك النعمة نعمة خاصة ثم اكثر شكيته الدهر ومذمته
الامور يقيم للسلطان سوق المودة ما اقام له سوق الارباح
ولا يعلم ذلك الا الوزير والقرين ان في التماس الربح على السلطان فساد
جميع الامور وقد قال الاولون منا رشاد الوالي خير للرعية من خصب
الزمان ؞ واعلموا ان الملك والدين اخوان توأمان لا قوام
لاحدهما الا بصاحبه لان الدين اس الملك وعماده وصار
الملك بعد حارس الدين فلا بد للملك من اسه ولا بد للدين من حارسه
فان ما لا حارس له ضائع وان ما لا اس له مهدوم وان راس ما اخاف
عليكم مبادرة السفلة اياكم الى دراسة الدين على التهاون بكم
فيحدث في الدين رياسات مستسرات فيمن قد وترتم وجفوتم

وحرمتهم واعفتهم وصغرتهم من سفلة الناس والرعية وحشو العامة
ولم يجتمع رئيس في الدين مسرّ ورئيس في الملك معلن في مملكة واحدة
قط الا انتزع الرئيس في الدين ما في يد الرئيس في الملك لان الدين أسّ
والملك عماد وصاحب الاس اولى بجمع البنيان من صاحب العماد وقد مضى
قبلنا ملوك كان الملك منهم يتعهد الجملة بالتفسير والجماعات بالتفصيل
والفراغ بالاشغال كتعهده جسده بقص فضول الشعر والظفر وغسل
الدرن والغمر ومداواة ما ظهر من الادواء وما بطن وقد كان من
اولئك الملوك من صحة ملكه احب اليه من صحة جسده وكان بما
تخلفه من الذكر المحمود افرح وابهج منه بما يسمعه باذنه في حياته
فتتابعت تلك الاملاك بذلك كانهم ملك واحد وكان ارواحهم
روح واحدة يمكن اولهم لآخرهم ويصدق آخرهم اولهم يجمع انباء اسلافهم
ومواريث آرائهم وصياغات عقولهم عند الباقي منهم بعدهم وكانهم جلوس

معا يتحدثون ويتشاورون حتى كان على راس دارا بن دارا ما كان
وغلبة الاسكندر على ما غلب من ملكنا فكان افساده امرنا وتفريقه
جماعتنا وتخريبه عمران مملكتنا ابلغ له فيما اراد من سفك دمائنا
فلما اذن الله في جمع مملكتنا ودولة احسابنا كان من ابتعاثه ايانا ما
كان وبالاعتبار يتقى العبر ومن خلفنا اوجد للاعتبار منا لما استدبرنا
من اعاجيب ما اتى علينا اعلموا ان سلطانكم انما هو
على اجساد الرعية وانه لا سلطان للملوك على القلوب واعلموا
انكم ان غلبتم الناس على ذات ايديهم فلن تغلبوهم على عقولهم
واعلموا ان العاقل سال عليكم لسانه وهو اقطع سيفيه
وان اشد ما يضر بكم به من لسانه ما صرف الحيلة فيه الى الدين وكان
بالدين يحتج وللدين فيما يظهر يغضب فيكون للدين بكاؤه واليه
دعاؤه وهو اوجد للتابعين والمصدقين والمناصحين والموازرين

منكم لان بعضة الناس هي موكلة بالملوك ومحبتهم ورحمتهم
موكله بالضعفا المغلوبين وقد كان من قبلنا من الملوك يحتالون
لعقول من يحذرون بتجربتها فان العاقل لا تنفعه تجربته اذا
صير عقله خرابا ه وكانوا يحتالون للطاعنين بالدين على
الملوك فيسمونهم المبتدعين فيكون الدين هو الذي يقتلهم ويريح
الملوك منهم ه ولا ينبغي للملك ان يعترف للعباد والنساك
ان يكونوا اولى بالدين ولا احدب عليه ولا اغضب له منه ولا ينبغي
للملك ان يدع النساك بغير الامر والنهي لهم في نسكهم فان خروج
النساك وغير النساك من الامر والنهي عيب على الملوك وعيب
على المملكة وثلمة يتسنمها الناس بينة الضرر للملك ولمن بعده
واعلموا ان مصير الوالي الى غير احداثه وتغريبه غمره وذرابه فتح الابواب
المحجوب عنه علمها ه وقد قيل اذا استوحش الوالي ممن لم

يوطن نفسه عليه اطبقت عليه ظلم الجهالة ه وقيل اخوف
ما تكون العامة آمن ما تكون الوزراء ه اعلموا ان دولتكم
تؤتى من مكانين احدهما غلبة بعض الامم المخالفة لكم والآخر
فساد آدابكم ولن يزال حريمكم من الامم محروسا ودينكم من غلبه
الآداب محفوظا ما عظمت فيكم الولاة ه وليس تعظيمهم بترك
كلامهم ولا اجلالهم بالتنحي عنهم ولا المحبة لهم بالمحبة لكل ما
يحبون ولكن تعظيمهم تعظيم آدابهم وعقولهم واجلالهم
اجلال منزلتهم من الله ومحبتهم محبة اصابتهم وحيابة الصواب
عنهم ه واعلموا انه لا سبيل الى ان تعظم الوالي الا
بالاصابة في السياسة وراس اصابة السياسة ان يفتح الوالي لمن
قبله من الرعية بابين احدهما باب رقة ورحمة وبشر وتهلل
وانبساط وانشراح ه والآخر باب غلظة وخشية وتعنت

ونسدد وامساك ومباعدة وافضا ومخالفة ومنع وقطوب
وانقباض ومحقرة الى ان يبلغ القتل ٥ واعلموا اني لم اسم
هذا الباب باب رفق وباب عنف ولكني سميتهما جميعا بابي
رفق لان فتح باب المكروه مع باب السرور وهو اوشك للغلظة
حتى لا يبتلى به احد في الرعية من الاهوا الغالبة للراي والفجور
المستثقل للدين والسفلة الخفيفة على الوجوه بالنفاسة والحسد
ما لا بد معه ان يقرن بباب الوافد باب الغلظة وبباب الاستقصا
باب القتل وقد يفسد الوالي بعض الرعية من حرصه على صلاحهما
وتغلظ عليهما من رقته لها ويقبل منهما من حرصه على حياتهما
واعلموا ان قتالكم الاعدا من الامم قبل قتالكم الادب من انفس
رعيتكم ليس بحفظ ولكنه اضاعة وكيف نجا هذا العدو وبقلوب
مختلفة وابدن متعادية وقد علمتم ان الذي بني عليه الناس

وجبلت عليه الطباع حب الحيوة وبغض الموت فلا دفع ولا منع
ولا صبر ولا محاماة مع هذا الا باحد وجهين اما بنية والنية
ما لن يقدر عليه الوالي عند الناس بعد النية التي تكون في اول الدولة
واما بحسن الادب واصابة السياسة ٥ واعلموا ان بدء
ذهاب الدول من قبل اهمال الرعية بغير اشغال معروفة ولا
اعمال معلومة فاذا فشا الفراغ تولد منه النظر في الامور
والفكر في الاصول فاذا نظروا في ذلك نظروا فيه بطبايع
مختلفة فتختلف بهم المذاهب ويتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديهم
وتضاغنهم وتطاعنهم وهم في ذلك مجتمعون في اختلافهم على
بغض الملوك لان كل صنف منهم انما الجرى الى فجيعة الملك بملكه
ولكنهم لا يجدون سلما الى ذلك اوثق من الدين ولا اكثر اتباعا ولا
اعز امتناعا ولا اشد على الناس صبرا ؛ ثم يتولد من تعاديهم

ان الملك لا يستطيع جمعهم على هوى واحد فاذا انفرد بعضهم
فهو عدو لبقيتهم ثم يتولد من عداوتهم لكثرتهم فان من شان العامة
الاجتماع على استثقال الولاة والنفاسة عليهم لان في الرعية المحروم
والمضروب والمقام عليه وفيه وفي حميمه الحدود والداخل عليه
بعز الملك الذل في نفسه وخاصته فكل هولا يجري الى امنا نعه
اعدا الملك ثم يتولد من كثرتهم ان يجبن الملك عن الاقدام
عليهم فان اقدام الملك على جميع الرعية تغرير بملكه ونفسه ويتولد
من جبن الولاة عن تاديب العامة تضييع الثغور التي فيها الامة من
ذوي الدين وذوي الباس لان الملك ان سد الثغور بخاصته المناصحين
له وخلت به العامة الجاسرة المعادية لم يعد بذلك تدريبهم في
الحرب وتقويتهم في السلاح وتعليمهم المكيدة مع البغضة منهم
عند ذلك اقوى عدو واحضره واخلقه بالظفر ولابد من استطراد

هذا كله اذا ضيع اوله فمن القى منكم الرعية تعدي وهي على
حال اقسامها الاربعة التي هي اصحاب الدين والحرب والتدبير ١١
والخدمة من ذلك الاساورة صنف والعباد والنساك وسدنة
النيران صنف والكتاب والمنجمون والاطبا صنف والزراع
والمهان والتجار صنف فلا يكونن باصلاح جسده اشد اهتماما
منه باحيا تلك الحال وتفتيش ما يحدث فيها من الدخلات ولا يكونن
لانتقاله عن الملك باجزع منه من انتقال صنف من هذه الاصناف
الى غير مرتبته لان تنقل الناس عن مراتبهم سريع في نقل الملك عن
ملكه اما الى خلع واما الى قتل فلا يكونن من شي من الاشيا اوحش
عنده من راس صار ذنبا او ذنب صار راسا او يد مشغولة احدثت
فراغا او كريم ضري او لئيم مرح فانه يتولد من تنقل الناس
عن حالاتهم ان يلتمس كل امرئ منهم اشيا فوق مرتبته

فاذا انتقل اوشك ان يرى اشيا ارفع مما انتقل اليه فيغبط
ويتنافس وقد علمتم ان من الرعية اقواما هم اقرب الناس من
الملوك حالا وفي تنقل الناس عن حالاتهم مطمعة للذين يلون
الملوك في الملك ومطمعة للذين دون الذين يلون الملوك
في تلك الحال وهذا لقاح بوار الملك ∴ ومن القي منكم الرعية
وقد اضيع اول امرها فالقاها في اختلاف من البين واختلاف من
المراتب وضياع من العامة وكانت به على المكاثرة قوة فليكاثر
بقوته ضعفهم وليبادر بالاخذ باكظامهم قبل ان يبادروا
بالاخذ بكظمه ولا يقولن اخاف العسف فانما يخاف العسف
من يخاف جريرة العسف على نفسه فاما اذا كان العسف
لبعض الرعية صلاحا لبقيتها وراحة له ولمن بقي معه من الرعية
من الثقل والدغل والفساد فلا يكونن الى شي باسرع منه الى

ذلك فانه ليس نفسه ولا اهل موافقته يعسف ولكنما يعسف
عدوه ∴ ومن القي منكم الرعية في حال فسادها ولم ير نفسه
عليها قوة في صلاحها فلا يكونن لقميص قمل باسرع خلعا منه
لما ليس من ذلك الملك وليأته البوار اذا اتاه وهو غير مذكور
بشوم ولا منوه به في دنياه ولا مهتوك به ستره في دينه ∴
واعلموا ان فيكم من يسترخي الى اللهو والدعة ثم يرى من
ذلك ما يورثه خلقا وعادة فيكون ذلك لقاح جد لا لهو فيه وتعب
لا خفض فيه مع الهجنة في الراي والفضيحة في الذكر وقد قال
الاولون منا لهو رعية الصدق بتفريط الملوك ولهو ملوك الصدق
بالتودد الى الرعية ∴ واعلموا ان من شانكم الا تيسر تيسيره
الا فرطت له بفعل ومن شانكم بعث العيون على نفسه فاذ كان هذا
فلم يكن الناس يعيبون نفوسهم باعلم منه بعيبه ∴ ثم انه ليس منكم

ملك آل الكبر الذكر لمن يلي الامر بعده ومن فساد الرعية تشتت
امور ولاة العهود فان من ذلك من الفساد ان اوله دخول عداوة
ممضة بين الملك وولي عهده وليس يتعادى متعاديان باشد من
ان يسعى كل واحد منهما في قطع سؤل صاحبه فهذا الملك وولي
عهده لا يسر الارفع ان يعطى الاوضع سؤله في فنائه ولا يسر
هذا الاوضع ان يعطى الآخر سؤله في البقا ومتى يكن فرح
احدهما في الراحة من صاحبه يدخل كل واحد منهما وحشة من صاحبه
في طعامه وشرابه ومتى بدا بالتهمة يتخذ كل واحد منهما وغرا
على اخا صاحبه ثم يتساق الامور الى هلاك احدهما لا بد منه
من القا فقضى الامور الى الآخر وهو حنق على جيل من الناس يرى
انه موتور ان لم يحرمهم ويبغضهم وينزل بهم التي كانوا يريدون انزالها
به لو ولوا فاذا وضع بعض الرعية واسخط بعضا على هذه الجهة

تولد من ذلك ضغن وسخط من الرعية ثم تراقى ذلك الى بعض ما احذر
عليكم بعدي ولكن ليختر الوالي منكم لله ثم للرعية ثم لنفسه وليا
للعهد من بعده ثم يكتب اسمه في اربع صحائف فيختمها بخاتمه فيضعها
عند اربعة نفر من خيار اهل المملكة ثم لا يكون منه في سر ولا في علانية
امر يستدل به على ولي ذلك العهد لا في ادنا وتقريب يعرف به ولا
في اقصا ونكب يستراب له وليتق ذلك في اللحظة والكلمة فاذا هلك
جمعت تلك الكتب التي عند الرهط الاربعة الى النسخة التي عند الملك
ففضضن جميعا ثم نوه بالذي وضع اسمه في جميعهن فيلقى الملك اذا القيه
بحداثة عهده بحال السوقة فيلبس ذلك الملك اذا لبسه ببصر السوقة
وسمعها ورايها فان في سكر السلطان الذي يساله ما يكتفي به له من سكر
ولاية العهد مع سكر الملك فيصم ويعمى قبل لقا الملك وكصم الملوك
وعماهم ثم يلقى الملك فيزيده صمما وعمى مع ما يلقى في ولايته

العهد من وطر السلطان وحيلة العناة وبغي الكذابين وسعاية النمامين
وتحميل الوشاة بينه وبين من فوقه ثم اعلموا انه ليس للملك
ان يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه وليس له ان يغضب لان
الغضب والعداوة لقاح الشر والندامة وليس له ان يلعب ولا يعبث
لان العبث واللعب من عمل الفراغ وليس له ان يفرغ لان الفراغ
من امر السوقة وليس له ان يحسد الا ملوك الامم على حسن التدبير
وليس له ان يخاف لان الخوف من المعوز وليس له ان يتسلط اذ هو
معوزه واعلموا ان زين الملوك في استقامة الحال ان لا
تختلف منه ساعات العمل والمباشرة وساعات الفراغ والدعة
وساعات الركوب والنزهة فان اختلافها منه خفة وليس للملك
ان يخف اعلموا انكم لن تقدروا على ختم افواه الناس
من الطعن والازراء عليكم ولا قدرة بكم على ان تجعلوا القبيح حسنا

واعلموا ان لباس الملك ومطعمه مقارب للباس السوقة ومطعمهم
وبالحري ان يكون فرحهما بما نالا من ذلك واحدا وليس فضل الملك
على السوقة الا بقدرته على اقتناء المحامد واستفادة المكارم فان الملك
اذا شاء احسن وليس السوقة كذلك واعلموا انه يحق على
الملك منكم ان يكون الطف ما يكون نظرا اعظم ما يكون خطرا والا
يذهب حسن اثره في الرعية خوفه لها والا يستغني بتدبير اليوم عن
تدبير غد وان يكون حذره للملاقين اشد من حذره للمباعدين
وان يتقي بطانة السوء اشد من اتقائه عامة السوء ولا يطمعن ملك
في اصلاح العامة اذا لم يبدأ بتقويم الخاصة واعلموا ان لكل
ملك بطانة وان لكل رجل من بطانته بطانة ثم لكل امرئ من بطانة
البطانة بطانة حتى يجتمع في ذلك اهل المملكة فاذا اقام
الملك بطانته على حال الصواب اقام كل امرئ منهم بطانته

على مثل ذلك حتى تجمع على الصلاح عامة الرعية ٥

اعلموا ان الملك منكم قد تهون عليه العيوب لانه لا يستقبل بها وان عملها حتى يرى ان الناس يتذاكرونها بينهم لمكان هيبتهم اياه تلك العيوب وهذا من الابواب الداعية الى طاعة الهوى وطاعة الهوى داعية الى غلبته فاذا غلب الهوى اشتد علاجه من السوقة المغلوب فضلا عن الملك الغالب ٥

اتقوا بابا واحدا طالما امنته فضرني وحذرته فنفعني احذروا افشا السر عند الصغار من اهليكم وخدمكم فانه لا يصغر احد منهم على حمل ذلك السر كاملا لا يحول منه شيئا حتى يضعه حيث يكرهون اما سقطا واما غشا والسقط اكثر ذلك ٥

اجعلوا حديثكم لاهل المراتب وحباكم لاهل الجهاد وبشركم لاهل الدين وسركم عند من يلزمه خير ذلك وشره وزينه وشينه ٥

اعلموا ان صحة الظنون مفاتيح اليقين وانكم ستستيقنون من بعض رعيتكم الخير والشر وستظنون ببعضهم خيرا وشرا فمن استيقنتم منه بالخير والشر فليستيقن منكم بهما ومن ظننتموهما به فليظنهما بكم في امره فعند ذلك يبدوا من المحسن احسانه فتخالف الظن فيغبط ومن المسيء اساءته فيصدق الظن به فيندم ٥ واعلموا ان للشيطان في ساعات من الدهر طمعا في السلطان عليكم منها ساعة الغضب والحرص والزهو فلا تكونوا له في شيء من ساعات الدهر اشد تفقدا منكم عندهن حتى تنقشعن وكان يقال اتق مقارنة الحريص الغادر فانه ان رآك في القرب رأى منك اخبث حالاته وان رآك في الفصول لم يدع فضولك ٥ اسعدوا الراي على الهوى فان ذلك تمليك للراي واعلموا ان من شان الراي الاستخدام للهوى اذا جرى الهوى على عادته وقد عرفنا

رجالا كان الرجل منهم يونس من قوة طباعه ونباله رايه ما تريه
نفسه انه على ازاحة الهوى عنه وان جرى على عادته ومعاودته
الراي وان طال به عهده فاذن لبقية تجدها بقوة الراي فاذا تمكن
الهوى منه فسخ عزم رايه حتى يسميه كثير من الناس ناقصا في
العقل ه فاما البصرا فيستبينون من عقله عند غلبة الهوى
عليه ما يستبان من الارض الطيبة الموات ه واعلموا ان
في الرعية صنفا من الناس هم باساءة الوالي افرح منهم باحسانه
وان كان الوالي لم يترهم وكان الزمان لم ينكبهم وذلك لاستطراف
حادثات الاخبار ه فان استطراف الاخبار معروف من اخلاق
حشو الناس ثم لا طرفة عندهم فيما اشتهر فجمعوا في ذلك سرور
كل عدو لهم ولعا منهم معاونة لانفسهم عدوة لائمتهم فلا ادوا
لولاتهم الا بالاشغال ه وفي الرعية صنف خبروا الناس

كلهم وهم الذين قووا على جفوة الولاة ومن قوي على جفوتهم
فهو غير ساد ثغرا ولا مناصح اماما ومن غش الامام فقد غش العامة
وان ظن انه للعامة مناصح وكان يقال لم ينصح عملا من غش
عامله وفي الرعية صنف تركوا ابواب الملوك من قبل ابوابهم
واتوهم من قبل وزرائهم فليعلم الملك منكم ان من اتاه من قبل
بابه فقد اثره بنصيحته ان كانت عنده ومن اتاه من قبل وزرائه
فهو مؤثر للوزير على الملك في جميع ما يقول ويفعل ه وفي 11
الرعية صنف دعوا الى انفسهم الجاه بالاباء والرداءة وجدوا ذلك
عند المغفلين نافقا وربما قرب الملك الرجل من اولئك لغير نبل في
راي ولا اجزاء في العمل ولكن الاباء والرداءة اغرياه به ه وفي الرعية
صنف اظهروا التواضع واستشعروا الكبر فالرجل منهم يعظ
الملوك زاريا عليهم بالموعظة يجد ذلك اسهل طريقي طعنه عليهم

ولا يسمى هو ذلك وكثير ممن معه نجوى باللين فإن أراد الملك هوانهم
لم يعرف لهم ذنبا يهانون عليه وإن أراد إكرامهم فهي منزلة حبوا
بها أنفسهم على رغم الملوك وإن أراد إسكاتهم كان السماع في
ذلك أنه استثقل ما عندهم من حفظ الدين وإن أمروا بالكلام قالوا
إنما نفسد ولا نصلح فأولئك أعداء الدول وآفات الملوك فالأولى بالملوك
نفيهم من الدنيا فإنهم إليها أجروا وفيها عملوا ولها سعوا
وإياها أرادوا فإذا لم يؤتوا فيها بدين فضائحهم والآفات فهم الحربون
ما جعل للملوك سلما إلى سفك دمائهم. وكان بعض الملوك
يقول القتل أقل للقتل. وفي الرعية صنف أتوا الملوك من
قبل النصائح لهم والتمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس
فأولئك أعداء الناس وأعداء الملوك ومن عادى الملوك وجميع
الرعية فقد عادى نفسه. واعلموا أن الدهر

حاملكم على طبقات منهم حال السخاء حتى يدنو من السرف
ومنهم حال التقدير حتى يقرب من البخل، ومنهم حال الأناة حتى
يصير إلى البلادة، ومنهم حال المناهزة للفرصة حتى يدنو من
الخفة، ومنهم حال الطلاقة في اللسان حتى يدنو من الهذر
ومنهم حال الأخذ بحكم الصمت حتى يدنو من العي. فالملك منكم
جدير أن يبلغ من كل طبقة في محاسنها خيرها فإذا وقف على
الحدود التي يعدوها أسرف الحجر نفسه عما وراءها. واعلموا أن
الملك منكم ستعرض له شهوات في غير ساعاتها والملك إذا قدر
ساعة العمل وساعة الفراغ وساعة المطعم وساعة المشرب
وساعة الفضيلة وساعة اللهو كان جديرا ألا يعرف منه
الاستقدام بالأمور ولا الاستئخار عن ساعاتها فإن اختلاف
ذلك يورث مضرتين إحداهما السخف وهو أشد الأمرين

والأخرى نقص الجسد بنقص أقواته وخير كائن   واعلموا أن
من ملوككم من سيقول لي الفضل على من كان قبلي من آبائي
وعمومتي ومن ورثت عنه هذا الأمر لبعض الإحسان يكون منه
فإذا قال ذلك سوعد عليه بالمتابعة له فليعلم ذلك الملك
والمتابعون إنما وضعوا أيديهم وألسنتهم في قصب آبائه
من الملوك وهم لا يشعرون وبالحري أن يشعر بعض المتابعين
له فيغمض على ما يحزنه من ذلك   واعلموا أن ابن الملك
وأخاه وعمه وابن عمه كلهم يقول كدت أكون ملكا وبالحري
ألا أموت حتى أكون ملكا فإذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك فإن
كتمه فالداء في كل مكتوم وإن أظهره كلم في قلب الملك
كلما يكون لقاحا للتباين والتعادي وسيجد القائل ذلك من
المتابعين والمحتالين والمتمنين ما تمنى لنفسه ما يريده إلى

ما اشتاق إليه شوقا فإذا تمكن في صدره الأمل لم يرج النيل
له إلا في اضطراب من الحبل وزعزعة تدخل على الملك وأهل
المملكة فإذا تمنى ذلك فقد جعل الفساد سلما إلى الصلاح
ولم يكن الفساد سلما إلى الصلاح قط وقد رسمت لكم في ذلك
مثالا لا مخرج لكم منه إلا به اجعلوا أولاد الملك من بنات
عمومتهم ثم لا يصلح من أولاد بنات الأعمام إلا كامل غير
سخيف العقل ولا عازب الرأي ولا ناقص الجوارح ولا معيوب
عليه في الدين فإنكم إذا فعلتم ذلك قل طلاب الملك وإذا
قل طلابه استراح كل امرئ على جده يليه وعرف حاله وغض
بصره ورضي بمعيشته واستطاب زمانه   واعلموا
أنه سيقول قائل من رعيتكم أو من ذوي قرابتكم ما لأحد علي
فضل ولو كان لي ملك فإذا قال ذلك فإنه قد تمنى الملك

وهو لا يشعر ويوشك ان يتمناه بعد ذلك وهو يشعر فلا يرى
ذلك من رأيه خطأ ولا من فعله زللا ولنا نستخرج ذلك فراغ القلب
واللسان مما تكلف اهل الدين والكتاب والحساب او فراغ اليد
مما تكلف الاساورة او فراغ البدن مما تكلف التجار والمهنة والخدمة
واعلموا ان الملك ورعيته جميعا يحق عليهم ان لا يكون للفراغ
عندهم موضع فان التضييع في فراغ الملك وفساد المملكة في فراغ
الرعية   ولعلمنا انا على تصادق تنازع احاديث الامور ايانا وحده
دولتنا وشدة ما بين انصارنا وحسن نيته ووزرائنا لم نستطع احكام تفتيش
الناس حتى بلغنا من الرعية مكروههما ومن انفسنا مجهودها ان
واعلموا انه لابد من سخط سيحدث منكم على بعض اعوانكم المعروفين
بالنصيحة لكم ولابد من رضى سيحدث لكم من بعض اعدائكم المعروفين
بالغش لكم فلا تحدثوا عندما يكون من ذلك انقباضا عن المعروف

بالنصيحة ولا انبساطا الى المعروف بالغش   قد خلفت لكم
رأيي اذ لم استطع تخليف بدني وقد حبوتكم بما حبوت به نفسي وقضيت
حقكم فيما استحثكم به من رأيي فاقضوا حقي بالتشفيع لي في صلاح
انفسكم والتمسك بعهدي اليكم فاني قد عهدت اليكم عهدي
وفيه صلاح جميع ملوككم وعامتكم وخاصتكم ولن تضيعوا ما
احتفظتم بما رسمت لكم ما لم تضعوا غيره فاذا تمسكتم به كان علامة
في بقائكم ما بقي الدهر   ولولا اليقين بالبوار النازل على
راس الالف من السنين لظننت اني قد خلفت فيكم ما ان تمسكتم
به كان علامة في بقائكم ما بقي الدهر ولكن القضاء اذا جاء بانه
اطعتم اهواءكم واستثقلتم ولاتكم وامنتم وتنقلتم عن مراتبكم
وعصيتم خياركم وكان اصغر ما تحطون فيه سلما الى اكبر منه
حتى تفتقوا ما رتقنا وتضيعوا ما حفظنا والحق علينا وعليكم

ألا وكونوا للنوار اغتماضا وفي الشوم اعلاما فاني الى الله اذا اني بالذي
تنتظرون انتمي بوحدته ونحن ندعوا الله لكم بنا المنزله وبقا الدوله
دعوة لا يفنيها فنا ايامها حتى المنقلب ونسل الله الذي عجل بنا خلفكم
ان يرعاكم رعاية يرعى بها ما احتنت ايديكم ويكرمكم كرامة يعين بها
من ناواكم ونستودعكم الله وديعة يكفيكم بها الدهر الذي يسلمكم
الى زياله وغيره وعدا وتنو السلم على اهل الموافقه ممن يأتي عليه
العهد من الامم الكاينه بعدي

ثم انتهى الملك الى سابور بن اردشير
ثم من وجوه المكايد القريبه

ما تم له على رجل من الجرامقه يقال له الساطرون وهو الذي تسميه
العرب الضيزن وكان ينزل الجبال بكريت بين دجله والفرات في
مدينه يقال لها الحضر وزعم هشام الكلبي انه من العرب
من قضاعه وانه ملك ارض الجزيره وكان معه من قبايل قضاعه

ما لا يحصى وبلغ ملكه الشام ثم انه تطرف بعض السواد في غيبة
لسابور الى ناحية خراسان فلما قدم من غيبته شخص اليه حتى
اناخ على حصنه وتحصن الضيزن كما قال الاعشى ميمون بن قيس سنتين
لا يقدر سابور على الوصول اليه وهو قوله

الم تر للحضر اذ اهله بنعمى وهل خالد من نعم
اقام به شاهبور الجنود حولين يضرب فيه القدم

وكان للضيزن هذا ابنة يقال لها النضيره عركت فاخرجت الى ربض
المدينه وكذلك كان يفعل بالنسا اذا عركن وكانت من اجمل نسا زمانها
وكان سابور ايضا من اجمل رجال زمانه فاطلعت عليه يوما فراته
فعشقته وارسلت اليه ما تجعل لي ان دللتك على ما تهدم به سور
هذه المدينه وتقتل ابي قال حكمك وارفعك على نساي واخصك
بنفسي دونهن فاحتالت للحرس حتى سقتهم الخمر وصرعتهم واظهرت
علامه ذلك لسابور فنصب للسور حتى سوره منها عنوه

وقتل الحرس والضيزن واما بعض العرب الذين كانوا مع الضيزن فلم يبق
منهم باق يعرف الى اليوم واخرب سابور المدينه وفي ذلك يقول عمرو بن اله

الم يحزنك والانبا تنمي بما لاقت سراة بني العبيد
ومصرع ضيزن وبني ابيه واحلاس الكتايب من تزيد
اتاهم بالفيول مجللات وبالابطال سابور الجنود
فهدم من اواسي الحصن صخرا كان ثفاله زبر الحديد

واحتمل سابور النضيره بنت الضيزن فاعرس بها بعين التمر فذكر انها لم تزل
تضورت ليلتها من خشونه فرشها وهي من حرير محشوه بالقز فالتمس
ما كان يوذيها فاذا ورقه اس ملتزقه بعكنه من عكنها قد اثرت فيها من
لين بشرتها فقال لها سابور ويحك باي شي كان يغذوك ابوك فقالت
بالزبد والمخ وشهد الابكار من النحل وصفو الخمر قال وابيك لانا احدث
عهدا بك واوتر لك من ابيك الذي غذاك بما تذكرين فامر رجلا فركب
فرسا جموحا ثم عصب غدايرها بذنبه ثم استركضها فقطعها قطعا

وقد اكثر الشعرا في ذكر الضيزن هذا واياه عنى عدي بن زيد بقوله

واخو الحضر اذ بناه واذ دجله تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور

ومضت ايام سابور وهي ثلثون سنه حميده وفي ايامه ظهر ماني الزنديق
وكذلك ايام ابنه هرمز الملقب بالبطل والجري وكان عظيم الخلق جريا
له حكايات عظيمه جدا وكور مدينه رامهرمز وملك سنه ثم مضت ايام
ابنه بهرام بن هرمز كذلك وقتل ماني وسلخه ومضت ايام ابنه بهرام بن بهرام
ثم ابنه بهرام بن بهرام بن بهرام ثم نرسي بن بهرام اخو بهرام الثالث ثم ايام
هرمز بن نرسي وكان فظا الا انه رفق بالرعيه وسار بالعدل سيره
فيهم وحرص على العماره وانعاش الضعفا ثم هلك وبعض نسايه حبل
فبعض الناس يزعم انه وصى بالملك لذلك الحمل في بطن امه وبعضهم
زعم ان الناس اشفقوا عليهم موت هرمز سالوا عن نسايه فلما عرفوا

ان بعضهن حبلا فعقدوا التاج عليه في بطن امه ثم ولد سابور الملقب
بذي الاكتاف وهو

سابور بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام
بن هرمز بن سابور بن اردشير

فكتب اليه الناس الكتب من الآفاق ووجه البرد الى الاطراف في تعلم الوزرا
والكتاب والعمال الاعمال التي كانوا يعملونها في ملك ابيه

فمما حدث في ايامه

ان خبره لما فشا وشاع وعلم اصحاب الاطراف ان ملك الفرس صبي
بتربيته ولا يدري ما يكون منه طمع فيهم من في مملكتهم الروم والترك والعرب
وكانت ادنى بلاد الاعدا الى فارس بلاد العرب وكانوا من احوج الامم
الى تناول شي من المعايش لسوء حالهم وشظف عيشهم فسار جمع
عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة حتى اناخوا
بابرشهر وسواحل اردشير خره واسياف فارس وغلبوا اهلها على

مواشيهم وحروثهم ومعايشهم واكثروا الفساد في تلك البلاد ومكثوا
بذلك حينا لا يغزوهم احد من الفرس لعلة الهيبة ولانتشار الامر وكثرة الملتبس
ولان الملك طفل حتى ترعرع سابور وجعل الوزرا يعرضون عليه امر
الجنود التي في الثغور ووردت الاخبار بان اكثرهم في الخلل وعظموا
عليه الامر بعد الامر فكان ما عرض عليه امر الجنود التي في الثغور ومن كان
منهم بازا الاعدا وان الاخبار وردت باختلال اكثرهم وهولوا عليه الخطب
في ذلك فقال لهم سابور لا يكبرن عليكم هذا فان الحيلة فيه يسيرة
وامر بالكتاب الى اولئك الجنود جميعا بانه انتهى اليه طول مكثكم
في النواحي التي انتم فيها وعظم غنائكم عن اخوانكم واوليائكم فمن احب
منكم الانصراف الى اهله فلينصرف ماذونا له في ذلك ومن احب ان
يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عرف له ذلك
ويقدم الى من اختار الانصراف في لزوم اهله وبلاده الى وقت

لحاجة اليه. فلما سمع الوزرا ذلك من قوله ورايه استحسنوه وقالوا
لو كان هذا قد اطال التجربة للامور وسياسة الجنود ما زاد به على
ما سمعنا منه ثم تتابعت اراوه في تقويم اصحابه وقمع اعدايه حتى اذا تمت
له ست عشرة سنة واطاق حمل السلاح وركوب الخيل واشتد عظمه
جمع اليه روسا اصحابه واجناده ثم قام فيهم خطيبا فذكر الله عز وجل وذكر
ما انعم به عليه وعليهم باباية وما اقاموا من اركهم ونفوا من اعدايهم
وما اختل من امورهم في الايام التي مضت من ايام صباه واعلمهم انه
يستانف العمل في الذب عن البيضة وانه يقدر الشخوص الى بعض الاعدا
لمحاربته وان عدة من يشخص معه من المقاتلة الف رجل فنهض اليه القوم
داعين متشكرين وسالوه ان يقيم بموضعه ويوجه القواد والجنود
ليكفوه ما قدر من الشخوص فيه فابى ان يجيبهم الى المقام فسالوه
الازدياد على العدة التي ذكرها فابى ثم انتخب الف فارس من صناديد

جنده وابطالهم واعيانهم ونقدم اليهم في المضي لامره ونهاهم
عن الابقا على العرب وعلى من لقوا منهم ووصاهم الا يعرجوا على
مال ولا غنيمة ولا يلتفتوا اليه ثم سار بهم حتى اوقع بمن انتجع بلاد
فارس من العرب وهم غارون فقتل منهم ابرح القتل واسر اعنف الاسر
وهرب بقيتهم ثم قطع البحر في اصحابه فورد الخط واستقرى بلاد البحرين بلغ مقابله
فجعل يقتل اهلها ولا يقبل فدا ولا يعرج على غنيمة ثم مضى على وجهه
فورد هجر وبها ناس من تميم وبكر بن وايل وعبد القيس فسفك فيهم من
الدما سفكا سالت كسيل المطر حتى كان الهارب منهم يرى انه لن ينجيه
غار ولا جبل ولا بحر ولا جزيرة ثم عطف الى بلاد عبد القيس فاباد اهلها
الا من هرب منهم فلحق بالرمال ثم اتى اليمامة فقتل بها مثل تلك المقتلة
ولم يمر بما من مياه العرب الا عوره ولا جب من جبابهم الا طمه ثم اتى
قرب المدينة فقتل من وجد هنالك من العرب واسر ثم عطف نحو

بلاد بكر وتغلب وفيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بارض الشام
فقتل من وجد بها من العرب وسبى وطم مياههم ثم اسكن قوما
من بني تغلب ومن سكن منهم البحرين دارين والخط ومن كان من عبد القيس
وطوايف تميم هجر ومن كان من بكر بن وايل كرمان وهم الذين يدعون
بكراباذ ومن كان منهم من بني حنظلة بالرميلة من بلاد الاهواز وبنى
بالسواد مدينة بزرج سابور وبنى الانبار وبنى السوس والكرخ وغزا
بعد ذلك ارض الروم فسبى سبيا كثيرا وبنى بخراسان نيسابور ثم هادن
قسطنطين ملك الروم الذي بنى قسطنطينية وهو اول من تنصر من
ملوك الروم

ذكر حيلة لقسطنطين

كان قسطنطين لما ملك الروم كبرت سنه وساء خلقه وظهر به وضح
فارادت الروم خلعه وكاشفته وقالت اعتزل الملك فان لك
من المال ما لا تفقد معه شيا مما انت فيه من نعمتك فشاور نصحاءه

فقالوا له لا طاقة لك بالقوم فقد اجتمعت كلمتهم على خلعك فان في الحيلة
قالوا الحيال بالدين وكانت النصرانية قد ظهرت وهي خفية وذلك بان
تستاذن في زيارة بيت المقدس وتستمهلهم مدة ما تعود فاذا حصلت
بها دخلت في هذا الدين النصراني وحمل الناس عليه فانهم يفترقون
فرقتين فتقاتل بمن اطاعك من عصاك وما قاتل قوم على دين قط الا
غلبوا ففعل قسطنطين ذلك فظفر بالروم فاحرق كتبهم وحكمتهم وبنى
البيع وحمل الناس على النصرانية ونقلهم من الرومية وكانت دار مملكتهم
وبنى قسطنطينية ولم يزل الملك محروسا بالنصرانية وغلب على
الشام الى ان ظهر الاسلام ثم ملك من الروم لليانوس وكان
يدين بملة اليونانية القديمة التي كانت قبل النصرانية فلما ملك اظهر
ملته واعادها كهيئتها ولم يهدم البيع وجمع جموعا من الروم ومن الخزر
ومن كان في مملكته من العرب

70

فكان من عاقبة ذلك الشرف الذي
اقدم عليه سابور من قبل العرب

ان اجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة وسبعون الف مقاتل فوجههم
مع بطريق له في مقدمته واقدموا على فارس حنقين موتورين وذلك ان
سابور لم يقتصر على الانتقام ممن اذنب وتجاوز حده حتى قتل البري وسفك
من الدماء ما لا يحصى فلما انتهى الى سابور كثرة من مع لليانوس من الجنود
وشدة بصائرهم وحنق العرب وعدد الروم والخزر هاله ذلك
ووجه عيونا تاتيه باخبارهم ومبلغ عددهم وشجاعتهم وعدتهم
فاختلفت عليه اقاويل اولئك العيون فيما اتوه به من الاخبار عن لليانوس
وجنده فتنكر سابور وسار في ثقاته ليعاين عسكرهم

فكان مما نجى فيه على نفسه وتخلص منه
بحسن الاتفاق

انه لما قرب من عسكر البطريق الذي كان على المقدمة وكان اسمه

يوسانوس ومعه العرب والخزر وجه قوما ليتجسسوا الاخبار ويأتوه
بحقائقها فنذرت بهم الروم فاخذوهم ودفعوهم الى يوسانوس فاقر من
جملتهم رجل واحد واخبر بالقصة على وجهها وبمكان سابور وساله ان يوجه
معه جندا فيدفع اليهم سابور فارسل يوسانوس رجلا من بطانته الى سابور
يعلمه ما القي اليه من امره وينذره وانما فعل ذلك لميله الى النصرانية
التي قصدها لليانوس فارتحل سابور من الموضع الذي كان فيه وصار الى عسكره
ثم زحف لليانوس بمقاتلة العرب اياه فقاتل سابور وفض جمعه وقتلوا
منهم مقتلة عظيمة وهرب سابور فيمن بقي من جنده واحتوى لليانوس
على مدينة طيسبون محلة سابور وظفر ببيوت امواله وخزائنه فيها
ثم اجتمع الى سابور من آفاق بلاده جنوده وحارب لليانوس واستنقذ منه
مدينة طيسبون واختلفت الرسل بينه وبين لليانوس

فكان من سوء حظ لليانوس في تلك الحال
واستتر ساله

إذ كان يوماً جالساً في حجرته من فسطاطه والرسل تختلف بينه وبين
سابور تجاه سهم غرب فأصاب مقتله من فؤاده فسقط ومات وأسقط
في روع جنده وهالهم ما نزل به ويئسوا من التقصي في بلاد فارس فصاروا
بشراً لا ملك عليهم فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولى الملك لهم ليملكوه
عليهم فأبى ذلك وألحوا عليه فأعلمهم أنه على ملة النصرانية وأنه
لا يلي قوماً هم له مخالفون في دينه فأخبرته الروم أنهم على ملته
وأنهم كتموها مخافة للبانوس فأجابهم حينئذ فلما ملكوا أظهروا
النصرانية. ثم إن سابور لما علم بهلاك للبانوس ليرسل إلى قواد
جنود الروم يقول إن الله قد أمكننا منكم وأدالنا عليكم ورجوا
أن تهلكوا ببلادنا جوعاً من غير أن نهز لقتالكم سيفاً أو نشرع لكم رمحاً
فسرحوا إلينا رئيساً إن كنتم رأستموه عليكم فبعث يوسانوس على
إتيان سابور لما كان بينه وبينه لما أنذره ومر عليه فلم يتابعه أحد

من قواد جنده فاشتد برأيه وجاء إلى سابور في ثمانين رجلاً من أشراف
من كان في عسكره وجنده وعليه تاجه فبلغ سابور مجيئه إليه فتلقاه
وتساجدا فعانقه سابور شكراً لما كان منه في أمره وطعم عنده يومئذ
ونعم وأن سابور أرسل إلى قواد جند الروم وذوي الرياسة فيهم يعلمهم
أنهم لو ملكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ولكن تمليكهم
إياه ينجيهم من سطوته ثم قوى أمر يوسانوس بكل جهده وقال إنه عند
منصرفه إن الروم قد شنوا الغارة على بلادنا وقتلوا بشراً كثيراً وقطعوا
بأرض السواد من الشجر والنخل ما كان بها وخربوا عمرانها فإما أن
تدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخربوا وإما أن تعوضونا من ذلك نصيبين
وحيزها فأجاب يوسانوس وأشراف جنده سابور إلى ما سأل من العوض
ودفعوا إليه نصيبين فبلغ ذلك أهلها فجلوا عنها إلى مدن للروم خوفاً
على أنفسهم من ملك يخالف ملتهم فبلغ ذلك سابور فنقل اثني عشر ألف

اهل بيت من اهل اصطخر واصبهان وكور اخر من بلاده الى نصيبين فاسكنهم
اياها وانصرف يوسانوس الى الروم وملكها يسيرا ثم هلك
وضري سابور على قتل العرب ونزع اكتاف روسائهم زمانا طويلا فسمته العرب
ذا الاكتاف ثم انه استصلح العرب واسكن بعض تغلب وعبد القيس
وبكر كرمان وتوج والاهواز وبنى مدينة نيسابور ومدنا اخر بالسند
وسجستان ونقل طبيبا من الهند فاسكنه السوس فورث طبه اهل
السوس وهلك سابور بعد اثنين وسبعين سنة من ملكه وقام بالملك
بعد سابور اخوه اردشير بن هرمز بن نرسي بن بهرام بن بهرام بن سابور
بن اردشير بن بابك فلما استقر به الملك ظهر منه شر وقتل من ذوي الرياسة
والعظما خلقا كثيرا فخلعه الناس بعد اربع سنين من ملكه وملكوا

سابور بن سابور ذي الاكتاف

فاستبشرت الرعية به وبرجوع ملك ابيه اليه فاحسن السيرة ورفق
بالرعية الى ان سقط عليه فسطاط كان ضرب عليه فمات وملك بعده

اخوه بهرام بن سابور ذي الاكتاف وكان يلقب بكرمان شاه
لان سابور ولاه كرمان فحمدت ايامه محمودة وكان جميل السياسة
محببا ثم قام بالملك يزدجرد المعروف بالاثيم بن بهرام بن سابور ذي الاكتاف
ومن الفرس من يقول هو اخو بهرام وهو يزدجرد بن سابور ذي الاكتاف
وكان فظا غليظا ذا عيوب كثيرة وكان من اشد عيوبه وضعه ذكا
ذهن وحسن ادب كانا فيه غير موضعهما وذلك انه كان كثير الروية
في الضار من الامور واستعمل علمه الذي اوتيه في الدها والختل واستخف
بكل علم كان عند الناس واحتقر آدابهم واستطال باعتداده وكان
مع ذلك معجبا غلقا سيي الخلق ردي الطعمة حتى بلغ من شدة
غلقه وحدته ان كان يستعظم صغير الزلات ولا يرضى في
عقوبتها الا بما لا يستطاع ان يبلغ مثلها ثم لم يقدر احد من بطانته
وان كان لطيف المنزلة منه ان يشفع لمن ابتلي به وان كان ذنب المبتلى

به يسيرا ولم يكن يأمن أحدا على شيء من الأشياء ولم يكن يكافي على
حسن البلاء وكان يعتد بالخسيس من العرف إذا أولاه ويستجزل
ذلك فان جسر على كلامه أحد في أمر قال له ما قدر جعالتك
في هذا الأمر الذي كلمتني فيه وما الذي بذل لك وما أشبه ذلك
فلقي الناس منه عنتا فلما اشتدت بليته وكثر إهانته للعظماء وحمل
على الضعفاء وأكثر من سفك الدماء اجتمعوا فتضرعوا إلى ربهم في
تعجيل إنقاذهم منه فزعم الفرس أنه كان مطلعا من قصره ذات
يوم إذ رأى فرسا عائرا لم ير مثله قط في الخيل حسن صورة وتمام خلق
حتى وقف على بابه فتعجب الناس منه لأنه كان متجاوز الأمر فأمر يزدجرد
أن يسرج ويلجم ويدخل عليه فحاول ساسته وأصحاب مراكبه إلجامه
وإسراجه فلم يمكن أحدا منهم من نفسه فخرج بنفسه إلى الموضع الذي
فيه الفرس فألجمه بيده وأسرجه ولببه فلم يتحرك فلما استدار به

ورفع ذنبه ليثفره رمحه الفرس على فؤاده رمحة هلك منها مكانه ثم لم
يعاين ذلك الفرس فأكثرت الفرس في حديثه وظنت الظنون
وكان أحسنهم مذهبا من قال إنما استجاب الله دعاءنا ثم ملك بعد
يزدجرد الأثيم ابنه بهرام جور

وكان أسلمه يزدجرد إلى المنذر بن النعمان ليربيه بظهر الحيرة لصحة التربة
والهواء وليتعلم هناك الفروسية وتقلد النعمان وعظم يزدجرد المنذر
النعمان وشرفه وملكه على العرب وسار به المنذر فرتبه واستدعى له الحواضن
من الفرس والعرب ثم أحضره المؤدبين وحرص بهرام على الأدب
فيحكى عنه حكايات من النجابة في صغره منها أنه قال للمنذر النعمان
وهو ابن خمس سنين أحضرني مؤدبين ليعلموني الكتابة والفقه والرمي
والفروسية فقال له المنذر إنك بعد صغير السن ولم يأن لذلك
بعد فقال له بهرام أما تعلم أيها الرجل أني من ولد الملوك وأن الملك

صائر الى ان اولى ما كلف به الملوك وطلبوه صلاح العلم لانه زين لهم
وركن وبه يقوون اما تعلم ان كل ما يتقدم في طلبه ينال في وقته
وما لا يتقدم فيه بل يطلب في وقته ينال في غير وقته وما يفرط فيه
في طلبه يفوت فلا ينال عجل علي بما سالتك فوجه المنذر ساعة
سمع مقالة بهرام الى باب الملك من اتاه برهط من المعلمين والفقهاء
ومعلمي الرمي والفروسية وجمع له حكما للروم وفارس ومحدثي العرب
فالزمهم اياه ووقت اوقاتا لكل قوم منهم فتفرغ بهرام للتعلم
كل ما سال ان يعلمه واستمع من اهل الحكمة ووعى ما سمع وثقف كل ما
علم بايسر سعي وبلغ اربع عشرة سنة وقد فاق معلميه واستفاد
كل ما افيد وحفظ وفاق ثم حرص على انتخاب الافراس العربية وركوبها
واحضارها والرمي عليها فبرع في ذلك وتحكي الفرس عنه حكايات
عظيمة جدا ان   ثم اعلم المنذر انه على الالمام بابيه فشخص

وكان ابوه لا يحفل بولد له فاتخذ بهرام للخدمة فلقي بهرام من ذلك
عنتا وانفق ان ورد على يزدجرد وفد من قيصر وفيهم اخو قيصر
في طلب الصلح والهدنة فسأله بهرام ان يكلم يزدجرد في الاذن له في
الانصراف الى المنذر فاذن له ابوه وانصرف الى بلاد العرب فقد عرض
بابيه وراى قلة نفاق ادبه عليه ولقي شدة وهوانا فاقبل على التنعم
والتلذذ الى ان هلك ابوه يزدجرد وبهرام غائب فتعاقد قوم من العظما
الا يملكوا احدا من نسل يزدجرد واظهروا ان ولد يزدجرد لا يحتملون
الملك وليس فيهم نجيب غير بهرام وبهرام لم يتادب بادب الفرس
وانما ادبه ادب العرب واخلاقه اخلاقهم لنشئه فيما بينهم
وبين اظهرهم واجتمعت كلمة العامة معهم على صرف الملك عن
بهرام الى رجل من عترة اردشير بابك يقال له كسرى فملكوه
وانتهى هلاك يزدجرد وما كان من تمليكهم كسرى الى بهرام

فدعا بالمنذر والنعمن ابنه وناس من عليه العرب فذكرهم احسان
والده اليهم وانعامه عليهم مع فظاظته وشدته على الفرس واخبرهم
بموت والده وما كان من الفرس من تمليك غيره وما همّ من نفسه
ووعدهم بما انسوا به فقال المنذر لا يهولنّك ذلك حتى الطف
للحيلة: ثم ان المنذر جهّز عشرة الف من فرسان العرب مع ابنه
الى طيسبون وبهاردسير مدينتي الملك وامره ان يعسكر قريبا منهما
وان يغير على ما فاوا لهما وان تحرّك احد لقتاله قاتله واذن له في
الاسر والسبي ونهاه عن القتل فسار النعمن حتى نزل قريبا من المدينتين
ووجه طلائع بعد اليهما واستعظم فال الفرس فاجتمع راى العظما
واهل البيوتات على انفاذ حولي على نادمه رسالة وحولي هذا صاحب
رسائل يزدجرد الى المنذر ويستكفونه امر النعمن ابنه ويحبونه
عقبى جنايته عليه فلما ورد حولي على المنذر قال له الق الملك بهرام

ووجه معه من يوصله اليه فلما دخل عليه راعه منظر بهرام
وما راى من وسامته فكلمه بهرام ووعده ومنّاه وردّه الى المنذر
ورسم له ان يجيب عما كتب به اليه فقال المنذر لحولي قد تدبّرت ما جيتني
به وقرات الكتاب ولست صاحب النعمن وانما صاحبه الملك بهرام
وهو الذي وجهه الى ناحيتكم ورسم له ما هو لا محالة ممتثله لان الملك
صار له بعد ابيه ولا حظ لغيره فيه فلما سمع حولي مقالته
وتذكر ما عاين من بها بهرام ورواية وحسن كلامه علم ان جميع
من يشاور في صرف الملك عنه مخصوم محجوج: فقال للمنذر
اني لست محيرا جوابا ولكن سر ان رايت الى محلة الملوك فيجتمع اليك
من بها من العظما واهل البيوتات وات في الامر ما يجمل
فانهم لن يخالفوك في شي مما تشير به فرد المنذر حولي واستعد
وسار بعده بيوم مع بهرام في ثلثين الف رجل من فرسان العرب

وذوي البأس والنجدة منهم الى مدينتي الملك فلما وردها جمع
الناس وجلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بالجوهر وجلس
المنذر عن يمينه وتكلم عظماء الفرس وفرشوا للمنذر بكلامهم
فظاظة يزدجرد كانت وسوء سيرته وانه اخرب الارض واكثر
القتل ظلما حتى قتل الناس وذكروا امورا فظيعة وذكروا
انهم انما تعاقدوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك وسألوا
المنذر ان لا يجبرهم في امر الملك على ما يكرهونه فقال المنذر لبهرام
انت اولى باجابة القوم فقال بهرام اني لست اكذبكم في شيء مما نسبتم
الى يزدجرد لاستقر عندي من ذلك ولقد كنت منكرا لسوء هديه متنكبا
طريقته ولم ازل اسأل الله ان يفضي بالملك الي فاصلح كل ما افسد
وارأب ما صدع وساعيد الامور بمشيئة الله الى احسن ما كانت عليه في
وقت من الاوقات لنظاما واعمر البلاد وارفه الرعية

واوسع لهم واوطي جانبي وادر ارزاق الجنود واهل الطاعة واسد
الثغور وانفي اهل الفساد فان اتت لملكي سنة ولم اف لكم بهذه
الامور التي عددت عليكم تبرأت من الملك طائعا واشهد الله بذلك
وملائكته وموبذان موبذ فسمع اكثر الناس ورضوا وتكلمت طائفة
كان ابوها مع كسرى فقال بهرام فاني على ما ضمنته لكم واستحقاقي
للملك وانه حق لي قد رضيت ان يوضع التاج والزينة بين اسدين
مشبلين فمن تناولهما فهو الملك فلما سمع القوم هذه المقالة
مع ما وعد من نفسه سكنوا واظهروا الاستبشار والرضا به وقالوا
انا ان نمنا صرف الملك عن بهرام لم نامن هلاك الفرس على يده
بمن يرى رايه ولكثرة من استجاش من العرب وقد عرض علينا ما
لم يدعه اليه احد لولا ثقته ببطشه وجراته فان يكن على ما وصف
به نفسه فليس الراي الا تسليم الملك اليه والسمع والطاعة

وان يهلك ضعفا وعجزا فنحن برآء منه آمنون لشره وغائلته فتفرقوا
على هذا الراي وجلس بهرام من الغد في مثل مجلسه بالامس وحضر
من كان حاضره فقال اما ان تجيبوني عما كلمتكم به امس واما ان تسكتوا
باجمعكم لي بالطاعة فقال القوم قد رضينا الحكم وان يوضع التاج
والزينة بين الاسدين كما ذكرت بحسب رسمنا وننازع انا انت وكسرى فاتى
بالتاج والزينة وتولى موبذان موبذ الذي كان يعقد التاج على راس كل ملك
مملك فوضعهما ناحية وجاء اصبهبذ مع ثقاف للقوم باسدين ضاريين مجوعين
مسلسلين فوقف احدهما عن جانب الموضع الذي وضع فيه التاج والزينة
والآخر بحذائه وارخي وثاقهما ثم قال بهرام لكسرى دونك التاج والزينة
فقال كسرى انت اولى بالبدو مني لانك تطلب الملك بوراثة ولنا فيه
دخيل ولم يكره بهرام قوله لثقته بنفسه وحمل جرزا وتوجه نحو التاج
والزينة فقال له موبذان موبذ بذلك نفسك في هذا الامر الذي تقدم عليه

استيمانتك

هو تطوع منك لا عن رايي ولا عن راي احد من الفرس ونحن براء
الى الله من اتلافك نفسك فقال بهرام نعم انتم براء ولا وزر عليكم
ثم اسرع نحو الاسدين فلما راى موبذان موبذ جده هتف به وقال بح
بذنوبك وتب منها ثم اقدم ان كنت لا محالة مقدما فباح بهرام بما سلف
من ذنوبه ثم مشى نحو الاسدين فبدر احدهما فلما دنا من بهرام وثب وثبة
فاذا هو على ظهر الاسد وعصر جنبي الاسد بفخذيه حتى اثخنه وجعل
يضرب على راسه بالجرز ثم قرب من الاسد الآخر فلما تمكن منه قبض
على اذنيه وعركهما بكلتي يديه ولم يزل يضرب راسه براس الاسد
الذي كان ركب ظهره حتى دمغهما ثم قتلهما ضربا على راسيهما بالجرز وذلك
كله بمشهد من جميع من حضر ذلك الموضع ومرأى من كسرى
فتناول بهرام التاج والزينة وكان كسرى اول من هتف به وقال
عمر الله بهرام الذي يسمع له من حوله ويطيع ورزقه الله ملك

اقاليم الارض السبعة ثم هتف الناس وجميع من حضر ذلك المجلس
وقالوا اذعنا للملك بهرام ورضينا به ملكا وكثر الدعا والضجيج ولقي
الروسا المنذر بعد ذلك وسالوه ان يكلم بهرام في التغل لاساتهم والصفح
عنهم فساله المنذر واشفعه الملك ثم جلس بهرام وهو
ابن عشرين سنة سبعة ايام يهنوا به للجند والرعية يعدهم الخير نفسه
ويحضهم على تقوى الله وطاعته وعبر زمانا بحسن السيرة ونعم البلاد
وبدرا الارزاق ثم اثر اللهو على ذلك وكثرت خلواته باصحاب الملاهي
والجواري حتى كثرت ملامة رعيته اياه على ذلك وطمع من حوله
من الملوك في استباحة بلاده والغلبة على ملكه وكان اول من سبق
الى مكاثرته ومغالبته خاقان ملك الترك فانه غزاه في مايتين وخمسين
الف من الاتراك فبلغ الفرس اقبال خاقان في هذا الجمع العظيم
فهالهم وتعاظمهم ودخل اليه من عظمايهم قوم من اهل الراي

فقالوا ايها الملك فدا لك من بايقة هذا العدو ما يشغلك عما انت
فيه من اللهو واللذة فتاهب له لكيلا يلحقك منه امر يلزمك فيه
مسبة وعار فكان بهرام لثقته بنفسه ورايه يجيب القوم بان الله
ربنا يحفظ ونحن اولياوه ثم يقبل على المثابرة واللزوم لما فيه من اللهو
والصيد

حيلة بهرام جور على خاقان

الى ان اظهر ذات يوم التجهز الى اذربيجان ليتنسك في بيت نارها
ويتوجه منها الى ارمينية ويطلب الصيد في اجامها ويلهو في
مسيره في سبعة رهط من العظما واهل البيوتات وثلثماية رجل
من مرازبته ذوي باس ونجدة واستخلف اخا له يقال له نرسي على ما كان
يدبر من ملكه فلم يشك الناس حين بلغهم مسير بهرام فيمن سار بهم
واستخلافه اخاه على ما استخلف في ان ذلك هرب من عدوه
واستسلام لملكه وتوامروا في انفاذ وفد الى خاقان والاقرار له

بالخراج مخافة منه لاستباحته بلادهم واصطلامه مقاتلتهم ووجوههم
ان هم لم يفعلوا ذلك وبادروا اليه فبلغ خاقان الذي اجمع عليه
الفرس من الانقياد له والخضوع فامنهم وتودع وترك كثيرا من الجد
والاستعداد وامن جنده ايضا ذلك وانى بهرام عين له من جهة خاقان
فاخبره بحاله وحال جنده وفتورهم عن الجد الذي كانوا عليه فسار بهرام
في العدة الذين كانوا معه فبيت خاقان وقتله بيده وانهزم من سلم
من القتل منهم وخلفوا عسكرهم واثقالهم فامعن بهرام في طلبهم
يقتلهم ويحوي الغنائم ويسبي الذراري وانصرف هو وجنده سالمين
وظفر بتاج خاقان واكليله وغلب على بلاد الترك وخنع له اهل البلاد
المتاخمة لما غلب عليه بالطاعة وسالوه ان يحد لهم حدا بينه وبينهم
فلا يتعدوه ثم بعث قائدا له الى ما وراء النهر فاثخنهم واقروا بالعبودة
واداء الجزية وانصرف بهرام بالغنائم العظيمة والتاج والاكليل

وما فيهما من الياقوت الاحمر وساير الجواهر فجعلها بيت النار باذربيجان
ورفع الخراج عن الناس ثلث سنين وقسم في الفقراء مالا عظيما
وفي البيوتات واهل الاحساب عشرين الف الف درهم وكتب كتابا الى
الافاق يذكر فيها ان الخبر كان ورد عليه بورود خاقان بلاده وانه
بحمد الله وتوكل عليه وسار في سبعة رهط من اهل البيوتات وثلثمائة فارس
من نخبة رابطته على طريق اذربيجان وجبل القبق حتى نفذ الى براري
خوارزم ومفاوزها فابلاه الله احسن بلاء وذكر في الكتاب ما وضع عن
الناس من الخراج وهذا الكتاب كان بليغا والفرس يحفظونه
ويقال ان بهرام ترك من حق بيت المال من الخراج سبعين الف الف درهم
يقسط تلك السنة وكان هذا مقدار ما بقي منذ امر برفع الخراج ثلث سنين
اخر ثم ان بهرام لما انصرف من غزوة خاقان مظفرا قصد الهند
فحكى له حكايات عظيمة وامور كبار تولاها وغلب عليها وزوجه

ملك الهند ابنته ونحله الديبل ومكران وما يليها فضمها بهرام الى
ارض الفرس وحمل خراجها الى بهرام ⊙ ثم اغزى بهرام مهرنرسي الى بلاد
الروم في اربعين الف مقاتل وامره ان يقصد عظيمها ويناظره في امر الاتاوة
وغيرها فتوجه مهرنرسي في تلك العدة ودخل قسطنطينية وكان مقامه مشهور
هناك فهادنه ملك الروم وانصرف بجميع ما اراد بهرام ⊙ وكان مهرنرسي
هذا ابن ولد بهمن اسفنديار بن بشتاسف وربما خفف اسمه فقيل نرسي
وبلغ مبلغا وكل ذلك بهيبة بهرام وما تمكن له في قلوب الملوك واهل
الاطراف والجند من جودة الراي وحسن التدبير والشجاعة ونفاذ
العزيمة وقلة الاتكال على غيره ⊙ وذكر ان بهرام بعد فراغه
من امر خاقان وامر ملك الروم والسند مضى الى بلاد السودان من ناحية
اليمن فاوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وسبى منهم خلقا وانصرف
الى مملكته وهلك بعد ذلك في ماء وذلك انه توجه اليها للصيد

80

فشد على عينيه وامعن في طلبه فارتطم في ماء في سبخة وغرق هناك فسارت
والدته الى ذلك الموضع باموال عظيمة فاقامت قريبة منه وامرت بانفاق
تلك الاموال على من يخرجه فنقلوا طينا عظيما وحماة كثيرة وجمعوا منه
آكاما عظاما ولم يقدروا على جثة بهرام وكان ملكه ثلثا وعشرين سنة

ثم ملك بعده يزدجرد بن بهرام جور

فكان يسير بسيرة ابيه ولم يزل قامعا للعدو رؤوفا برعيته وجنوده
وكان له ابنان احدهما يسمى هرمز والآخر فيروز فغلب هرمز على الملك بعد
ابيه يزدجرد وهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة واخبر ملكها بقصته
وقصة اخيه هرمز وانه اولى بالملك منه وساله ان يمده بجيش يقاتل بهم
اخاه فابى عليه ملك الهياطلة وقال سأعلم علمه ثم امدك ان كنت
صادقا فلما عرف ملك الهياطلة ان هرمز ملك ظلوم غشوم قال ان الجور
لا يرضاه الله ولا يصلح عليه الملك ولا يقوم به سياسة ولا تخرف

الناس في ملك الملك الجابر الا بالجود وفي هذا هلاك الناس وخراب
الارض فامد فيروز ودفع اليه الطالقان فاقبل فيروز من عنده بجيش طخارستان
وطوايف خراسان وسار الى اخيه هرمز بن يزدجرد وهو بالري وكانت امهما
واحدة وكانت بالمداين ثم تم ما بينهما من الملك وظفر فيروز باخيه فحبسه
واظهر العدل وحسن السيرة وكان يتدين الا انه كان مجارفا مشوما
على رعيته وقحط الناس في زمانه سبع سنين فاحسن فيها الى الناس
وقسم ما في بيوت الاموال وكف عن الجباية وساسهم احسن سياسة وتفال
ان الانهار غارت في مدة هذه السبع السنين وكذلك القني والعيون
ومحلت الاشجار والغياض وماتت الوحوش والطيور وجاعت
الانعام والدواب حتى كانت لا تطيق ان تحمل حمولة وعم اهل البلاد
الجهد والمجاعة

فبلغ من حسن سياسة فيروز لذلك الامر

ان كتب الى جميع اهل رعيته انه لا خراج عليكم ولا جزية ولا سخرة
وانه قد ملككم انفسكم وامرهم بالسعي فيما يقوتهم ويصلحهم ثم كتب اليهم
في اخراج المطمور والطعام من المطامير لكل من كان يملك شيئا من ذلك
مما يقوت الناس والتاسي فيه وترك الاستيثار به وان يكون حال اهل
الفقر والغنى واهل الشرف والضعة في التاسي واحدة واخبرهم انه ان بلغه
ان انسانا مات جوعا عاقب اهل تلك المدينة او القرية او الموضع
الذي يموت فيه ذلك الانسان وينكل بهم اشد النكال فيقال انه لم يهلك
في تلك الازمة والمجاعة احد من رعيته الا رجل واحد من رستاق كورة
اردشير خرة ثم ان فيروز لما حييت بلاده واغاثه الله بالمطر
وعادت المياه وصلحت الاشجار واستوسق له الملك اثخن في
الاعداء وقهرهم وبنى مدنا احداها بالري والاخرى بين جرجان وصول
والاخرى بناحية اذربيجان ثم سار بجنوده نحو خراسان مريدا حرب اخشنوار

ملك الهياطلة لاشياء كانت في نفسه وكان هولاء القوم كانوا يأتون
الذكران ويرتكبون الفواحش فتأول بها وسار اليهم فلما بلغ اخشنواز
خبره اشتد منه رعبه وعلم انه لا طاقة له به

فكان مما تم له على فيروز من الحيلة حتى قهره
وقتله وقتل عامة من كان معه

ان رجلا من اصحاب اخشنواز لما علم ان ملكه قد فعل وانه قد اشرف
على الهلاك هو واهل بلاده نصح اليه وقال اني رجل كبير السن قريب
الاجل وقد فديت الملك واهل مملكته بنفسي فاقطع يدي ورجلي
واظهر في جسمي وجنبي آثار السياط والعقوبات والقني في طريق فيروز
واحسن الى ولدي وعيالي بعدي فاني اكفيك امر فيروز ففعل ذلك
اخشنواز بذلك الرجل والقاه في طريق فيروز فلما مر به انكر حاله
ورأى شيئا فظيعا فسأله عن امره فاخبره ان اخشنواز فعل به ذلك
لانه قال له لا قوام لك بالملك فيروز وجنوده واشار عليه بالانقياد

له والعبودة فرق له فيروز ورحمه وامر بحمله معه فاعلمه على وجه النصح
له فيما زعم انه يدله على طريق قريب مختصر لم يدخل احد منه قط الى اخشنواز
على طريق المفازة وسأله ان يشتفي له منه فاغتر فيروز بذلك منه واخذ
الاقطع بالقوم في الطريق الذي ذكره له فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد
مفازة فلما شكوا عطشا اعلمهم انهم قد قربوا من الماء ومن قطع المفازة
حتى اذا بلغ بهم موضعا علم انهم لا يقدرون فيه على تقدم ولا تأخر
بين لهم امره فقال اصحاب فيروز لفيروز قد كنا حذرناك هذا ايها
الملك فلم تحذر فاما الآن فلا بد من المضي قدما فانه لا سبيل
الى الرجوع فلعلك توافي القوم على الحالات كلها فمضوا لوجوههم
وقتل العطش اكثرهم وصار فيروز بمن نجا معه الى عدوهم فلما اشرفوا
عليهم وهم بأسوأ حال من الضر والضعف دعوا اخشنواز الى الصلح
على ان يخلي سبيلهم حتى ينصرفوا الى بلادهم على ان يجعل له فيروز عهدا

الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ولا يبعث إليه جندا يقاتلونهم
ويجعل بين المملكتين حدا لا يجوزه فرضي أخشنوار بذلك وكتب له به كتابا
مختوما وأشهد له على نفسه شهودا ثم خلى سبيله وانصرف فلما صار
إلى مملكته حمله الأنف على معاودة أخشنوار

فكان من عاقبة غدره

أنه غزاه بعد أن نهاه وزراؤه وخاصته عن ذلك لما فيه من نقض
العهد فلم يقبل منهم وأبى إلا ركوب رأيه وكان فيمن نهاه عن ذلك
رجل كان يخصه ويجتبي رأيه يقال له مربوذ فلما رأى لجاجته كتب ما
دار بينهما في صحيفة وسأله الختم عليها ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد
أخشنوار فلما بلغ فيروز منارة كان بناها بهرام جور فيما بين تخوم بلاد
خراسان وبلاد الترك لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان
بين الترك والفرس على ترك الفريقين التعدي لها وكان فيروز عاهد

بلاد

أخشنوار ألا يجاوزها إلى بلاد الهياطلة أمر فيروز فشد فيها خمسون فيلا
وثلثمائة رجل فجرت أمامه جرا واتبعها وزعم أنه يريد بذلك الوفاء بترك
مجاوزة ما عاهد عليه فلما بلغ أخشنوار ذلك من فعل فيروز أرسل
إليه يقول له إن الله عز وجل لا يخادع ولا يماكر فانته عما نهى عنه
أسلافك ولا تقدم على ما لم يقدموا عليه فلم يحفل فيروز بقوله
ولم يكترث برسالته وجعل يستطعم محاربة أخشنوار ويدعوه إليها وجعل
أخشنوار يمتنع من محاربته ويتكرهها لأن جل محاربة الترك
إنما هو بالخداع والمكر والمكايد ثم إن أخشنوار أمر فحفر خلف عسكره
خندق عرضه عشرة أذرع وعمقه عشرون ذراعا وغمى بخشب
ضعاف وألقى عليه التراب ثم ارتحل في جنده ومضى غير بعيد
فبلغ فيروز رحلة أخشنوار بجنده من معسكره فلم يشك أن ذلك هزيمة
منهم وأنه غدا انكشف وهرب فأمر بضرب الطبول وركب في جنده في

طلب اخشنوار واصحابه واغذوا السير وكان مسلكهم على ذلك الخندق
فلما بلغوه اقتحموه على غاية فتردى فيها فيروز وعامة جنده وهلكوا
من آخرهم وعطف اخشنوار الى عسكر فيروز واحتوى على كل شيء فيه
واسر موبذان موبذ وصارت فيروزدخت بنت فيروز فيمن صار في يده
من نساء فيروز ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد

ابنه بلاش بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور

وكان حسن السيرة حريصا على العمارة وبلغ من حسن نظره انه كان لا يبلغه
ان بيتا خرب وجلا اهله عنه الا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك
البيت على تركه انعاشهم وسد فاقتهم حتى لا يضطروا الى الجلاء عن اوطانهم

ثم ملك قباذ بن فيروز اخو بلاش

وكان صار الى خاقان يستنصره على اخيه بلاش ويذكر انه احق بالملك
منه فبقي هناك اربع سنين ثم جهزه خاقان فلما عاد وبلغ نيسابور

بلغه موت اخيه بلاش وكان في وقت اجتيازه تزوج بها ابنة رجل
من الاساورة متنكرا وواقعها فحملت بانوشروان ولما عاد في هذا
الوقت الذي ذكرناه سأل عن الجارية فأتي بها وبابنه انوشروان فتبرك
به وبها ولما بلغ حدود فارس والاهواز بنى مدينة ارجان وبنى حلوان
وبنى قباذ خره وعدة مدن اخر

فكان من آرائه الجيدة وغرائبه النافذة

نقضه على حاله سوخرا وكان سبب ذلك ان فيروز لما جرى عليه ما جرى
من الهياطلة كان سوخرا الخليفة على مدينة الملك بالمداين فجمع جموعا
كثيرة من الفرس وقصد اخشنوار ملك الهياطلة وحاربه وانتقم منه
وتحكم عليه وكان وقع في يده دفاتر الديوان التي صحب فيروز فتقاضى
بجميع ما كان في خزائنه وخزائن قواده واهله وطلب الوجوه من الاسارى
الذين بقوا في يد اخشنوار ولم يزل يحارب اخشنوار ويكيده ويبلغ منه

فاستحكم به عليه حتى استفسد من بيده عامة الفرس واكثر ما احتوى عليه
بن خرا بن فيروز فكان له اثر حسن عند الفرس وعند ابني فيروز واعني بلاش
وقباذ فعظموه ورفعوا منزلته الى حيث ليس بينه وبين الملك الا مرتبة
واحدة فتولى سياسة الامر لحنكه وتجربته واستولى على الامر ومال اليه
الناس واستخفوا بقباذ وتهاونوا به فلم يحتمل قباذ ذلك وكتب الى سابور
الرازي الذي يقال للبيت الذي هو منه مهران وكان اصبهبذ البلاد في القدوم
عليه فيمن قبله من الجند فقدم بهم سابور فواضعه قباذ حال سوخرا
وامره فيه بامره على لطف وكتمان شديد خفي فغدا سابور على قباذ فوجد
عنده سوخرا جالسا فمشى نحو قباذ متجاوزا له وتغفل سوخرا فلم يابه سوخرا
لارب سابور حتى القى وهقا كان معه في عنقه ثم اجتذبه فاخرجه واوثقه
واستودعه السجن فحينئذ ضربت الفرس المثل بان قالوا انطفت ريح سوخرا
وهبت ريح مهران ثم قتل قباذ سوخرا فكان هذا اول ما تم على سكون لم
يضطرب فيه امره

وكان مما ساق فيه التدبير والراي حتى اجتمعت كلمة
موبذان موبذ وجماعة الفرس على حبسه وازالة الملك عنه

انه اتبع رجلا يقال له مزدك مع اصحاب له يقال لهم العدلية قالوا ان
الله انما جعل الارزاق في الارض مبسوطة ليقسمها عباده بينهم بالتاسي
ولكن الناس تظالموا وزعموا انهم ياخذون للفقراء من الاغنياء ويردون
من المكثرين على المقلين وانه من كان عنده فضل في المال والقوت
او النسا والامتعة فليس هو اولى به من غيره فافترص السفلة ذلك واغتنموه
وكانفوا مزدك واصحابه حتى قوي امرهم وكانوا يدخلون على الرجل في داره
فيغلبونه على ماله ونسائه فلا يستطيعون الامتناع منهم وقواهم
قبول الملك رايهم ودخوله معهم فلم يلبثوا الا قليلا حتى صار الرجل
لا يعرف اباه ولا الاب ولده ولا يملك احد شيئا مما يتسع به وصيروا
قباذ في مكان لا يصل اليه غيرهم فيه فاجتمعت الفرس حين راوا فساد
الملك على تمليك اخيه جاماسب بن فيروز ... قد حكي ايضا ان المزدكية

هم الذين اجلسوا جاماسف ليكون الملك من قبلهما امته لغيرهم عليهم

الا ان الحكاية الاولى اشبه بالحق ك

ذكر حيلة تمت لاخت قباذ حتى اخرجته من الحبس

ثم ان اخت القباذ اتت الحبس الذي كان فيه قباذ فحاولت الدخول اليه فمنعها

الموكل الذي كان ثقة عليه وطمع ان يفضحها بذلك السبب والقى اليها

طمعه فيها فاخبرته انها غير مخالفة له في شي مما يهواه منها فاذن لها حتى

دخلت السجن واقامت عند قباذ يوما ثم امرت بلف قباذ في بساط وحمل

على عاتق غلام قوي ضابط كان معه في الحبس فلما مر الغلام بو الي

الحبس ساله عما يحمله فلجم فاضطرب فلحقته اخت قباذ فاخبرته انه

فراش كانت افترشته بعراكها وانها انما خرجت لتطهر وتنصرف فصدقها

ولم يمس البساط ولم يدن منه استقذارا له على مذهبهم وخلي عن الغلام

الحامل لقباذ فمضى به وخرجت في اثره وهرب قباذ فلحق بارض

الهياطلة ليستمد ملكها في حارب من خالفه فقال انه نزل في مسيره

بابرشهر على رجل من عظمائها فتزوج ابنة له معصر وانها ام كسرى

انوشروان وان مكاحه لام انوشروان في سفره هذا : ثم ان قباذ رجع

من سفره هذا بابنه انوشروان وغلب اخاه جاماسف بعد ان ملك

اخوه ست سنين ثم غزا الروم وافتتح آمد وبنى مدنا منها ارجان

وغيرها وملك ابنه كسرى انوشروان واعطاه خاتمه وهلك قباذ

وكان ملكه بملك سني اخيه جاماسف ثلثا واربعين سنة ك

وكان سبب هلاك سورابه وفساد عقبته وضعف ملكه وذلك

انه لما التقى الحرث بن عمرو بن حجر الكندي والنعمن المنذر بن امرى القيس

قتله ولغلبت المنذر بن النعمن الاكبر وملك الحرث بن عمرو الكندي ما كان يملك

النعمن فبعث قباذ بن فيروز ملك فارس الى الحرث بن عمرو الكندي

انه قد كان بيننا وبين الملك الذي كان قبلك عهد واني احب لقاك

وكان قباذ زنديقا يظهر الخير ويكره سفك الدما ويداري اعداه
فيما يكره من سفك الدما وكثرت الاهوا في زمانه واستضعفه الناس
فخرج اليه الحرث بن عمرو في عدد وعدة حتى التقيا بقنطرة الفيوم
فامر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه وامر بطبق آخر فجعل فيه تمر بنواه
ثم وضعا بين ايديهما وجعل الذي فيه النوى بين يدي الحرث بن عمرو والذي لا
نوى فيه بين يدي الملك قباذ وكان الحرث ياكل التمر ويلقي النوى والملك
ياكل التمر ولا يحتاج الى القا النوى فقال للحرث ما لك لا تاكل كما آكل
فقال الحرث انما ياكل النوى ابلنا وغنمنا وعلم ان قباذ يهزا به ثم اصطلحا
على الصلح وعلى ان لا يجاوز الحرث واصحابه الفرات الا ان الحرث استضعفه
وطمع فيه فامر اصحابه ان يعبروا الفرات ويغيروا على قرى السواد
فاتى قباذ الصريخ وهو بالمداين فقال هذا من تحت كنف ملكهم ثم ارسل
الى الحرث بن عمرو ان لصوص العرب قد اغاروا على السواد

وانه يحب لقاه فلقيه فقال قباذ ذلك العائب لقد صنعت صنيعا ما صنعه
احد قبلك فطمع الحرث في لين كلامه فقال ما علمت ولا شعرت ولا
استطيع ضبط لصوص العرب وما كل العرب تحت طاعتي وما اتمكن
منهم الا بالمال والجنود فقال له قباذ فما الذي تريد قال اريد ان تطعمني
من السواد ما اتخذ به مسالحا فامر له بما يلي جانب العرب من اسفل
الفرات وهي ستة طساسيج فارسل الحرث بن عمرو الكندي الى تبع
وهو باليمن اني قد طمعت في ملك الاعاجم وقد اخذت منه ستة طساسيج
فاجمع الجنود واقبل فانه ليس دون ملكهم شي لان الملك عليهم لا ياكل
اللحم ولا يستحل هراقة الدما وله دين يمنعه من ضبط الملك
فبادر بعد ذلك وحنذل فجمع تبع الجنود وسار حتى نزل الحيرة وقرب
من الفرات فاذاه البق فامر الحرث بن عمرو ان يشق له نهرا الى
النجف ففعل وهو نهر الحيرة فنزل عليه ووجه ابن اخيه شمر ذا الجناح

الى قباذ فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالري ثم ادركه بها فقتله

ذكر ما كان لتبع وابن اخيه شمر ولبنيه حسان بعد احتوائهم على مملكة الفرس

ثم ان تبعا امضى شمرا ذا الجناح الى خراسان ووجه ابنه حسان الى السغد وقال ايكما سبق الى الصين فهو عليها وكان كل واحد منهما في جيش عظيم يقال انهما كانا ستمائة الف واربعين الفا وبعث ابن اخيه الاخر واسمه يعفر الى الروم فاما يعفر فانه سار حتى اتى قسطنطينية فاعطوه الطاعة والاتاوة ثم مضى الى رومية فحاصرها ثم اصابهم جوع ووقع فيهم طاعون فرقوا وعلم الروم بذلك فوثبوا عليهم فلم يفلت منهم احد

واما شمر ذو الجناح فانه سار حتى انتهى الى سمرقند فحصرها فلم يظفر منها بشيء فلما رأى ذلك اطاف بالحرس حتى اخذ رجلا من اهلها فاستماله بقلبه ثم ساله عن المدينة وملكها فقال اما ملكها فاحمق الناس ليس له همة الا الشرب والاكل والجماع ولكن له بنت

هي التي تقضي امر الناس فمناه ووعده حتى طابت نفسه ثم بعث معه هدية اليها وقال اخبرها اني انما جئت من ارض العرب للذي بلغني من عقلها لتنكحني نفسها فاصيب منها غلاما يملك العرب والعجم واني لم اجئ التماس المال وان معي من المال اربعة الاف تابوت ذهبا وفضة ها هنا وانا ادفعها اليها وامضي الى الصين فان كانت لي الارض كانت امرأتي وان هلكت كان المال لها فلما انتهت رسالته اليها قالت قد اجبته فليبعث بالمال فارسل اليها باربعة الاف تابوت في كل تابوت رجلان وكان لسمرقند اربعة ابواب على كل باب منها اربعة الاف رجل وجعل شمر العلامة بينه وبينهم ان يضرب لهم بالجلجل ويتقدم في ذلك الى رسله الذين وجههم معهم فلما صاروا في المدينة ضرب لهم بالجلجل فخرجوا فاخذوا بالابواب ونهد شمر في الناس فدخل المدينة وقتل اهلها وحوى ما فيها ثم سار الى الصين فلقي زحوف الترك

فقهرهم وانتهى الى الصين فوجد حسان تبع قد كان سبقه اليها منذ سنين
فاقاما بها في بعض الروايات حتى ماتا وكان مقامهما احدى عشرين سنة
وفي بعض الروايات وهو المجتمع عليه ان شمرا وحسانا انصرفا في
الطريق الذي كانا اخذا فيه حتى قدما على تبع بما حازا من الاموال
بالصين وصنوف الجوهر والطيب والسبي ثم انصرفوا جميعا الى
بلادهم وذلك انه كانت همة ملوك العرب الغزو والغنيمة
ولم يطمعوا في الملك الثابت وكان احدهم اذا امتلات يده من الغنائم
وارضى جنده وظفروا بما في نفوسهم انكفاوا الى بلادهم وكانت وفاة تبع
باليمن ولم يخرج احد من ملوك اليمن بعده غازيا الى شيء من البلاد
وكان ملكه مائة واحدى وعشرين سنة . واما في الرواية الاخرى
فانه لقام تبع وواطا ابن اخيه شمرا وابنه حسانا ان يملكا الصين
ويحملا اليه الغنائم ونصب بينه وبينهم المنار فكان اذا احدث

حدث اوقدوا النار فاتى الخبر في ليلة وكان جعل آية ما بينه وبينهم اذا ما
اوقد نارين من عنده فهو هلاك يعفر وان اوقدت ثلاثا فهو
هلاك تبع وان كانت من عندهم نار فهو هلاك حسان وان كانت نارين
فهو هلاكهما فمكثوا بذلك ثم انه اوقد نارين وكان هلاك يعفر ثم اوقد
ثلاثا فكان هلاك تبع . وقد ذكر بعض الرواة ان الذي سار
الى المشرق من التبابعة تبع الآخر وهو تبع بن اسعد ابو كرب بن ملكيكرب
بن زيد بن عمرو ذي الاذعار وهو ابو حسان .

وقام بالملك بعد قباذ ابنه كسرى انوشروان

فاستقبل الامر بجد وسياسة وحزم وكان جيد الراي كثير النظر صائب
التدبير طويل الفكر ثم استشار فجدد سيرة اردشير ونظر في عهده
واخذ نفسه بما ادب به رعيته وبطانته وبحث عن سياسات الامم
واستخلص لنفسه منها ما رضيه ونظر في تدبير اسلافه المستحسنة

فاقتدى بها وكان اول ما ابتدا به ان ابطل ملة زرادشت الثاني الذي
كان من اهل فسا وكان ممن دعا الناس اليها مزدك بن بامداد وكان مما
امر به الناس لما زينه لهم وحثهم عليه التآسي في اموالهم واهاليهم
وذكر ان ذلك من البر الذي يرضاه الله ويثيب عليه احسن الثواب
وانه لو لم يكن الذي امرهم به من الدين لكان مكرمة في الفعال ورضا
في التفاوض فحض السفلة بذلك على الاشراف واختلط اجناس اللوما
بعناصر الكرما وسهل سبيل الظلمة الى الظلم والعهار الى قضا نهمتهم
والى الوصول الى الكرائم فشمل الناس بلا عظيم فلما ابطل الملك انوشروان
ملة هذين وقتل عليه بشرا كثيرا وسفك من الدما ما لا يحصى كثرة
ممن كان لا ينتهي وقتل قوما من المانوية وثبت ملة المجوسية القديمة
وكتب في ذلك كتبا بليغة الى اصحاب الولايات والاصبهبذين وقوى الملك
بعد ضعفه بادامة النظر وهجر الملاذ وترك اللهو الا في اوقات

حتى نظم اموره وقوى جنوده بالاسلحة والكراع وعمر البلاد وحفظ
الاموال وفرق منها ما لا يسع حفظه من الارزاق والصلات الموضع
مواضعها وسد الثغور ورد كثيرا من الاطراف التي غلب عليها الامم
بعلل واسباب شتى منها السند والرخج وزابلستان وطخارستان
ودهستان وغيرها وقتل امة يقال لها البارز واستبقى منهم من
فرقهم واستعبدهم واستعان بهم في حروبه واسر له امة اخرى
يقال لهم صول وقدم بهم عليه فقتلهم واستبقى ثمانين رجلا من كماتهم
وعمل اعمالا عظيمة منها بناؤه الحصون والآطام والمعاقل
لاهل بلاده يكون حرزا لهم يلجون اليها من عدو ان دهمهم

فكان من ثمرة هذه الاعمال

ان خاقان واسمه سنجوا كان في ذلك الوقت امنع الترك واشجعهم وهو الذي قاتل
وزر ملك الهياطلة غير هائب كثرة الهياطلة ومنعتهم وباسهم

فقتل وزر وعامة جنده وغنم اموالهم واحتوى على بلادهم الا
ما كان كسرى غلب عليه منها واقبل في جموعه مع امم لشمالهم
وهم الخزر وبنجر وبلنجر وبلغت عدة الجميع مائة الف وعشرة الاف مقاتل
انجاد فارسل الى كسرى يتوعده ويطلب منه اموالا وانه ان لم يعجل
بالبعثة اليه ما ساله وطئ بلاده وناجزه فلم يحفل كسرى به ولم يجبه
الى ما سال لتحصينه نواحيه لاسيما ناحية صول التي اقبل منها خاقان
ولمناعة السبل والفجاج ولمعرفته بمقدرته على ضبط ثغر ارمينية فاقدم
خاقان على ناحية صول من نواحي جرجان فراى من الحصون
والرجال الذين اعدهم كسرى ما لا حيلة له فيه فانصرف خائبا

فاما تدبيره للمزدكية

فانه ضرب اعناق رؤسائهم وقسم اموالهم في اهل الحاجة وقتل جماعة
كثيرة ممن كان دخل على الناس في اموالهم واهاليهم ممن عرف

ورد الاموال الى اربابها وامر بكل مولود اختلف فيه ان يلحق
بمن هو في سيما ذلك منهم اذا لم يعرف ابوه وان يعطى نصيبا من
مال الرجل الذي يسند اليه ان قبله الرجل وبكل امراة غلبت على
نفسها ان يؤخذ الغالب لها حتى يغرم لها مهرها ويرضي اهلها ثم تخير
المراة بين الاقامة عليه وبين تزويج غيره الا ان يكون لها زوج اول
فترد اليه وامر بكل من كان اضر برجل في ماله او ركب احدا بمظلمة
ان يؤخذ منه الحق ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرمه وامر
بعيال ذوي الاحساب الذين مات قيمهم وكتبوا له فانكح بناتهم الاكفاء
وجعل جهازهم من بيت المال وانكح بنيهم من بيوتات الاشراف
واغناهم وامرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في اعماله وخير نساء
والده ان يقمن مع نسائه فيواسين ويصيرن في الاجر امثالهن او
يبتغي لهن اكفاءهن من البعولة وامر بكري الانهار وحفر القنى

وإسلاف العمارات وتقويتهم وأمر بإعادة كل جسر قطع أو قنطرة خربت
أن يرد إلى أحسن ما كانت عليه وأمر بتسهيل سبل الناس وبنى في الطرق
القصور والحصون وتخير الحكام والعمال وتقدم إلى من ولي منهم
أبلغ التقدم وتقدم بكتب سير أردشير ووصاياه فاقتدى بها وحمل
الناس عليها فلما انتظمت له هذه الأمور واستوسق ملكه
ووثق بجنده وقوته سار نحو انطاكية فافتتحها وأمر أن تصور له
المدينة على ذرعها وطرقها وعدة منازلها وأن يبنى على صورتها له مدينة
إلى جانب المدائن فبنيت المدينة المعروفة بالرومية ثم حمل أهل انطاكية
حتى أسكنهم إياها فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما
يشبه منازلهم التي كانوا فيها بانطاكية ثم قصد لمدينة هرقل
فافتتحها ثم الاسكندرية وأذعن له قيصر وحمل إليه الفدية ثم انصرف
من الروم وأخذ نحو الخزر فأدرك فيهم تبله وما كانوا وتروه به

في رعيته ثم نحو عدن فسكر هناك ناحية من البحر بين جبلين بالصخور
وعمد الحديد ثم سار إلى الهياطلة مطالبا لهم بدم فيروز بعد أن صاهر
خاقان واستعان به فأتاهم فقتل ملكهم واستأصل أهل بيته وتجاوز
بلخ وما وراءها وأنزل جنوده فرغانة ثم انصرف إلى المدائن وبعث قوما إلى
الحبشة في جند من الديلم فقتلوا مسروقا الحبشي باليمن وأقام مظفرا منصورا
يهابه جميع الأمم وحضر بابه وفود الترك والصين والخزر ونظرائهم
وكان مكرما للعلماء وقد كان غزا أبرجان ثم رجع فبنى الباب والأبواب
وفي زمانه ولد عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلم والنبي أيضا عليه السلام
وملك ثمانيا وأربعين سنة أما عبد الله عبد المطلب فإنه ولد لأربع وعشرين
سنة من ملكه وبعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء امرأة من اليمن
فملكه الحيرة وما كان يليه آل الحارث بن عمرو ورد الأمر إلى نصابه

ومن أحسن ما دبره أنوشروان في استغزار الأموال وتثميرها

أنه بعد فراغه من الثغور وملوك الأطراف وتوظيفه الوظائف على
أقاصي الملوك من الترك والخزر والهند وغيرهم وبعض مدن الشام
ومصر والروم على ملك الروم بأموال عظيمة وإلزامه جزية يحملها
في كل سنة على أن لا يغزو بلاده نظر في الخراج وأبواب المال التي كان
يستأديها الملوك قبله من بلاده فإذا رسوم الناس كانت جارية
على الثلث من الارتفاع خراجا ومن بعض الكور الربع ومن بعضها
الخمس ومن بعضها السدس على حسب شربها وعمارتها ومن جزية الجماجم
شيئا معلوما وكان الملك قباذ بن فيروز تقدم في آخر ملكه بمسح الأرض
سهلها وجبلها ليصح الخراج عليها فمسحت غير أن قباذ هلك قبل أن
يستحكم له أمر تلك المساحة فلما ملك أنوشروان أمر باستتمامها وإحصاء
النخل والزيتون وغير ذلك والجماجم ثم أمر الكتاب فأخرجوا جمل
ذلك غير مفصلة وأذن للناس إذنا عاما وأمر كاتب خراجه أن يقرأ

عليهم الجمل المستخرجة من أصناف الغلات وعدد النخل والزيتون
والجماجم فقرأ ذلك عليهم ثم قال لهم كسرى إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصي
من جربان هذه المساحة ومن النخل والزيتون والجماجم وضائع ونأمر بإنجامها
في السنة في ثلاثة أنجم ونجمع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر
من الثغور أو طرف من الأطراف فتق أو شيء نكرهه واحتجنا إلى تداركه
أو حسمه ببذلنا فيه مالا كانت الأموال عندنا معدة موجودة ولم نرد
استئناف اجتبائها على تلك الحال فما ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا
عليه فلم يشر عليه أحد منهم بمشورة ولم ينبس بكلمة فكرر كسرى هذا
القول عليهم ثلاث مرات فقام رجل من عرضهم فقال لكسرى أتضع
أيها الملك عمرك الله الخالد من هذا الخراج على الفاني من كرم يموت
وزرع يهيج ونهر يغيض وعين أو قناة ينقطع ماؤها فقال له كسرى
يا ذا الكلفة المشؤوم من أي طبقات الناس أنت قال أنا رجل من الكتاب

فقال كسرى اضربوه بالدوي حتى يموت فضربوه بها الكتاب خاصة

تبرؤا منهم الى كسرى من رايه وماجاء منه حتى قتلوه وقال الناس نحن

راضون ايها الملك بما الزمتنا من خراج وان كسرى اختار رجالا

من اهل الراي والنصيحة فامرهم بالنظر في اصناف ما ارتفع اليه من

المساحة وعدد النخل والزيتون ورؤس الجزية ووضع الوضايع

على ذلك بقدر ما يرون ان فيه صلاح للرعية ورفاغة معايشهم

ورفع ذلك اليه فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رايه في ذلك وقدر

الوضايع واداروا الامر بينهم فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج

على ما يعصم الناس والبهايم وهو الحنطة والشعير والارز والكرم

والرطاب والنخل والزيتون وكان الذي وضعوا على كل جريب

ارض من مزارع الحنطة والشعير درهما وعلى كل جريب كرم

ثمانية دراهم وعلى كل جريب ارض رطاب سبعة دراهم وعلى كل

اربع نخلات فارسية درهما وعلى كل ست نخلات دقل مثل ذلك وعلى

كل ستة اصول زيتون مثل ذلك ولم يضعوا الا على كل نخل في حديقة

او مجتمع غير شاذ وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع فقوي الناس

في معايشهم والزموا الناس الجزية ما خلا اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة

والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك وصيروها على

طبقات اثني عشر درهما وثمانية وستة واربعة على قدر اكثار الرجل

واقلاله ولم يلزموا الجزية من كان اتى له من السنين دون العشرين او فوق

الخمسين ورفعوا هذه الوضايع الى كسرى فرضيها وامر بامضايها

والاجتباء عليها في ثلثة انجم كل سنة وسماها براسيار وتاويله الامر

المتراضى به وهي الوضايع التي اقتدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بها حين

افتتح بلاد الفرس وامر باجتباء الناس من اهل الذمة عليها الا انه وضع

على كل جريب عامر على قدر احتماله مثل الذي وضع على الارض المزدرعة

وزاد على كل جريب ارض مزارع حنطة او شعير قفيزا من حنطة الى القفيزين
ورزق منه الجند ولم يخالف بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الارض
وعلى النخل والزيتون والجماجم والغى ما كان كسرى العام في معايش الناس

ذكر قطعة من سيرة انوشروان وسياساته كتبتها على ما حداه انوشروان نفسه في كتاب عمله في سيرته وما ساس به مملكته

وقرات فيما كتبه انوشروان من سيرة نفسه قال   كنت يوما جالسا بالدسكرة
وانا سائر الى همذان لنصيف هناك وقد اعد طعام للرسل الذين بالباب
من قبل خاقان والهياطلة والصين وقيصر وبغبور اذ دخل رجل من
الاساورة مخترطا سيفه حتى وصل الى الستر فقطع الستر في ثلثة
اماكن واراد الدخول حيث نحن والوثوب علينا فاشار على بعض خدمي
ان اخرج اليه بسيفي فعلمت لئن كان انما هو رجل واحد فسوف يحال
بيننا وبينه وان كانوا جماعة فان سيفي لا يغني شيئا فلم اخف ولم اتحرك
من مكاني فاخذه بعض الحرس فاذا هو رجل رازي من حشمنا وخاصتنا

فلم يشكوا الا ان من هو على رايه كثير فسالوني الا اجلس ولا احضر
للشرب في جماعة حتى تستبين الامر فلم اجبهم الى ذلك لئلا يرى الرسل
مني جبنا فخرجت لشربي فلما فرغنا هددت الرازي بقطع اليمين والعقوبات
وسالته ان يصدقني عن الذي حمله على ذلك ولئن ان صدقني لم انله عقوبة بعد
ذلك فذكر ان قوما وضعوا من قبل انفسهم كتبا وكلاما وذكروا انه من
عند الله اشاروا عليه بذلك واخبروه ان قتله اياي يدخله الجنة
فلما فحصت عن ذلك وجدته حقا فامرت بتخلية الرازي وبرد ما اخذ منه من
المال وتقدمت بضرب رقاب اولئك الذين انتحلوا الدين واشاروا به
عليه حتى لم ادع منهم احدا   وقال انوشروان انا لما احضرت
القوم الذين اختلفوا في الدين وجمعتهم للنظر فيما يقولونه بلغ من
جراءتهم وخبثهم وتقوية شياطينهم ان لم يبالوا بالقتل والموت في اظهار
دينهم الخبيث حتى اني سالت افضلهم رجلا على بعض الناس عن استحلاله

قلني فقال نعم استحق ذلك وقل من لا يطا وعنا على دبينا فلم آمر
بقتله حتى اذا احضر وقت الغدا امرت ان يحبس للغدا وارسلت اليه بطرف
من الطعام وامرت الرسول ان يبلغه عني ان بقاي لنفع له مما ذكر
فاجاب رسولي ان ذلك حق ولكن سالني الملك ان اصدق فداك نفسي
ولا اكتمه شيا مما ادين به وانما ادين بما اخذته من موبذي
وقال انوشروان لما غدر بي قيصر وغزوته فذل وطلب الصلح وانفذ
الي بمال واقر بالخراج والفدية صدقت على مساكين الروم وضعفا
نزار عينها مما بعث الي قيصر بعشرة الف دينار وذلك قيا وطينة
ارض الروم دون غيرهان وقال لما هممت بتصحيح امر الرعية
بنفسي ورفع البلاء والظلم عنهم وما ينوبهم من ثقل الخراج فان فيه
مع الاجر تزيين المملكة وغنائم وقدرة الوالي على ما يجب ان يستخرج
منهم ان هو احتاج الى ذلك وقد كان في ابائنا من يرى ان وضع الخراج

عنهم السنة والسنتين والتخفيف احيانا مما يقويهم على عمارة
ارضيهم فجمعت العمال ومن يؤدي الخراج فرايت من تخليطهم ما لم ار له
حيلة الا التعديل والمقاطعة على بلدة بلدة وكورة كورة ورستاق رستاق
وقرية قرية ورجل رجل واستعملت عليهم اهل الثقة والامانة في نفسي
وجعلت في كل بلد مع كل عامل امينا يحفظون عليه ووليت قاضي كل
كورة النظر في اهل كورته وامرت اهل الخراج ان يرفعوا ما يحتاجون
الى رفعه الينا الى القاضي الذي وليته امر كورتهم حتى لا يقدر العامل
ان يزيد شيا وان يؤدوا الخراج بمشهد من القاضي وان يعطي البراءة
وان يرفع خراج من هلك منهم ولا يراد الخراج ممن لم يدرك من الاحداث
ولن يرفع القاضي وكاتب الكورة وامين اهل البلد والعامل محاسبتهم
الى ديواننا ووقعت الكتب بذلك ن وقال رفع الينا موبذان
موبذان قوما سماهم من ذوي الشرف بعضهم بالباب كان شاهدا

وبعضهم ببلاد أخر دينهم مخالف لما ورثناه عن نبيّنا وعلمائنا وانهم يتكلمون
بدينهم سرًّا ويدعون اليه الناس وان ذلك مفسدة للملك حتى لا تقوم
الرعية على هوى واحد فيحرّمون جميعهم ما يحرّم الملك ويستحلّون
ما يستحلّ الملك في دينه فانّ ذلك اذا اجتمع للملك قوي جنده
لاجل الموافقة بينهم وبين الملك فاستظهر على قتال الاعدا فاحضرت
لذلك المختلفين في الاهوا وان تخاصموا حتى يقفوا على الحق ويقرّروا
به وامرت ان ينفوا عن مرتبتي وعن بلادي ومملكتي ويتبع كل من هو على
هواهم فيفعل به ذلك   وقال انّ الترك الذين في ناحية الشمال
كتبوا الينا بما قد اصابهم من الحاجة وانّهم لا يجدون بدًّا ان لم نعطهم
شيا من ان يغزونا وسالوا خصالا لا احدها ان نجريهم جندا ونجري
عليهم ما يعيشون به وان نعطيهم من ارض الكخ وبلنجر وتلك الناحية
ما يتعيشون منه فرايت ان اسير في ذلك الطريق الى باب صول

واحببت ان نعرف الملوك من قبلنا هناك نشاطنا للاسفار وقوّتنا
عليها متى هممنا وان يروا امارا ادام من هيبة الملوك وكثرة الجنود
وتمام العدّة وكمال السلاح ما يقودون به على اعدائهم ويعرفون به
قوّة من خلفهم ان هم احتاجوا اليه واحببنا بمسيرنا ان نحمي لهم على
ايدينا الجوايز والحملان والقرب من المجلس واللطف في الكلام
ليمنّ بهم ذلك مودّة لنا ورغبة فينا وحرصا على قتال اعدائنا واحببت
ايضا التعهد لحصونهم ولن اسال اهل الخراج عن امريهم في مسيرنا
فسرت في طريق همدان واذربيجان فلما بلغت باب الصول ومدينة
فيروز خسرو رممت تلك المداين العتيقة والجدود وامرت ببنا
حصون اخر فلما بلغ خاقان الخزر نزولنا هناك تخوّف ان نغزوه
فكتب انه لم يزل منذ ملكت يحب موادعتي وانه يرى الدخول
في طاعتي سعادة وراى بعض قوّاده لما شاهد حاله تركه فانا ابا في

الفين من اصحابه فقبلناه وانزلناه مع لساورتنا في تلك الناحية واجريت
عليه وعلى اصحابه الرزق وامرت لهم بحصن هناك وامرت بمصلى لاهل
دينا وجعلت عليه موذنا وقوما نساكا ولعرفهم ان يعلموا امن دخل في
طاعتنا من الترك ما في طاعة الولاة من المنفعة العاجلة في الدنيا والثواب
الاجل في الاخرى وان يحثوهم على المودة والفتح والعدل والنصيحة
ومجاهدة العدو وان يعلموا احداثهم راينا ومذهبنا ولقيت لهم في
تلك النجوم الاسواق واصلحت طرقهم وقومت السكك ونظرنا
فيما اجتمع لنا هناك من الخيل والرجال فاذا هو بحيث لو كان في وسط
فارس لكان منزلنا بها فاصلا   قال ولما اتى لملكنا ثمان وعشرون
سنة حددت النظر في امر المملكة والعدل على الرعية والنظر
في امرهم واحصا مظالمهم وانصافهم وامرت موبذ كل ثغر ومدينة
وبلد وجند بانهاذ ذلك الي وامرت بعرض الجند من كان منهم بالباب

بمشهد مني ومن غاب في الثغور والاطراف بمشهد القائد وباذوسبان
والقاضي والامين من قبلنا وامرت بجمع اهل كور الخراج في كل ناحية
من مملكتي الى مصرها مع القائد وقاضي البلد والكاتب والامين ومن حضر
من قبلي ممن عرفت صحته وامانته ونسكه وعلمه ومن جربت ذلك
منه الى كل مصر ومدينة حيث اولئك العمال واهل الارض ليجمعوا
بينهم وبين اهل ارضيهم وبين وضيعهم وشريفهم وان يرفع الامر
كله على حقه وصدقه فيما نفذ فيه لهم امر لو صح فيه القضاء ورضي
به اهله فرغوا منه هنالك وما اشكل عليهم دفعوه الي وبلغ
اهتمامي بتفقد ذلك لما لولا الذي اداري من الاعدا والثغور
لباشرت امر الخراج والرعية بنفسي قرية قرية حتى اتعهدها
واكلم رجلا رجلا من اهل مملكتي غير اني تخوفت ان يضيع بذلك
السبب امر هو اعظم منه والامر الذي لا يغني فيه احد غنائي

ولا نقدر على احدا منهم غيري ولا يكفينيه كاف مع الذي في الشخوص
الى قريه قريه من المؤنه على الرعيه من جندنا ومن لا نجد بدا من اشخاصه
معنا وكرهنا ايضا اشخاصهم للبيامع تخوفنا ان نشغل اهل الخراج عن
عماره ارضيهم او يكون فيهم من يدخل عليه في ذلك مؤنه في تكلف
السير الينا وقد ضيع قراه وانهاره وما لا نجد بدا من تعهده في السنه
كلها في اوقات العماره ففعلنا ذلك بهم ووكلنا موبذان موبذ وكتبنا به
الكتب وشرحنا من نثق به ورجونا ان يجري مجرانا ونصحنا وقلدناه
ذلك ٥ قال ولما امن الله بجميع اهل مملكتنا من الاعدا
فلم يبق منهم الا نحو من الفي رجل من الديلم الذين عسر افتتاح حصنهم
لصعوبة الجبال عليها لم نجد شيا انفع لمملكتنا من ان نخفف عن الرعيه
واولئك الامنا الذين وصيناهم بانصاف اهل الخراج وكان بلغنا
ان اولئك الامنا لم يبالغوا على قدر ما بنا في ذلك فامرت بالكتب

الى قاضي كوره كوره ان يجمع اهل الكوره بغير علم عاملهم ووالي الفرهم
فيسلهم عن مظالمهم وما استخرج منهم ويفحص عن ذلك بجهود رايه
ويبالغ فيه ويكتب حال رجل رجل منهم ويختم عليه بخاتمه وخاتم
الرضا من اهل تلك الكوره ويبعث به الي ويشرح ممن يجتمع راي
اهل الكوره عليه بالرضا نفرا وان احبوا ان يكون فيمن يشخص بعض سفلتهم
ايضا فعل ذلك فلما حضروا جلست للناس واذنت لهم مشافهة
من عظما ارضنا وملوكهم وقضاتهم واحرارهم واشرافهم ونظرت
في تلك الكتب والمظالم فاية مظلمه كانت من العمال ومن وكلائنا
او من وكلا اولادنا ونسائنا واهل بيتنا حططنا عنهم بغير بينه
لعلمنا بضعف اهل الخراج عنهم وظلم اهل القوه من السلطان
لهم واية مظلمه كانت لبعضهم من بعض ووضحت لنا امرت
بانصافهم قبل البراح وما اشكل او وجب الفحص عنه بشهود البلد

وقاصيتها شرحت معه امنا من الكتاب وامنا من فقهاء ديننا وامنا
ممن نثق به من خدمنا وحاشيتنا فاحكمت بذلك احكاما وثيقا ه
ولم يجعل الله لذوي قرابتنا وخدمنا وحاشيتنا منزلة عندنا دون الحق
والعدل فان من شان قرابة الملك وحاشيته ان يستطيلوا بعزه
وقوته فاذا اهمل السلطان امرهم هلك من جاوره الا ان يكون فيهم
مؤدب بادب ملكه محافظ على دينه شفيق على رعيته وذلك قليل
فدعانا الذي اطلعنا عليه من ظلم اولئك الى ان لا نطلب البينة عليهم
فيما ادعي قبلهم ولم نرد ظلم احد ايضا ممن كان عزيزا بنا منيعا بمكانه
ومنزلته عندنا فان الحق واسع للضعفاء والاقوياء والفقراء والاغنياء
ولكنا لما اشكلت الامور في ذلك علينا كان الحمل على خواصنا وخدمنا
احب الينا من ان نحمل على ضعفاء الناس ومساكينهم واهل الفاقة
والحاجة منهم وعلمنا ان اولئك الضعفاء لا يقدرون على ظلم من حولنا

100

وعلمنا مع ذلك ان الذي تعدينا عليهم من خاصتنا يرجعون من نعمتنا
وكرامتنا الى ما لا يرجع اليه اولئك الضعفاء ولعمري
لان احب خواصنا الينا وابر خدمنا في انفسنا الذين يحفظون سيرتنا
في الرعية ويرحمون اهل الفاقة والمسكنة وينصفونهم فانه قد ظلمنا
من ظلمهم وجار علينا من جار عليهم واراد تعطيل ذمتنا التي هي حرزهم
وملجأهم ك قال ثم كتب الينا على راس سبع وثلثين سنة
من ملكنا اربعة اصناف من الترك من ناحية الخزر ولكل صنف
منهم ملك يذكرون ما دخل عليهم من الحاجة وما لهم من الحظ في
عبوديتنا وسالوا ان ناذن لهم في القدوم باصحابهم لخدمتنا والعمل
بما نامرهم به ونجري عليهم ما سلف منهم قبل ملكنا وان نجعل لهم منزلة
سائر عبيدنا فانا نستري في كل ما نامرهم به من قتال وغيره كافضل
ما نرى من اهل نصيحتنا قرابة في قبولي اياهم عدة منافع منها

جلدهم وباسهم ومنها التي تخوفت ان يحملهم الحاجة على اتيان قيصر او
بعض الملوك فيقووا بهم علينا وقد كان فيما سلف يستاجر قيصر منهم
لقتال ملوك ناحيتنا على الاجرة فكان لهم في ذلك القتال بعض الشوكة
بسبب اولئك الاتراك لان الترك ليس عندهم لذة الحيوة فهو الذي
يجسرهم مع شقا معيشتهم على الموت فكتبت اليهم لنا نقبل من دخل
في طاعتنا ولا نخل على احد مما عندنا وكتبت الى مرزبان الباب آمره ان يدخلهم
الافا والافا فكتب الي انه قد اتاه منهم خمسون الفا بنسائهم واولادهم
وعيالاتهم واتاه من روسائهم ثلثة الف باهل بيتهم ونسائهم واولادهم
وعيالاتهم ولما بلغني ذلك احببت ان اغربهم الى ان يعرفوا احساني
اليهم فما اكرمهم به واعطيهم وليطمئنوا الى قوادنا حتى اذا اردنا
ان نبحثهم مع بعض قوادنا كان كل واحد بصاحبه وائقا فشخصت
الى اذربيجان فلما نزلت اذربيجان اذنت لهم في القدوم فاتاني عند

ذلك الطرايف من هدايا قيصر واتاني رسول خاقان الاكبر ورسول صاحب
خوارزم ورسول ملك الهند والداور وكابلشاه وصاحب سرنديب وصاحب
كله وكثير من الرسل وتسعة وعشرون ملكا في يوم واحد واستهديت
الى اولئك الاتراك الثلثة والخمسين الالف فامرت ان تصففوا هناك
وركبت لذلك فكان يومئذ من اصحابي ومن قدم علي ومن دخل
في طاعتي وعبودتي من ابتعهم مرج كان طوله نحو عشر فراسخ
فحمدت الله كثيرا وامرت ان يصنف اولئك الاتراك في اهل بيوتاتهم
على سبع مراتب ورأست عليهم منهم واقطعتهم وكسوت اصحابهم
واجريت عليهم الارزاق وامرت لهم بالمياه والارضين واسكنت
بعضهم مع قابل لي بجرجان وبعضهم مع قابل لي باللان وبعضهم
باذربيجان وقسمتهم في كل ما احتجنا اليه من الثغور وضممتهم الى
المرزبان فلم ازل اتى من اصحابهم واجتناديهم فيأتون جهدهم له ما

بشرنا في جميع المدائن والثغور وغيرها قال وكتب الى خاقان الاكبر
يعتذر الي من بعض غدراته ويسأل المراجعة والتجاوز وذكر في
كتابه ورسالته ان الذي حمله على عداوتي وغزو ارضي من لم ينظر
له وناشدني الله ان اتجاوز عنه وتوثق لي بما اطمأننت اليه وذكر ان قيصر
قد ارسل اليه وزعم انه يستاذنني في قبول رسله وانه لا يعجل في قبول رسل
احد الا بامرنا ولا يتجاوز امري ولا يرغب في الاموال ولا في المودات
لاحد الا برضاي وكان دسيس لي في الترك كاتبني بندم خاقان وندم
اصحابه على غدره وعداوته اياي فاجبته اني لعمري ما ابالي اطبيعة
نفسك وغريزتك غدرت بنا ام اطعت غيرك في غدرك بنا وما ذنبك
في طاعة من اطعت في ذلك الا كذنبك فيما فعلته برأي نفسك وانك قد
استحققت اشد العقوبة وكنت اني لا اظن شيئا مما وجب بيني وبينكم
الا وقد كنت صنعته ولا اظن شيئا من الوثيقة بقي لكم الا وقد نقضت

لنا به قبل اليوم ثم غدرتم فكيف نطمئن اليك ونثق بقولك
ولسنا نامنك على مثل ما فعلت من الغدر ونقض العهد والكذب
في اليمين وذكرت ان رسل قيصر عندك فوقفنا على استبدائك
ايانا فيهم واني لست انهاك عن موادة احد وكرهت ان ترى انه الخوف
مصادقته واهاب ذلك منه واحببت ان اعلمك اني لا ابالي بشيء مما يجري
بينهما ثم شرحت لهم مدا المدائن والحصون التي بخراسان وجمع
الاطعمة والاعلاف اليها مما يحتاج اليه الجند ولم يزل ان يكونوا على
استعداد وحذر ولا يكون من غفلتهم ما كان في المرة الاولى وهم
على حال الصلح قال وكان شكري لله تعالى لما وهب لي واعطاني
متصلا بنعمه الاول التي وهبها لي في اول خلقه اياي فانما الشكر
والنعم عدلان ككفتي الميزان ايهما رجح بصاحبه احتاج الاخف الى
ان يزاد فيه حتى يعادل صاحبه :: فاذا كانت النعم كثيرة والشكر

قليلًا انقطع الحمل وهلك ظهر الحامل واذا كان ذلك مستويًا استمر
للحامل فكثير النعم يحتاج صاحبها الى كثير الشكر وكثير الشكر يجلب
كثير النعم ولما وجدت الشكر بعضه بالقول وبعضه بالعمل
ونظرت في احب الاعمال اليه فوجدته الشي الذي به اقام السموات
والارض وارسى به الجبال واجرى به الانهار وبرا به البرية وذلك
الحق والعدل فلزمته ورايت ثمرة الحق والعدل عمارة البلدان
التي بها معاش الناس والدواب والطير وسكان الارض ولما نظرت
في ذلك وجدت المقاتلة اجرا لاهل العمارة ووجدت اهل
العمارة اجرا للمقاتلة فاما المقاتلة فانهم يطلبون اجورهم من اهل
الخراج وسكان البلدان لمدافعتهم عنهم ومجاهدتهم من وراءهم
فحق على اهل العمارة ان يوفوهم اجورهم فان عمارتهم تتم بهم
وان ابطاوا عليهم بذلك اوهنوهم فقوي عدوهم وانتن الحق

على اهل الخراج الا تكون لهم رغبة عما بايديهم الا ما اقام معايشهم
وعمروا به بلدانهم ورايت ان لا اجتاحهم واستفرغ ذات ايديهم للخزاين
والمقاتلة فاني اذا فعلت ذلك ظلمت المقاتلة مع ظلم اهل الخراج وذلك
انه اذا فسد العامر فسد المعمور وذلك ان اهل الارض والارض فانه اذا لم
يكن لاهل الخراج ما يعيشهم ويعمرون به بلادهم هلكت المقاتلة الذين
قوتهم بعمارة الارض واهل العمارة فلا عمارة للارض الا بفضل ما في
يد اهل الخراج فمن الاحسان الى المقاتلة والاكرام لهم ان ارفق باهل
الخراج واعمر بلادهم وادع لهم فضلا في معايشهم فاهل الارض
وذوو الخراج ابوا المقاتلة والجند وقوتهم والمقاتلة ايضا ابوا اهل
الخراج وقوتهم ولقد فكرت وميزت ذلك جهدي وطاقتي
فما رايت ان افضل هولاء على اولئك ولا اولئك على هولاء اذ وجدتهما
كالبنيان المتفاوتين وكالرجلين المتعاديين ولعمري ما اعفى اهل

الخراج من الظلم من أضر بالمقاتله ولا كف الظلم عن المقاتله من تعدى

على أهل الخراج ولولا سعينا الأساوره لا بقوا على الخراج والبلاد ابقا

الرجل على ضيعته التي منها معيشته وحبوته وقوته ولولا احتمال أهل

الخراج لكفوا عن أنفسهم بعض ما يحتاجون إليه من المعاش إيثارا

للمقاتله على أنفسهم   قال ولما فرغنا من إصلاح العامتين الخاصته

بهذين الركنين من أهل الخراج والمقاتله وكان ذلك ثمره للعدل والحق

الذي به دبر الله العظيم خلائقه وشكرت الله على نعمته في أداء حقه

على مواهبه وأحكمنا أمور المقاتله وأهل الخراج ببسط العدل

أقبلنا بعد ذلك على السير والسنن ثم بدأنا بالأعظم فالأعظم

نفعا لنا والأكبر فالأكبر عائدة على جندنا ورعيتنا ونظرنا في سير

آبائنا من لدن بشتاسف إلى ملك قباذ أقرب آبائنا منا ثم لم نترك

صالحا في شيء من ذلك إلا اخترنا ولا فاسدا إلا أعرضنا عنه

ولم يدعنا إلى قبول ما لا خير فيه من السنن حب الآباء ولكنا آثرنا

حب الله وشكره وطاعته :   ولما فرغنا من النظر في سير

آبائنا وبدأنا بهم وكانوا أحق بذلك فلم ندع حقا إلا آثرناه ووجدنا

الحق أقرب القرابه نظرنا في سير أهل الروم والهند فاصطفينا

محمودها وجعلنا عيار ذلك عقولنا وميزناه بأحلامنا فأخذنا

من جميع ذلك ما زين سلطاننا وجعلناه سنة وعادة ولم تنازعنا

أنفسنا إلى ما تميل إليه أهواؤنا وأعلمناهم ذلك وأخبرناهم به وكتبنا

إليهم بما كرهنا لهم من السير ونهيناهم عنه وتقدمنا إليهم فيه غير

أنا لم نكره أحدا على غير دينه وملته ولم نحسدهم ما قبلنا ولا مع

ذلك أنفنا من تعلم ما عندهم فإن الإقرار بمعرفة الحق والعلم والاتباع

له من أعظم ما تزينت به الملوك ومن أعظم المضرة على الملوك

الأنفة من التعلم والحمية من طلب العلم ولا يكون عالما من لم يتعلم :

ولما استقصيت ما عند هاتين الأمتين من حكمة التدبير والسياسة
ووصلت بين مكارم أسلافي وما أحدثته برأيي وأخذت به نفسي وقبلته
عن الملوك الذين لم يكونوا منا وثبت على الأمر الذي نلت به الظفر
والخير ورفضت سائر الأمم لأني لم أجد عندهم رأيا ولا عقولا ولا
أحلاما ووجدتهم أصحاب بغي وحسد وكلب وحرص وشح وسوء
تدبير وجهالة ولؤم عهد وقلة مكافاة وهذه أمور لا تصلح
عليها ولاية ولا تتم بها نعمة ن وقرأت مع هذه السيرة في
آخر هذا الكتاب الذي كتبه أنوشروان في سيرة نفسه أن أنوشروان
لما فرغ من أمور المملكة وهذبها جمع إليه الأساورة مع القواد العظماء
والمرازبة والنساك والموابذة وأماثل الناس معهم فخطبهم فقال

خطبة أنوشروان

أيها الناس أحضروني فهمكم وأرعوني أسماعكم وأصغوا إلي أنفسكم

فإني لم أزل واضعا سيفي على عنقي منذ وليت عليكم غرضا للسيوف والأسنة
كل ذلك للمدافعة عنكم والإبقاء عليكم وإصلاح بلادكم مرة بأقصى المشرق
وتارة في آخر المغرب وأخرى في ناحية الجنوب ومثلها في جانب الشمال
ونقلنا الذين اتهمتهم إلى غير بلادهم ووضعت الوضائع في بلدان الترك
وأقمت بيوت النيران بقسطنطينية ولم أزل أصعد جبلا شامخا وأنزل
عنه وأطأ حزونه بعد سهوله وأصبر على المخمصة والمخافة وأكابد
البرد والحر وأركب هول البحر وخطر المفازة إرادة هذا الأمر الذي قد
أتمه الله لكم من الإثخان في الأعداء والتمكين في البلاد والسعة في
المعاش ودرك العز وبلاغ ما نلتم فقد أصبحتم بحمد الله ونعمته
على الشرف الأعلى من النعمة والفضل الأكبر من الكرامة والأمن
وقد قهر الله أعداءكم وقتلهم فهم بين مقتول هالك وحي مطيع
لكم سامع وقد بقي لكم عدو وعددهم قليل وبأسهم شديد وشوكتهم

عظيمة وهؤلاء الذين بقوا أخوف عندي عليكم وأحرى أن يهزموكم
ويغلبوكم من الذين غلبتموهم من أعدائكم أصحاب السيوف والرماح والخيول
فإن أنتم أيها الناس غلبتم عدوكم هذا الذي غلبتكم لعدوكم الذين
قاتلتم وحاضر ثم فقد تم لكم الظفر والنصر وتمت فيكم القوة وتم بكم
العز وتمت عليكم النعمة وتم لكم الفضل وتم لكم الاجتماع
والألفة والنصيحة والسلامة وإن أنتم قصرتم ووهنتم وظفر هذا
العدو بكم فإن الظفر الذي كان منكم على عدوكم بالمغرب والمشرق
وفي الجنوب والشمال لم يكن ظفرا منكم فاطلبوا أن تقتلوا ليس هذا
العدو الباقي مثل الذي قتلتم من ذلك العدو الماضي ولكن جدكم
في هذا واجتهادكم واحتشادكم أكبر وأجل وأحزم وأعزم
وأصح وأشد فإن أحق الأعداء بالاستعداد له أعظمهم مكيدة وأشدهم
شوكة وليس الذي كنتم تخافون من عدوكم الذي قاتلتم بتجريب

من هؤلاء الذين أخبرتكم بقتالهم الآن فاطلبوه وصلوا ظفرا بظفر
ونصرا بنصر وقوة بقوة وتأييدا بتأييد وحزما وعزما بحزم وعزم
وجهادا بجهاد فإن بذلك اجتماع صلاحكم وتمام النعمة عليكم والزيادة
في الكرامة من الله لكم والفوز برضوانه في الآخرة
ثم اعلموا أن عدوكم من الترك والروم والهند وسائر الأمم
لم يكونوا ليبلغوا منكم أن ظهروا عليكم وغلبوكم مثل الذي يبلغ هذا
العدو منكم إن غلبكم وظهر عليكم فإن بأس هذا العدو لأشد
وكيده أكبر ولهو أخوف من ذلك العدو يا أيها الناس لئن قد نصب
لكم كما رأيتم ولقيتم ما قد علمتم بالسيف والرمح والمفاوز في البحار
والسهولة والجبال أقارع عدوا أعدوا أو كالب جندا أجندوا أو كابد ملكا
ملكا لم أتضرع إليكم هذا التضرع في قتال أولئك الجنود والملوك
ولم أسألكم هذه المسألة في طلب الجد منكم والاجتهاد والاحتفال

والاحتشاد وانما فعلت هذا اليوم لعظم خطره وشدة شوكته
ومخافة صولته بكم وان انا ايها الناس لم اغلب هذا العدو وانفيه عنكم
فقد انبسطت فيكم اكبر الاعدا ونفيت عنكم اضعفها فاعينوني على
نفي هذا العدو المخوف عليكم القريب الدار منكم فانشدكم الله ايها الناس
لما اعنتموني عليه حتى انفيه عنكم واخرجه من بين اظهركم فتم بلائي
عندكم وبلا الله فيكم عندي وتتم النعمة علي وعليكم والكرامة من الله
لي ولكم وتتم بهذا الغزو النصر وهذا الشرف والتمكين وهذه
للثروة والمنزلة لكم يا ايها الناس اني تفكرت بعد فراغي من كتابي هذا
وما وصفت من نعمة الله علينا في الامر الذي به غلب دارا الملوك والامم
وقهرها واستولى على بلادها ثم لم يحكم امر هذا العدو وهلك وهلكت
جنوده بعد السلامة والظفر والنصر والغلبة وذلك انه لم يرض
بالامر الذي تم له به الملك واشتد به له السلطان وقوي على

الاعدا وتمت عليه به النعمة وفاضت عليه من وجوه الدنيا كلها الكرامة
حتى احتيل له بوجوه النميمة والبغي فدعا البغي الى الحسد فتفرق بهم وتمكن
ودعا الحسد بعض اهل الفقر لاهل الغنى واهل الخمول لاهل الشرف
ثم اتاهم الاسكندر على ذلك من تفرق الاهوا واختلاف الامور وظهور
البغضا وقوة العداوة فيما بينهم والفساد منهم ثم ارتفع ذلك الى
ان قتله صاحب حرسه وامينه على دمه للذي شمل قلوب العامة من
الشر والضغينة وما نشب منها من العداوة والفرقة فكفى الاسكندر
مونة نفسه وقد اتعظت بذلك اليوم وذكرته يا ايها الناس
فلا اسمعن في هذه النعمة تفرقا ولا تباغيا ولا تحاسدا ظاهرا ولا
وشاية ولا سعاية فان الله قد طهر من ذلك اخلاقنا وملكنا واكرم
عنه ولايتنا وما زلت ما زلته بنعمة ربنا وحمده بشي من هذه الامور
الخبيثة التي يفتنها العلما وعافتها الحكما ولكني تلك هذه الرتب

بالصحة والسلامة والحب للرعية والوفا والعدل والاستقامة
واليمن وانما تركنا ان ناخذ عن هذه الامم التي سميناها اعني من
الترك والبربر والزنج والجبال وغيرهم مثل ما اخذنا عن الهند
والروم لظهور هذه الاخلاق فيهم وغلبتها عليهم ولن تفلح
امة قط ولا ملكها على ظهور هذه الاخلاق فيها وان اول
ما لنا نافي وتارك من هذه الامور هذه الاخلاق التي هي اعني
اعدائكم يا ايها الناس ان فيما بسط الله علينا بالسلامة
والعافية والاستصلاح غنى لنا عما نطلب بهذه الاخلاق المردية
المشومة فاكفوني في ذلك انفسكم فان قهر هذه الاعدا احب الي
وخير لكم من قهر اعدائكم من الترك والروم فاما انا يا ايها الناس
فقد طبت نفسا بترك هذه الامور ومحقها وقمعها ونفيها عنكم
لا حاجة لي بما فيها ولا بالتي علي منها فطيبوا انفسا بالذي طبت

به نفسا منكم يا ايها الناس اني قد احببت ان انفي عنكم عدوكم
الباطن والظاهر فاما الظاهر منهما فانا نحمد الله ونعمته قد نفيناه عنا
الله عليه وخضد لنا شوكته واحسنتم فيه واجملتم ولستم بحميد ثم
فافعلوا في هذا العدو كما فعلتم في ذلك العدو واعملوا فيه كالذي
عملتم في ذلك واحفظوا عني ما اوصيكم به فاني شفيق عليكم ناصح
لكم ايها الناس من اجتبى هذه الامور فينا فقد افسد
ملكه عندنا بقتاله من كان بقتالنا من اعدائنا فان هذه اكثر مضرة
واشد شوكة واعظم بلية واضر شيعة واعلموا ان خيركم
يا ايها الناس من جمع الى بلائه السالف عندنا المعونة لنا على
نفسه في هذا الغابر واعلموا ان من غلبه هذا غلب عليه
ذاك ومن غلب هذا فقد قهر ذاك وذلك ان بالسلامة
والالفة والمودة والاجماع والتناصح منكم تكون العز والقدرة

والسلطان ومع التحاسد والبغي والنميمة والتسبب يكون
ذهاب العز وانقطاع القوة وهلاك الدنيا والآخرة فعليكم
بما امرناكم به واحذروا ما نهيناكم عنه ولا قوة الا بالله عليكم
بمواساة اهل الفاقة وضيافة السابلة واكرموا جوار من جاوركم
واحسنوا صحبة من دخل من الامم فيكم فانهم في ذمتي لا تحملوهم
ولا تظلموهم ولا تسلطوا عليهم ولا تخرجوهم فان الاخراج يدعوا
الى المعصية ولكن اصبروا لهم على بعض الاذى واحفظوا ايمانكم
وعهدكم واحفظوا ما عهدت اليكم من هذه الاخلاق فانا
لم نر سلطانا قط ولا امة هلكوا الا بترك هذه الاخلاق ولا
صلحوا الا بها والله تعالى ولي الامور كلها ثم هلك انوشروان
بعد ثمنية واربعين سنة من ملكه

وملك ابنه هرمز بن انوشروان

وكانت امه بنت خاقان الاكبر وكان كثير الادب حسن النية في الاحسان
الى الضعفا والمساكين الا انه كان يحمل على الاشراف فعادوه وابغضوه
فعلم بذلك منهم وكان في نفسه منهم مثل ما في انفسهم منه

وكان من سيرته المرتضاة

انه تحرى الخير والعدل على الرعية وتشدد على العظما المستطيلين
على الضعفا وبلغ من عدله انه كان يسير الى الماه ليصيف هناك
فامر فنودي في مسيره ذلك في مواضع الحروث ان يتحامى ولا يسير
فيها الراكب لئلا يضروا باحد ووكل بتعهد ما يجري في عسكره
ومعاقبة من يتعدى امره وتغريمه عوضا لصاحب الحرث وكان
ابنه كسرى في عسكره فعار مركب من مراكبه ووقع في محرثة
من المحارث التي كانت على طريقه فرتع فيها وافسد منها فاخذ
ذلك المركب ودفع الى الرجل الذي وكله هرمز بمعاقبة من افسد

ويداووا آفته شيئا من المخارف ويغرمه فامر بقلد الرجل على انفاذ
امر فيهم في كسرى لسنة ولا احد من حشمه فرنح ما راى من افساد
ذلك المركب لاهل الحرث فامره ان يجدع اذنيه ويبتر ذنبه ويغرم
كسرى فخرج الرجل لانفاذ الامر فدس له كسرى رهطا من
العظما ليسألوه التغيب في امره فلقوه وكلموه في ذلك فلم
يجب اليه فسألوه ان يوخر ما امر به فيهم من المركب حتى يكلموه
فامر بالكف عنه ففعل فلقي اولئك الرهط كسرى واعلموه
ان بذلك الدابة التي عار زعاره وانه اخذ للوقت وسألوه
ان يامر بالكف عن جدعه وتبتيره لما فيه من سوء الطيرة
فلم يجبهم الى ما سألوه وامر بالمركب فجدع اذناه وبتر ذنبه
وغرمه كسرى كما يغرم غيره في هذا الحدث ثم ارتحل
واجتاز كسرى ذات يوم في اوان ايناع الكرم الى ساباط المداين

وكان ممره على بساتين وكروم فاطلع بعض اساورته في كرم فرأى فيه
حصرما فاصاب منه عناقيد ودفعها الى غلام له وقال اذهب بها الى
المنزل واطبخها بلحم واتخذ منها مرقة فانها نافعة في هذا الاوان فاتاه
حافظ ذلك الكرم فلزمه وصرخ فبلغ اشفاق الرجل من عقوبة كسرى من
على تناوله من ذلك الكرم ان دفع الى حافظ الكرم منطقة محلاة
بذهب كانت عليه عوضا له من الحصرم الذي رزاه من كرمه وافتدى بها
نفسه وراى ان قبض الحافظ اياها منه وتخليته عنه منة من بها عليه
فهذه كانت سيرته فيهم في العدل والضبط للتدبير وكان مظفرا
منصورا لا تمتد يده الى شيء الا ناله وكان مع ذلك اديبا اريبا داهيا
الاعرفا قد نزعه اخواله من الترك وكان لذلك مقصيا للاشراف واهل
البيوتات والعلما وقيل انه قتل ثلثة عشر الف رجل وستمائة رجل ولم يكن
له راي الا في تألف السفلة واستصلاحهم وحبس جماعة من العظماء وخسّ

مراتب خلق وقصر بالاساوره ففسدت عليه نيات جمله من الكبرا
والعمل ذلك باجناه على بهرام شوبين ما سنحكيه وكان ذلك سبب هلاكه

ذكر سوء اخباره فيما دبر به جنده
وبهرام شوبين حتى هلك

خرج على هرمز خوارج منها شابه ملك الترك الاعظم في ثلثمايه الف مقاتل
وصار الى باذغيس وذلك بعد احدى عشره سنه من ملكه وخرج عليه ملك
الروم في ثمنين الف مقاتل قاصدا له وخرج عليه ملك الخزر حتى صار
الى باب الابواب وخرج عليه من العرب خلق نزلوا في شاطي الفرات
وشنوا الغاره على اهل السواد واجترا عليه اعداوه وغزوا بلاده
فاما شابه ملك الترك فانه ارسل الى هرمز والى عظما الفرس يوذنهم
باقباله ويقول رموا قناطر انهاركم واوديتكم لاجتاز عليها الى بلادكم
واعقدوا القناطر على كل نهر لا قنطره له وافعلوا ذلك في الانهار
والاوديه التي عليها مسلكي من بلادكم الى بلاد الروم فاني مجمع على

المسير اليها من بلادكم فاستفظع هرمز ما ورد عليه من ذلك فشاور
فيه فاجمع له على قصد ملك الترك وصرف العنايه اليه فوجه اليه رجلا
من اهل الري يقال له بهرام بن بهرام جشنس ويعرف بجوبين فاختار بهرام
من الجند اثني عشر الف رجل على عينه من الكهول دون الشباب وكانت
عده من يشتمل عليه الديوان سبعين الف مقاتل فمضى بهرام بالجند
واغذ حتى جاز هراه وباذغيس ولم يشعر شابه ببهرام حتى نزل
بالقرب منه معسكرا فجرت بينهما حروب ورسائل الى ان قتل بهرام
شابه برميه رماه فاستباح عسكره واقام بموضعه فوافاه برموذه
بن شابه وكان يعدل بابيه فحاربه فهزمه وحصره في بعض الحصون
ثم الح عليه حتى استسلم له فوجهه اسيرا الى هرمز وغنم كنوزا عظيمه
ويقال انه حمل الى هرمز من الاموال والجواهر والاواني وساير الامتعه
مما غنمه وقر مايتي الف وخمسين الف بعير في مده تلك الايام فشكر هرمز على

ذلك الا انه اراد منه ان ينفذ بمن معه الى بلاد الترك وكاتبه في
ذلك فلم ير بهرام ذلك صوابا ثم خاف بهرام سطوة هرمز وخيل له ان
الملك يستقل ما حمله اليه من الغنائم حين ما وصل اليه وانه يقول في
مجالسه بهرام قد ترفه واستطاب الدعة وبلغ ذلك الجند فخافوا مثل خوفه
فيقال ان بهرام جمع ذات يوم وجوه عسكره فاجلسهم على مراتبهم
ثم خرج عليهم في زي النساء بيده مغزل وقطن حتى جلس في موضعه
وحمل لكل واحد من اولئك القوم مغزل وقطن فوضع بين ايديهم
فامتعضوا من ذلك وانكروه فقال بهرام ان كتاب الملك ورد علي
بذلك ولا بد من امتثال امره ان كنتم طائعين فاظهروا الانفة والحمية
وخلعوا هرمز واظهروا ان ابنه ابرويز اصلح للملك منه وساعدهم
على ذلك خلق كثير ممن كان بحضرة هرمز وانفذ هرمز جيشا كثيفا مع
اذينجشنس لمحاربة بهرام واشفق ابرويز من الحديث وخاف سطوة

بهرام فهرب الى اذربيجان فاجتمع اليه هناك عدة من المرازبة والمسنين
فاعطوه بيعتهم ولم يظهر ابرويز شيئا واقام بمكانه الى ان بلغه قتل
اذينجشنس الموجه لمحاربة بهرام شوبين وانفضاض الجمع الذي معه واضطراب
امر ابيه هرمز وكتبت اليه اخت اذينجشنس وكانت تربيه تخبره بضعف ابيه
هرمز واعلمته ان العظماء والوجوه قد اجمعوا على خلعه واعلمته ان جوبين
ان سبقه الى المداين احتوى على الملك ولم تلبث العظماء بذلك ان
وثبت على هرمز وفيهم بندويه وبسطام خالا ابرويز فخلعوه وسملوا
عينيه وتركوه تحرجا من قتله فلما بلغ ذلك ابرويز بادر بمن معه
الى المداين وسبق اليها بهرام شوبين فتتوج وجمع اليه الوجوه
والاشراف وجلس لهم على سريره ومناهم ووعدهم وقال ان ابانا
هرمز كان لهم قاضيا عادلا ومن سنتنا البر والاحسان فعليكم
بالسمع والطاعة فاستبشر له الناس ودعوا له فلما كان اليوم

الثاني أتى اباه فسجد له وقال عمرك الله ايها الملك انك تعلم اني بري
مما اتاه اليك المنافقون وانما هربت خوفا منك فصدقه هرمز وقال
له يا بني لي اليك حاجتان فاسعفني بهما احداهما ان تنتقم لي ممن عاون
على خلعي والسمل لعيني ولا تاخذك بهم رافة ∴ والاخرى ان تونسني
كل يوم بثلثة نفر لهم اصالة راي وتاذن لهم في الدخول الي فتواضع
له ابرويز وقال عمرك الله ايها الملك ان المارق بهرام قد اظلنا معه
الشجاعة النجدة ولسنا نقدر ان نمد يدا الى من اتى اليك ما اتى فانهم وجوه
اصحابك ولكن ان اداني الله من المنافق عاما خليفتك في طوع
الترك ∴

ذكر الحيلة التي تمت لابرويز حتى افلت من بهرام بعد ظفره به ورجوعه بعد ذلك وقتله اياه ببلاد الترك واستيلائه على الملك

ان ابرويز خرج الى النهروان لما وردها بهرام مع اثقفه وجعل النهر بينه وبينه
ودار بينهما كلام كثير كل ذلك يدور على استصلاح بهرام فلا يزداد

عليه بهرام الا ما يسوءه حتى يئس منه واجمع على حربه ولهما اخبار
كثيرة واحاديث طويلة آخرها ان ابرويز ضعف عنه بعد ان قتل بيده
ثلثة نفر من الاتراك كانوا تقووا بهرام من ابرويز وضمن لهم عليه مالا
عظيما وكان هؤلاء الثلثة من اشد الاتراك واعظمهم اجساما وشجاعة
ثم راى ابرويز من اصحابه فتورا وحرض اصحابه فتيين منهم فقتلا
فصار الى ابيه وشاوره فراى له المصير الى ملك الروم فاحرز نساه
وشخص في عدة يسيرة فيهم بندويه وبسطام وكردي اخو بهرام لان كردي
هذا كان موافقا لاخيه معاندا له شديد الطاعة والنصيحة لابرويز
فلما خرجوا من المداين خاف القوم من بهرام واشفقوا ان يرد هرمز
الى الملك ويكاتب ملك الروم عن هرمز في ردهم فيتلفوا فاعلموا
ابرويز ذلك واستاذنوه في اتلاف هرمز فلم يحر جوابا ∴ فانصرف
بندويه وبسطام وطايفة معهما الى هرمز حتى اتلفوه خنقا ثم رجعوا

الى كسرى فقالوا اسرع على جنطا بن فحشوا دوابهم وصاروا الى الفرات
فقطعوه واخذوا طريق المفازة بدلاله رجل يقال له خرشبذان
وصاروا الى بعض الديارات التي في اطراف العمارة فلما اوطنوا الراحة
لحقتهم خيل بهرام فلما انذروا بهم لبسه بندويه ابرويز من نومه وقال
له احتل لنفسك فان القوم قد اظلوك فقال كسرى ما عندي
حيلة فقال بندويه فاني ساحتال لك بان ابذل نفسي دونك قال وكيف
ذلك قال تدفع الى بزتك وزينتك لاعلو الدير وتنجو انت ومن
معك من وراء الدير فان القوم اذا وصلوا الي وراوا هيئتك
علي اشتغلوا عن غيري وطاولتهم حتى تفوتهم ففعلوا ذلك
وبادروهم حتى توارو بالجبل ووافاهم خيل بهرام وعليهم قائد له
يقال له بهرام بن سياوش فاطلع عليهم بندويه من فوق الدير عليه
بزة ابرويز واوهمه انه هو وساله ان ينظره الى الغد ليصير في

يده سلما ويصير به الى بهرام شوبين فامسك عنه وحفظ الدير
بالحرس ليلته فلما اصبح اطلع عليه في بزته وحليته وقال ان علي
وعلى اصحابي بقية شغل من استعداد لصلوات وعبادات فامهلنا
ولم يزل يدافع حتى مضى عامة النهار وامعن ابرويز وعلم انه قد
فاتهم ففتح الباب حينئذ واعلم بهرام بامره فانصرف به الى جوبين
فحبسه في يد بهرام بن سياوش   فاما بهرام شوبين فانه دخل
المداين وجلس على سرير الملك وجمع العظماء فخطبهم وذم
ابرويز ودار بينهم كلام فكان كلهم منصرفا عنه الا ان بهرام
تتوج وانقاد له الناس خوفا   ثم ان بهرام بن سياوش واطأ
بندويه على الفتك بجوبين وظهر جوبين على ذلك فقتله وافلت بندويه
ولحق باذربيجان وسار ابرويز حتى اتى انطاكية وكاتب ملك الروم
عنها وراسله بجماعة ممن كان معه وساله نصرته فاجابه الى ذلك

وانساقت الامور بالمقادير الى ان زوجه ابنته مريم وحملها اليه وبعث
اليه بياذوس اخيه ومعه ستون الف مقاتل عليهم رجل يقال له سرجس
يتولى تدبير امرهم ورجل آخر يقال له الكمي كان يعدل بالف رجل
معظم في الروم وساله ترك الاتاوة التي كان آباؤه يسالونها ملوك
الروم اذا هو ملك فاغتبط بهم ابرويز واراحهم خمسة ايام ثم عرضهم
وعرف عليهم العرفاء وفي القوم بياذوس وسرجس والكمي الذي وصفناه
وسار بهم حتى نزل من اذربيجان في صحراء تدعى الدنق فوافاه هناك بندويه
ورجل من اصبهبذي الناحية يقال له موسيل في اربعين الف مقاتل وانقض
اليه الناس بالخيل من اصبهان وخراسان وفارس وانتهى الى بهرام مكانه
بصحراء الدنق فشخص نحوه من المداين فجرت بينهما حرب شديدة قتل
فيها الكمي الرومي بضربة ضربه بها بعض الفرس على راسه فقدّ راسه
وبدنه وعاد فرسه بنصف بدنه الباقي الى معركة ابرويز ومعسكره

فاستضحك ابرويز وعظم ذلك على الروم حتى كثر اللغط فيه وعوتب
ابرويز وقيل له هذا اخ لنا وابن ملك يقتل كميا واحدا عمره في طاعتك
وبين يديك فتضحك فاعتذر بان قال اني والله ما ضحكت لما تكرهون
ولقد شق علي ان فقدت مثله اكثر مما شق عليكم ولكني رايتكم
تستصغرون شان بهرام جوبين وتنكرون تهربي منه فذكرت
ذلك من قولكم الآن وعلمت انكم برويتكم هذه الضربة واثرها
على هذا الكمي تعذروني وتعلمون يقينا ان تهربي انما كان من
امثال هؤلاء القوم الذين هذا مبلغ نكايتهم في الابطال ⁘ ويقال
ان ابرويز حارب بهرام منفردا عن العسكر باربعة عشر رجلا منهم كردي
اخو بهرام وبندويه وبسطام حربا شديدة وصل فيها بعضهم الى بعض
والمجوس تحكي حكايات عظيمة لا فائدة في ذكرها مع امتناعها
وجملتها ان ابرويز استظهر استظهارا ابيس معه بهرام جوبين

وعلم انه لا حيلة له فيه فانحاز عنه نحو خراسان ثم صار الى الترك
وصار ابرويز الى المداين بعد ان كان فرق في الجنود من الروم اموالا
عظيمة وصرفهم الى ملك الروم ولبث بهرام في الترك
مكرما عند الملك حتى احتال عليه ابرويز بتوجيه رجل يقال له
هرمز الى الترك نحو لهم بنفيس وغيره حتى احتال الخاتون امراة
الملك ولاطفها بذلك الجوهر وغيره من الهدايا حتى دست لبهرام
من قتله فاغتم خاقان لموته وارسل الى اخته كردية وامراته يعلمها
بلوغ الحادث ببهرام منه وسال ان يتزوجها وطلق امراته خاتون
بهذا السبب فاجابته كردية جوابا لينا وضمت من كان مع اخيها
من المقاتلة اليها وخرجت بهم من بلاد الترك الى حدود مملكة
فارس فاتبعها ملك الترك اخاه بطرا في اثني عشر الف فارس
فقاتلته كردية فقتلت بطرا بيدها ومضت لوجهها

حتى لقيتها خيول الفرس من الحدود وكتبت الى اخيها كردي فاخذ لها
امانا من ابرويز فلما قدمت عليه اغتبط بها وتزوج بها ابرويز

ذكر سوء سياسة اتفق على ابرويز في جنده حتى ظهر الروم عليه

لم يزل ابرويز يلاطف ملك الروم الذي كان نصره ويهاديه الى ان وثبت الروم
عليه في شيء انكروه منه فقتلوه وملكوا غيره فبلغ ذلك ابرويز فاستعظم
واغتاظ لحفيظة فاوى لابن الملك المقتول اللاجي اليه وتوجه وملكه
على الروم ووجه معه جنودا كثيفة مع شهربراز فدوخ بهم
البلاد وملك صاحب كسرى بيت المقدس واخذ خشبة الصليب وبعث
بها الى كسرى في اربع وعشرين سنة من ملكه ثم احتوى على مصر
والاسكندرية وبلاد نوبة وبعث مفاتيح مدينة الاسكندرية الى كسرى
في سنة ثمان وعشرين من ملكه وقصد قسطنطينية فاناخ على ضفة
الخليج القريب منها وخيم هنالك فامر كسرى بخراب بلاد الروم
غضبا مما انتكروا من ملكهم وانتقاما له ولم تخضع لابن ملكهم

المقتول الجد ولا منحوا الطاعة غير انهم قتلوا الملك الذي ملكوه
بعد ابيه المسمى فوقا لما ظهر من جوره وسوء تدبيره وملكوا عليهم
عليهم رجلا يقال له هرقل فلما راى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم
من تخريب جنود فارس اياها وقتلهم مقاتلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحتهم
اموالهم تضرع الى الله واكثر الدعا والابتهال فيقال انه رأى في
منامه رجلا ضخم الجثة رفيع المجلس عليه قد دخل عليهما داخل
فالقى ذلك الرجل عن مجلسه وقال لهرقل اني قد سلمته في يدك
فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على احد حتى توالت عليه امثالها
فرأى في بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما وبيده سلسلة طويلة
فالقاها في عنق صاحبه اعني صاحب المجلس الرفيع عليه ثم دفعه
اليه وقال له ها قد دفعت اليك كسرى برمته فلما تتابعت
هذه الاحلام قصها على عظماء الروم وذوي العلم منهم فاشاروا

عليه ان يغزوه فاستعد هرقل واستخلف ابنه على مدينة
قسطنطينية واخذ غير الطريق الذي فيه شهربراز صاحب كسرى
وسار حتى توغل في بلاد ارمينية ونزل نصيبين بعد سنة وقد كان صاحب
ذلك الثغر من قبل كسرى قد استدعى لموجدة كانت من كسرى عليه
واما شهربراز فقد كانت كتب كسرى ترد عليه في الجثوم على الموضع
الذي هو به وترك البراح ثم بلغ كسرى تساقط هرقل في جنوده
الى نصيبين فوجه لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له راهزاذ
في اثني عشر الف رجل من الانجاد وامره ان يقيم بنينوى وهي التي تدعى
الآن الموصل على شاطئ دجلة ويمنع الروم ان يجوزوها وكان كسرى
بلغه خبر هرقل وانه مغذ وهو يومئذ مقيم بدسكرة الملك فنفذ
راهزاذ لامر كسرى وعسكر حيث امره فقطع هرقل دجلة في
موضع آخر الى الناحية التي كان فيها جند فارس فاذكى راهزاذ

العيون عليه فانصرفوا اليه فاخبروه انه في سبعين الف
مقاتل فابقى اهزاذ ومن معه من الجند انهم عاجزون عن مناهضته
فكتب الى كسرى غير مرة يذكر هرقل اتاه بمن لا طاقة له ولمن معه
بهم لكثرتهم وحسن عدتهم كل ذلك يجيبه كسرى بانه ان عجز عن
الروم فلن يعجز عن استقتالهم وبذل دمائهم في طاعته فلما تتابعت على
راهزاذ جوابات كسرى بذلك عبى جنده وناهض الروم بهم فقتلت
الروم راهزاذ وستة الف رجل وانهزمت بقيتهم وهربوا على
وجوههم وبلغ كسرى قتل الروم راهزاذ وما نال هرقل من الظفر
فهده ذلك والحاز من دسكرة الملك الى المداين وتحصن بها لعجزه
كان عن محاربة هرقل وسار هرقل حتى كان قريبا من المداين
فلما تساقط الى كسرى خبره واستعد لقتاله انصرف الى ارض
الروم وكتب كسرى الى قواد الجند الذين انهزموا يامرهم ان يدلوه

على كل رجل منهم ومن اصحابه ممن فشل في تلك الحرب ولم يرابط
مركزه فيها فامر بان يعاقب بحسب ما استوجب فاحوجهم
بهذا الكتاب الى الخلاف عليه وطلب الحيل لنجاة انفسهم منه
وكتب الى شهربراز يامره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك ويصف
له ما نال هرقل منه ومن بلاده ه وقد حكي ان كسرى
عرف امراة في فارس لا تلد الا الملوك الابطال فدعاها وقال اني
اريد ان ابعث الى الروم جيشا واستعمل عليهم رجلا من بنيك فاشيري
علي ايهم استعمل فوصفت اولادها فقالت هذا فرخان انفذ
من سنان وهذا شهربراز احلم من كذا وهذا فلان اروغ
من كذا فاستعمل شهربراز فسار الى الروم فظهر عليهم
وهزمهم وخرب مدائنهم فلما ظهرت فارس على الروم جلس
فرخان يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على سرير كسرى

فلعنت كسرى وكتب الى شهربراز اذا اتاك كتابي هذا فابعث
الي براس فرخان فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان
فان له نكاية في العدو وصوتا فلا تفعل فكتب اليه ان في رجال
فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه
وبعث بريدا الى اهل فارس اني قد نزعت عنكم شهربراز واستعملت
عليكم فرخان ثم دفع الى البريد صحيفة صغيرة وقال اذا ولي
الفرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه فلما قرا شهربراز الكتاب
قال سمعا وطاعة ونزل عن سريره وجلس فرخان ودفع الصحيفة
اليه فقال ايتوني بشهربراز فقدمه ليضرب عنقه فقال لا تعجل
حتى اكتب وصيتي قال افعل فدعا بسفط واعطاه ثلث صحائف
وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت اردت ان تقتلني
بكتاب واحد فرد الملك على اخيه وكتب شهربراز الى قيصر

ملك الروم ان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف
فالقني ولا تلقني الا في خمسين روميا فاني القاك في
خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع العيون
بين يديه في الطريق وخاف ان يكون قد مكر به حتى اتاه عيونه
انه ليس معه الا خمسون رجلا ثم بسط لهما والتقيا في قبة ديباج
ضربت لهما واجتمعا ومع كل واحد منهما سكين ودعوا ترجمانا بينهما
فقال شهربراز ان الذين خربوا مدينتك وبلغوا منك ومن
جندك ما بلغوا انا واخي بشجاعتنا وكيدنا وان كسرى حسدنا فاراد
ان اقتل اخي فابيت ثم امر اخي ان يقتلني فقد خلعناه جميعا فنحن
نقاتله معك قال قد اصبتما ووفقتما ثم اشار احدهما الى صاحبه
ان السر انما يكون بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا قال صاحبه
اجل فقاما جميعا الى الترجمان بسكينيهما فقتلاه واتفقا على قتال كسرى

فمما اتفق في ايام كسرى من الحوادث التي تستفاد
منها تجربة ما كان من يوم ذي قار وحرب العرب الفرس

وكان سبب ذلك قتل النعمن بن المنذر اللخمي قتله كسرى لاسباب نذكر
جملها ان شاء الله   كان عدي بن زيد العبادي وابنه زيد بن عدي
سبب ولاية النعمن وسبب هلاكه جميعا وذلك ان عديا واخويه
وهما عمار وعمرو ويعرف عمار بابي وعمرو بسمي كانوا في خدمة
الاكاسرة ولهم من جهتهم قطايع وكان قابوس الاكبر عم النعمن
واخوته بعث الى كسرى ابرويز بعدي بن زيد واخوته ليكونوا في كتابه
يترجمون له فلما مات المنذر بن المنذر ترك من الاولاد اثنى عشر رجلا
وهم الاشاهب سموا بذلك لجمالهم وفيهم يقول الاعشى
وبنو المنذر الاشاهب بالحيرة يمشون غدوة كالسيوف
فجعل المنذر ابنه النعمن في حجر عدي وجعل ابنه الاسود في حجر رجل

يقال له عدي بن اوس بن مرينا وبنو مرينا قوم لهم شرف وهم من لخم
وبنو المنذر الباقون وهم عشرة مستقلون بانفسهم وكان المنذر جعل
على امره كله اياس بن قبيصة الطائي فكان في مكانه اشهرا يدبر امر
العرب كله وطلب كسرى من يملكه على العرب فدعا عدي بن زيد
فقال له من بقي من بني المنذر وما هم وهل فيهم خير فقال بقيتهم
في ولد هذا الميت يعني المنذر بن المنذر وهم رجال نجبا فكتب اليهم
فقدموا عليه فانزلهم على عدي بن زيد فكان عدي يفضل اخوة
النعمن عليه في النزل ويريهم انه لا يرجوه ويخلوا بهم رجلا رجلا
ويقول لهم ان سالكم الملك اتكفونني العرب فقولوا نكفيكهم
الا النعمن وقال للنعمن ان سالك الملك عن اخوتك فقل له ان عجزت
عنهم فاني عن غيرهم اعجز   وكان عدي بن اوس بن مرينا
داهية اريبا فكان يوصي الاسود بن المنذر ويقول له قد عرفت

أني لك راجٍ وأن طلبتي ورغبتي اليك ان تخالف عدي بن زيد فيما يشير به
عليك فانه والله لا ينصح لك ابدا فلم يلتفت الاسود الى قوله فلما امر
كسرى عدي بن زيد ان يدخلهم عليه جعل يدخلهم رجلا رجلا فيكلمه
وكان الملك كسرى يرى رجالا قل ما رأى مثلهم فاذا سألهم هل تكفونني
ما كنتم تلون قالوا نكفيك العرب الا النعمن فلما دخل النعمن عليه رأى
رجلا دميما قصيرا احمر فكلمه وقال أتستطيع ان تكفيني العرب
قال نعم قال فكيف تصنع باخوتك قال ايها الملك ان عجزت عنهم
فانا عن غيرهم اعجز فملكه وكساه والبسه تاجا قيمته ستون الف درهم
فيه اللؤلؤ والذهب فلما خرج وقد ملك على العرب قال عدي بن اوس
بن مرينا للاسود دونك فانك خالفت الرأي ثم ان عدي بن زيد
صنع طعاما في بيعة وارسل الى ابن مرينا ان ائتني بمن احببت فان
لي حاجة فاتاه في ناس فتغدوا في البيعة غداءهم المعد وشربوا

فقال عدي بن زيد لعدي بن اوس يا عدي ان احق من عرف الحق ثم لم يلم عليه
من كان مثلك اني عرفت ان صاحبك الاسود بن المنذر كان احب اليك
ان يملك من صاحبي النعمن فلا تلمني على شيء كنت على مثله وانا احب الا
تحقد علي شيئا لو قدرت عليه ركبته واحب ان تعطيني من نفسك
ما اعطيك من نفسي فان نصيبي من هذا الامر ليس باوفر من نصيبك
فقام عدي بن زيد الى البيعة فحلف الا يهجوه ولا يبغيه غائلة ابدا
ولا يزوي عنه خيرا فلما فرغ عدي بن زيد قام ابن مرينا فحلف على مثل
يمينه الا يزال يهجوه ابدا ويبغيه الغوائل ما بقي وخرج النعمن
حتى نزل منزله بالحيرة ولعبري العربان على وحشه كما ذكرت
فقال عدي بن مرينا للاسود اذ لم تظفر فلا تعجز ان تطلب بثارك من
هذا المعدي الذي عمل بك ما عمل فقد كنت اخبرتك ان معدا الا
ينام مكرها ولعلك ان تخالفه فعصيتني قال فما تريد قال اريد الا

تأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عوضتها عليك فتفعل وكان ابن
مرينا كثير المال واسع الضيعة فلم يمر به يوم إلا بعث فيه إلى النعمن
هدية أو تحفة فلما توالى ذلك وكثر عند النعمن هذا بابن مرينا
صار من أكرم الناس عليه وكان لا يقضي في ملكه شيئا إلا بأمر ابن مرينا
وكان إذا ذكر عدي بن زيد عنده أحسن ابن مرينا الثناء عليه وذكر
فضله وقال إنه لا يصلح الملك إلا أن يكون فيه مكر وخديعة
فلما رأى من يطيف بالنعمن منزلة ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه فجعل
يقول لمن يثق به من أصحابه إذا رأيتموني أذكر عديا بخير عند الملك
فقولوا إنه لكما تقول ولكنه لا يسلم عليه أحد وإنه يقول إن الملك يعني
النعمن إنما هو عامله وإنه هو الذي ولاه ما ولاه فلم يزالوا بهذا وأشباهه
حتى أضغنوه عليه ثم إنهم كتبوا كتابا عن عدي إلى قهرمان كان
له ودسوا له حتى أخذ الكتاب وأتى به النعمن فقرأه وأغضبه فأرسل

فأرسل إلى عدي بن زيد عزمت عليك إلا زرتني فإني قد اشتقت إليك
وهو عند كسرى فاستأذن كسرى فأذن له فلما أتاه لم ينظر إليه
حتى حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد فجعل عدي بن زيد يقول الشعر
ويبلغه النعمن وكان أول ما قاله في السجن

ليت شعري عن الهمام ويأتيك بخبر الأنباء عطف السؤال

وقال أشعارا كثيرة وكان كلما قال عدي من الشعر شيئا بلغ النعمن وسمعه
فندم على حبسه إياه وعلم أنه كيد فيه فكان يرسل إليه ويعده ويمنيه
ويفرق أن يرسله فيبغيه الغوائل فلما طال سجن عدي وأعياه
التضرع إلى النعمن بالأشعار التي يستعطفه فيها مرة ويخبره
فيها بما كيد به مرة ويعظه مرة بذكره الموت ويخبره بهلاك من هلك قبله
كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى

أبلغ أبيا على نأيه فهل ينفع المرء ما قد علم

بأنّ أخاك شقيق الفؤاد كنت به والهًا ما سلم
لدى ملكٍ موثقٌ في الحديد إمّا بحقٍّ وإمّا ظُلمْ
فلا أعرفنّك كدأب الغلام إذا لم يجد عارمًا يعترم
فأرضك أرضك إن تأتنا تنم نومةً ليس فيها حُلُم

فكتب اليه اخوه

ان يكن خانك الزمان فلا عاجز قوم ولا الفٌّ ضعيفُ
ويمين الاله لو انّ جأواء طحونًا تضيء فيها السيوفُ
ذات رزٍّ مجتابةً غمرة الموت صحيحٌ سربالها مكفوفُ
كنت في حميها لجئتك اسعى فاعلمن لو سمعت اذ تستضيفُ
ان تفتني والله الفٌ جزوعًا لا يعقبك ما يصوب الخريفُ
فلعمري لئن جزعت عليه لجزوعٌ على الصديق اسوفُ
ولعمري لئن ملكت عزائي لقليلٌ شرواك فيما اطوفُ

ويقال ان عديا لما كان ابيًا قام ابيّ فدخل على كسرى فكلمه فكتب له وبعث معه رجلًا واذن له في المسير لاستنقاذ اخيه فكتب خليفة النعمن المقيم بباب الملك اليه انه قد كتب اليك في امر عدي فاتاه اعدا

عديّ من غسان فاشاروا على النعمن بقتل عدي وقالوا افرغ منه الساعة فابى عليهم وجاء الرجل وكان تقدم اخو عدي اليه ورشاه وامره ان يبدأ بعدي فدخل عليه وهو محبوس وكان قال له ابدأ بالدخول اليه في الحبس فانظر ما يامرك به فلما دخل الرسول على عدي قال له اني قد جئتك بارسالك فما عندك قال عندي الذي تحب ووعده وقال له لا تخرج من عنده وقال اعطني الكتاب حتى ارسل به انا فانك ان خرجت من عندي قتلت فقال الرسول لا استطيع الا ان آتي النعمن بالكتاب فاوصله بنفسي اليه فانطلق مخبر فاتى النعمن فقال ان رسول كسرى قد دخل على عدي وهو ذاهب به وان فعل لم يستبق منا احدا ولم تنج انت ولا غيرك فبعث اليه النعمن بعدابه فغمّوه حتى مات ثم دفنوه ودخل الرسول على النعمن بالكتاب فقال نعم وكرامة وسمعا وطاعة وبعث الى الرسول باربعة آلاف مثقال

دهبا وجارية وقال له اذا اصبحت فادخل عليه واخرجه انت بنفسك
فلما اصبح ركب فدخل السجن فقال له الحرس انه قد مات منذ ايام فلم نجترئ
على ان نخبر الملك النعمن فرقا منه لعلمنا بكراهيته لذلك فرجع
الرسول الى النعمن فقال انى كنت بدات به فدخلت اليه وهو حىّ
فقال النعمن يبعثك الملك الىّ فتدخل اليه قبلى كذبت ولكنك اردت
الرشوة والخبث وتهدده ثم انه استدعاه بعد ذلك وزاده جائزة
وكسوة واكرمه واستوثق منه الا يخبر الملك الا انه قد مات قبل
ان تقدم عليه فرجع الرسول الى كسرى فقال انه مات قبل
ان ادخل عليه وندم النعمن على قتل عدى ندامة شديدة واجترا
اعداء عدى على النعمن وهابهم النعمن هيبة شديدة فخرج النعمن
في بعض صيده ذات يوم فلقي ابنا لعدى يقال له زيد فلما راه
عرف شبهه فقال من انت فقال انا زيد بن عدى بن زيد فكلمه فاذا

غلام ظريف ففرح به فرحا شديدا وقربه واعطاه واعتذر
اليه من امر ابيه ثم جهزه وكتب الى كسرى ان عديا كان من اعوان الملك
في نصحه ولبه فاصابه ما لابد منه وانقضت مدته وانقطع اجله ولم يصب
به احد اشد من مصيبتي واما الملك فلم يكن ليفقد رجلا من عبيده الا
جعل الله له منه خلفا لما عظم الله من ملكه وشانه وقد ادرك له ابن ليس
دونه وقد سرحته الى الملك فان راى ان يجعله مكان ابيه ويصرف
عمه الى عمل اخر فعل فكان هو الذى يلي ما يكتب به الى ارض العرب
وخاصة الملك وكانت له من العرب وظيفة في كل سنة من الافراس
المهارة ومن الكماة الرطبة واليابسة والاقط والادم وسائر تجارات
العرب وكذلك كان عدى بن زيد له هذه الرسوم فلما وقع عند الملك
بهذا الموقع سال كسرى عن النعمن فاحسن الثناء عليه ثم لبث سنوات
بمنزلة ابيه واعجب به كسرى وكان يكثر الدخول اليه فلما كان في بعض

دخل انه على كسرى جرى حديث النسا وطلب الملك امراه لها
صفات ونعوت مكتوبة عند الملوك وكان من رسم الملوك
ان يطلب لهم جاريه تجمع تلك النعوت في ممالكهم وكنت تلك الصفه
فدخل زيد على كسرى وكلمه فيما دخل فيه ثم قال اني رايت الملك كتب
في نسوه يطلبن له فقرات الصفه وانا خبير بال المنذر وعند عبدك
النعمن من بناته وبنات عمه واهله اكثر من عشرين امراة على هذه الصفه
قال فتكتب فيهن فقال ايها الملك ان شر شي في العرب وفي النعمن
انهم يتكرمون زعموا في انفسهم عن العجم فانا اكره ان تغيبهن
وان قدمت انا عليه على معرفتي لم يقدر على تغييبهن فابعثني وابعث
معي رجلا يفقه العربيه فبعث معه رجلا جلدا فخرج به زيد
فجعل يكرم ذلك الرجل ويلاطفه حتى بلغ الحيرة فلما دخل عليه
اعظم الملك وقال انه قد احتاج الى نسا لاهله وولده واراد كرامتك

وبعث اليك فقال وما هولا النسوه فقال هذه صفتهن قد جينا بها
وكانت الصفه ان المنذر الاكبر اهدى الى انوشروان جاريه كان اصابها لما
اغار على الحرث الاكبر الغساني بن ابي شمر وكتب الى انوشروان يصفها له
هي معتدله الخلق نقيه اللون والثغر بيضا قمرا وطفا دعجا حورا عينا
قنوا شما زجا برجا اسيله الخد جثله الشعر عظيمه الهامه بعيده مهوى
القرط عيطا عريضه الصدر كاعب الثدي ضخمه مشاشه المنكب والعضد
حسنه المعصم لطيفه الكف سبطه البنان لطيفه طي البطن خميصه
الخصر غرثى الوشاح رداح القبل رابيه الكفل مفعمه الساق لفا الفخذين
ريا الروادف ضخمه الماكمتين عظيمه الركبه مشبعه الخلخال لطيفه الكعب
والقدم قطوف المشي مكسال الضحى بضه المتجرد سموع للسيد ليست بخنسا
ولا سفعا ذليله الانف عزيزه النفس لم تغذ في بوس حييه رزينه حليمه
ركينه كريمه الخال تقتصر بنسب ابيها دون فصيلتها وبفصيلتها دون

جماع قبيلتها قد احكمتها التجارب في الادب فرايتها الى اهل الشرف
وعملها عمل اهل الحاجة صناع الكفين قطيعة اللسان رهوة الصوت
تزين البيت وتشبم العدو ان اردتها اشتهت وان تركتها انتهت تحملق
عيناها وتحمر وجنتاها وتذبذب شفتاها وتبادر الوثبة ○ فقبلها
انوشروان وامر باثبات هذه الصفة في دواوينه فلم يزالوا يتوارثونها
حتى افضى ذلك الى كسرى بن هرمز فقرا عليه زيد هذه الصفة فشق عليه
فقال لزيد والرسول لما في عين السواد وفارس ما تبلغون به حاجتكم
فقال الرسول لزيد ما العين فقال البقر فقال زيد للنعمن انما اراد كرامتك
ولو علم انه يشق عليك لم يكتب به اليك فانزلهما يومين ثم كتب الى
كسرى ان الذي طلب الملك ليس عندي وقال لزيد اعذرني عنده
فلما رجعا الى كسرى قال زيد للرسول الذي جاء معه اصدق الملك الذي
سمعته منه فاني ساحدث بحديثك ولا اخالفك فيه فلما دخلا

على كسرى قال زيد هذا كتابه فقراه عليه فقال كسرى فاين ما كنت
خبرتني به فقال قد كنت اخبرتك بضنتهم بنسائهم على غيرهم وان ذلك من
شقائهم اختيارهم الجوع والعري على الشبع والرياش واختيارهم السموم
والرياح على طيب ارضك هذه حتى انهم ليسمونها السجن فسل هذا
الرسول معي عن الذي قال فاني اكره ان احكي للملك قوله او ارد عليه
الفاظه فقال للرسول وما قال قال انه قال ايها الملك اما في
بقر السواد ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا فعرف الغضب في وجهه
ووقع في قلبه منه ما وقع ولكنه قال رب عبد قد قال هذا
فصار امره الى التباب وشاع هذا الكلام فبلغ النعمن وسكت كسرى
على ذلك اشهرا وجعل النعمن يستعد ويتوقع حتى اتاه كتابه ان اقبل
فان للملك اليك حاجة فانطلق حين اتاه كتابه فحمل سلاحه وما قوي
عليه ثم لحق بجبلي طي وكانت عنده فرعة بنت سعد بن حارثة بن لام

وقد ولدن له رجالا وكانت عنده ايضا زينب بنت اوس بن حارثة فاراد
النعمن طيا على ان يجاروه ويمنعوه فابوا ذلك عليه وقالوا لولا
صهرك ما ملناك فانه لا حاجة لنا في معاداة كسرى فاقبل ليس احد
من الناس يقبله حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرا فلقي هاني بن قبيصة
هاني بن مسعود وكان سيدا منيعا وكان كسرى قد اطعم قيس بن
مسعود الابلة فكره النعمن لذلك ان يدفع اليه اهله وعلم ان هانيا
مانعه مما يمنع منه نفسه فاودعه سلاحه وتوجه بنفسه الى كسرى
فلقي زيد بن عدي على قنطرة ساباط فقال انج نعيم فقال انت يا زيد
فعلت هذا اما والله لئن انفلت لافعلن بك ولاصنعن فقال له زيد
امض نعيم فقد والله وضعت لك عنده آخية لا يقلعها المهر
الارن فلما بلغ كسرى انه بالباب بعث اليه فقيده وانفذه الى خانقين
فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه والناس يظنون انه

مات بساباط لبيت قاله الاعشى والصحيح ما قلناه . وولى كسرى
اياس بن قبيصة الطائي ان يضم ما كان للنعمن وينظر فيه وجمع ماله وبعث
به اليه . فبعث اياس الى هانئ ان ارسل الي ما استودعك النعمن
من السلاح وغيره وكان ثمانمائة درع فابى هانئ ان يسلم خفارته فلما
منعها هانئ غضب كسرى واظهر انه يستاصل بكر بن وائل وعنده يومئذ
النعمن بن زرعة التغلبي وهو يحب هلاك بكر بن وائل فقال لكسرى يا خير
الملوك ادلك على عورة بكر بن وائل قال نعم قال امهلها حتى تقيظ
فانهم يجتمعون الى ماء لهم يقال له ذو قار فيتساقطون عليه تساقط
الفراش في النار فتاخذهم كيف شئت وانا اكفيكهم فرجع له فاقرهم
حتى اذا قاظوا جاءت بكر بن وائل فنزلت حنو ذي قار وهو على ليلة من ذي قار
فارسل اليهم كسرى النعمن بن زرعة ان اختاروا واحدة من ثلث خصال
فنزل النعمن على هانئ وقال انا رسول الملك اليكم اخيركم في ثلث

خصال إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم الملك فيكم بما شاء وإما أن تدعوا

الديار وإما أن تأذنوا بالحرب فتوامروا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة

بن سيار العجلي وكانوا يتيمنون به فقال لهم لا أرى إلا القتال لأنكم

إن أعطيتم بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم وإن هربتم قتلكم العطش

وتلقاكم تميم فتهلككم فآذنوا الملك بحرب فبعث الملك كسرى

إلى إياس وإلى الهامرز التستري وكان مسلحة بالقطقطانة وإلى جلابزين

وكان مسلحة ببارق وكتب إلى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجدين

وكان كسرى استعمله على طف سفوان أن يوافوا إياسا فإذا اجتمعوا

فإياس على الناس وجاءت الفرس ومعها الجنود والفيول عليها

الأساورة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام

اليوم انتصفت العرب من العجم فحفظ ذلك اليوم فإذا هو يوم الوقعة

رأي حيدر راه قيس بن مسعود الهانئ

فلما دنت جيوش الفرس ممن معهم انسل قيس بن مسعود ليلا فأتى هانئا

فقال أعط قومك سلاح النعمان فيقووا فإن هلكوا كان تبعا لنفوسهم وكنت

قد أخذت بالحزم وإن ظفروا ردت عليك ففعل وقسم الدروع والسلاح

في ذوي القوى والجلد من قومه فلما دنا الجمع من بكر بن وائل قال لهم هانئ

يا معشر بكر إنه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب فاركبوا

الفلاة فتسارع الناس إلى ذلك فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال إنما أردت

نجاتنا فلم تزد على أن ألقيتنا في الهلكة فرد الناس وقطع وضن

الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءها إن هربوا فسمي مقطع

الوضن فضرب حنظلة على نفسه قبة ببطحاء ذي قار وآلى لا يفر

حتى تفر القبة فمضى من مضى من الناس ورجع أكثرهم واستقوا ماء

لنصف شهر فأتتهم العجم فقاتلتهم بالحنو فجزعت العجم من العطش ولم

تقم لمحاربتهم فهربت إلى الجبابات فتبعتهم بكر وعجل وأبلت بكر

فقدست عجل وابلت يومئذ بلاء حسنا واضطمت عليهم جنود العجم
فقال الناس هلكت عجل ثم حملت بكر فوجدت عجلا ثابتة تقاتل وامراة منهم

تقول   ان يظفروا يحوزوا فينا الغرل   ايها فدا لكم بني عجل

وتقول ايضا   ان تهزموا نعانق   ونفرش النمارق   او تهزموا

نفارق   فراق غير وامق   فقاتلوهم بالجبابات يوما

فعطش العجم فمالوا الى بطحاء ذي قار فارسلت اياد الى بكر سرا وكانوا مع اياس
عونا على بكر اي الامرين اعجب اليكم ان نطير تحت ليلتنا فنذهب او نقيم
ونفر حين تلاقون قالوا بل تقيمون فاذا التقى القوم انهزمتم بهم فصبحتهم
بكر بن وائل والظعن واقفة تحرض الرجال على القتل فقال يزيد بن حمار
السكوني وكان حليفا لبني شيبان يا بني شيبان اطيعوني واكمنوا لهم كمينا
ففعلوا فكمنوا في مكان من ذي قار يسمى الى اليوم الخب فاجتلدوا على
ميمنة اياس بن قبيصة وفيها الهامرز وعلى ميسرته وفيها الجلابزين

وعلى ميمنة هانئ بن قبيصة رئيس بكر بن يزيد بن مسهر الشيباني وعلى ميسرته
حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي وحنظلة بن الجزي يقول

قد شاع اشياعكم فجدوا   ما علتي وانا شيخ جلد
والقوس فيها وتر عرد   مثل ذراع البكر او اشد

ثم صير الامر بعد هانئ الى حنظلة فمال الى مارية ابنته وهي ام عشرة
نفر فقطع وضينها فوقعت الى الارض وقطع وضن النساء فوقعن الى
الارض ونادت بنت القرين الشيبانية حين وقعت النساء الى الارض

ويها بني شيبان صفا بعد صف   ان تهزموا يصبغوا فينا القلف

فقطع سبع مائة من بني شيبان ايدي اقبيتهم من قبل مناكبهم لتخف
ايديهم بالضرب فجالدوهم ونادى الهامرز لما راى جد القوم وثباتهم
للحرب وصبرهم للموت مرد ومرد فقال برد بن حارثة اليشكري ما يقول
قال يدعو الى البراز ويقول رجل ورجل فقال وابيكم لقد انصف

وبرز له برد فلم يلبث برد ان تمكن من الهامرز فقتله ونادى حنظلة
بن ثعلبة يا قوم لا تقفوا لهم فتستغرقوا فحمل الشباب فحملت ميسرة بكر
وعليها حنظلة على ميمنة الحبش وقد قتل الهامرز رئيسهم قتله برد وحملت
ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الحبش وعليهم الحلابزين
وخرج الكمين من جب ذي قار من ورائهم الحلاس بن يزيد بن حمار فشدوا
على قلب الحبش وفيهم اياس بن قبيصة وولت اياد منهزمة كما وعدتهم
وانهزمت الفرس واتبعوهم يسعون لم ينظروا الى سلب ولا الى شيء
حتى تفارقوا باديهم موضع قريب من ذي قار فوجد ثلثون فارسا من عجل
ومن سائر بكر ستون فارسا وقتلوا الحلابزين قتله حنظلة بن ثعلبة وذلت
الفرس بعد ذلك وذل امرهم

ذكر حيلة لابرويز على ملك الروم

كان لابرويز وجه رجلا من جلة اصحابه في جيش جرار الى بلاد الروم

فنكا فيهم وبلغ منهم وفتح الشامات وبلغ الدرب في اثاريهم فعظم امره
وخافه ابرويز فكاتبه بكتابين يامره في احدهما ان يستخلف على جيشه من يثق
به ويقبل اليه ويامره في الآخر ان يقيم بموضعه فانه لما دبر امره واجال
الراي لم يجد من يسد مسده ولم يامن الخلل ان غاب عن موضعه
وارسل بالكتابين رسولا من ثقاته وقال له اوصل الكتاب الاول
بالامر بالقدوم فان خف لذلك فهو ما اردت وان كره وتثاقل عن
الطاعة فاسكت عليه اياما ثم اعلمه ان الكتاب الثاني ورد عليك
واوصله اليه ليقيم بموضعه فخرج رسول كسرى حتى ورد على صاحب
الجيش ببلاد الشام فاوصل الكتاب اليه فلما قراه قال اما ان يكون
كسرى قد تغير لي وكره موضعي او يكون قد اختلط عقله بصرف
مثلي وانا في نحر العدو فدعا اصحابه واعلمهم الكتاب فانكروه
فلما كان بعد ثلثة ايام اوصل الكتاب الثاني بالمقام واوهمه ان رسولا

وردبه فلما قرأه قال هذا تخليط ولم يقع منه موقعا ودس الى ملك الروم
من ناظره في ايقاع صلح بينهما على ان يخلي الطريق لملك الروم حتى يدخل
بلاد العراق على غرة من كسرى وعلى ان لملك الروم ما تغلب عليه من
دون العراق وللفارسي ما وراء ذلك الى بلاد فارس فاجابه ملك الروم الى ذلك
وتنحى الفارسي عنه في ناحية من الجزيرة واخذ افواه الطرق فلم يعلم كسرى
حتى ورد خبر ملك الروم من ناحية قرقيسيا وكسرى غير معد وجنده متفرقون
في اعماله فوثب من سريره مع قراءته الخبر فقال هذا وقت حيلة لا وقت شدة
وجعل ينكت في الارض مليا ثم دعا برق وكتب فيه كتابا صغير الخط دقيق
الى صاحبه بالجزيرة يقول فيه قد علمت ما كنت امرتك به من مواصلة
صاحب الروم واطماعه في نفسك وتخليه الطريق له حتى اذا توسط
في بلادنا اخذته من امامه واخذته انت ومن ندبناه لذلك من خلفه
فيكون ذلك بواره وقد مر في هذا الوقت ما دبرناه وميعاد ذلك

في الايقاع به يوم كذا ثم دعا راهبا كان في دير بجانب مدينته وقال له
اي جار كنت لك قال افضل جار قال فقد بدت لنا اليك حاجة قال الراهب
الملك اجل من ان يكون له حاجة الى مثلي ولكن عندي بذل نفسي في الذي
يامر به الملك قال كسرى تحمل لي كتابا الى فلان صاحبي قال نعم قال كسرى
فانك ستجتاز باصحابك النصارى فاخفه قال نعم فلما ولى عنه الراهب
قال له كسرى اعلمت ما في الكتاب قال لا قال فلا تحمله حتى تعلم ما فيه
فلما قرأه ادخله في جيبه ثم مضى فلما صار في عسكر الروم ونظر الى الصلبان
والقسيسين وضجيجهم بالتقديس والصلوات احترق قلبه لهم واشفق
مما خاف ان يقع بهم وقال في نفسه انا شر الناس ان حملت بيدي حتف
النصرانية وهلاك هؤلاء الخلق فصاح انا لم احمل لكسرى رسالة ولا معي
كتاب فاخذوه فوجدوا الكتاب معه ن   وقد كان كسرى وجه رسولا
قبل ذلك اختصر الطريق حتى مر بعسكر الروم كانه رسول الى كسرى

كان
من صاحبه الذي طابق ملك الروم ومعه كتاب فيه لئن الملك قد امرني
بمقاربة ملك الروم وان اخدعه واخلي له الطريق فآخذه الملك
من امامه وآخذه انا من خلفه وقد فعلت ذلك فرأى الملك في
اغفالي وقت خروجه اليه فأخذ ملك الروم الرسول وقرأ
الكتاب وقال قد عجبت ان يكون هذا القائد على كسرى ووافاه
ابرويز فيمن امكنه من جنده فوجد ملك الروم قد ولى هاربا فاتبعه
يقتل ويأسر من ادرك وبلغ صاحب كسرى هزيمة الروم فأحب ان
يجلي نفسه ويستر ذنبه لما فاته ما دبر فخرج خلف الروم الهاربين
فلم يسلم منهم الا القليل

ذكر سبب هلاك ابرويز وقتله

كان سبب هلاك ابرويز وقتله تجبره واحتقاره العظما
وعتوه وذلك انه استخف بما لا يستخف به الملك الحازم

وكان قد جمع من المال ما لم يجمعه احد من الملوك وبلغت خيله
قسطنطينية وافريقية وكانت له اثنا عشر الف امرأة وجارية والف
فيل الا فيلا واحدا وخمسون الف دابة ومن الجواهر والآلات والاواني
ما يليق بذلك وامر ان يحصى ما اجتبي من خراج بلاده وسائر ابواب
المال سنة ثماني عشرة من ملكه فرفع اليه ان الذي اجتبي في تلك السنة
من الخراج وسائر الابواب ستمائة الف الف درهم ولم يتحول الى
بيت مال بني بمدينة طيسفون من ضرب فيروز بن يزدجرد وقباذ بن فيروز
لثني عشرة الف بدرة في انواع من الجواهر والكسي وغير ذلك فعتا
واستهان بالناس والاحرار وبلغ من جرأته انه امر رجلا كان على
حرس بابه الخاصة يقال له زاذانفروخ ان يقتل كل مقيد
في سجن من سجونه فاحصوا فبلغوا ستة وثلاثين الفا فلم يقدم زاذانفروخ
على قتلهم ونفذ تقدم بالتوقف عما امر به كسرى واعد عللا له فيما امر

به فيهم وكان هذا احد ما تسبب به كسرى عداوة اهل مملكته
والثاني احتقاره اياهم واستخفافه بعظمائهم والثالث انه
سلط علجا يقال له الفرخان زاد عليهم حتى استخرج بقايا الخراج
بعنف وعذاب وكان ضمن من ذلك ما اعطيا فسلطه على الناس
والرابع اجماعه على قتل القتل الذين انصرفوا اليه من قبل هرقل
فمضى قوم من العظماء الى عقر بابل وفيه شيرى بن ابرويز مع اخوته
بها وقد وكل بهم مؤدبون واساورة يحولون بينهم وبين براح ذلك الموضع
فاقبلوا به ودخلوا مدينة بهرسير ليلا فخلى عمن كان في سجونها واخرج
من كان فيها واجتمع اليه القتل الذين كانوا علموا بامر كسرى بقتلهم
فنادوا قباذ شاهنشاه وصاروا حين اصبحوا الى رحبة كسرى
فهرب الحرس من قصره وبرز كسرى بنفسه الى باغ له قريب
من قصره يدعى باغ الهندوان مارا مرعوبا فاخذ وحبس خارجا

عن دار المملكة في دار رجل يقال له مارسفند الى ان قتل بعد حبس
طويل وعمر اسلافه بينه وبين شيرى بمواطاة العظماء وبعد تقريع
كثير وتوبيخ على ما كان منه في اشياء عددوها عليه فاجاب عن
الكل بجوابات مقنعة صحيحة لم نذكرها لان وجها عما بنينا عليه
غرض هذا الكتاب وكان هلاكه بعد ثمان وثلثين سنة ولمضي
اثنين وثلثين سنة وخمسة اشهر وخمسة عشر يوما من ملكه هاجر النبي
صلى الله عليه من مكة الى المدينة وخلف في بيت المال يومئذ
قبل من الورق اربع مائة الف بدرة سوى الكنوز والذخائر
والجواهر وآلات الملك وفي تلك الكنوز كنز باذاورد وغيره

ثم ملك شيرويه بن ابرويز

ذكر عاقبة شيرويه بن ابرويز

قتل شيرويه اباه وقتل سبعة عشر اخا له ذوي ادب وشجاعة

بمشورته ورايه فابتلى بالاسقام وانتقض عليه بدنه فلم يلتذ
بشيء من لذات الدنيا وجزع بعد قتل اخوته جزعا شديدا وكان يبكي
الى ان رمى بالتاج عن راسه وعاش ما عاش مهموما حزينا مدنفا
وكان الطاعون فشا في ايامه فاهلك اكثر الفرس وكان ملكه

ثم ملك اردشير بن شيرويه

ثمنية اشهر

وكان طفلا قيل انه كان ابن سبع سنين لانه لم يوجد غيره من
اهل بيت المملكة وحضنه رجل يقال له مهاذرجشنس فاحسن سياسة
الملك فبلغ من احكامه ذلك انه لم يحس بحداثة اردشير سوى انه غلط
في امر شهربراز المقيم بثغر الروم:

ذكر غلطه في ذلك واستهانته بامره حتى كان سبب هلاكه

كان شهربراز في جند ضمهم اليه كسرى وكان كسرى وشيرويه لا يزالان
يكتبان اليه في الامر يهمهما ويستشيرانه فلما لم يشاوره عظما

الفرس في تمليك اردشير ولم يكاتبه ايضا مهاذرجشنس فعنت الفرس
وتبغى عليهم وبسط يده وجعله سببا للطمع في الملك واستطال
واحتقر اردشير لحداثة سنه ودعا الناس الى التشاور في الملك
ثم اقبل بجنده وقد عمد مهاذرجشنس فحصن سور مدينة طيسفون
وابوابها وحول اردشير ومن بقي من نسل الملوك ونسائهم وما كان
في بيت مال اردشير من مال وخزائن وكراع الى مدينة طيسفون
فلما ورد شهربراز اناخ الى جانب مدينة طيسفون وحاصر من فيها
ونصب المجانيق عليها فلم يصل اليها فلما راى عجزه عن افتتاحها
اتاها من قبل المكيدة فلم يزل يخدع رجلا يقال له نيوخسرو
ورجلا كان اصبهبذ نيمروز وذكر حتى فتحا له باب المدينة فدخلها
واخذ جماعة من الرؤسا فقتلهم واستصفى اموالهم وقتل اردشير بن
شيرويه وكان ملكه سنة وستة اشهر

ثم ملك شهربراز

ولم يكن من اهل بيت المملكة ودعا نفسه ملكا ولما جلس على سرير
الملك ضرب عليه بطنه وبلغ من شدة ذلك عليه انه لم يقدر على
اتيان الخلا فدعا بالطست فوضع امام ذلك السرير ومد دونه
ما ستره فتبرز في الطست ثم امتعض رجل يقال له بسفروخ واخوين
له من قتل شهربراز اردشير بن شيرويه وغلبته على الملك فتحالفوا
على قتله وكان من السنة اذا ركب الملك ان يقف له حرسه سماطين
عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبايديهم الرماح
فاذا حاذاهم الملك وضع كل رجل منهم ترسه على قربوس سرجه
ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود وان شهربراز ركب بعد ان ملك
بايام فوقف له بسفروخ واخواه قريبا بعضهم من بعض فلما حاذاهم
شهربراز طعنه بسفروخ ثم طعنه اخواه فسقط عن دابته

فشدوا في رجله حبلا وجروه اقبالا وادبارا ساعة ثم ساعدهم
قوم من العظماء وقتلوا عدة معا وتوانوا في القتل باردشير وملكوا
بوران بنت كسرى وكان جميع ما ملك شهربراز اربعين يوما ه

وملكت بوران بنت كسرى ابرويز

فاحسنت السيرة وبسطت العدل وامرت برم القناطر والجسور
واعادة العمارات ووضعت بقايا الخراج وكتبت الى الناس عامة كتابا
تعلمهم ما هي عليه من الاحسان وانها ترجو ان يريهم الله من
الرفاهة والاستقامة بمكانها ومن العدل وحفظ الثغور ما يعلمون
به انه ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بباسهم تستباح العساكر
ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفا النواير ولكن ذلك كله يكون بالله
عز وجل وحسن النية واستقامة التدبير ولعرن بالمناصحة
وحسن الطاعة وردت خشبة الصليب على ملك الروم وكان ملكها
سنة واربعة اشهر

ثم ملك بعدها رجل من بني عم ابرويز يقال له خشنشده

وكان ملكه اقل من شهر ولم يظهر له اثر يستفاد منه تجربة

ثم ملكت آزرمي دخت ابنة كسرى ابرويز

كانت آزرمي دخت من اجمل نساء دهرها وكان عظيم فارس يومئذ فرخ هرمز
اصبهبذ خراسان فارسل اليها يسألها ان تزوجه نفسها فارسلت اليه
ان التزويج للملكة غير جائز وقد علمت ان اربك فيما ذهبت اليه قضاء
حاجتك مني فصر الي ليلة كذا وكذا ففعل فرخ هرمز وركب اليها
في تلك الليلة وتقدمت آزرمي دخت الى صاحب حرسها ان يترصده
في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله فنفذ صاحب حرسها
لامرها وامر به فجر برجله وطرح في رحبة دار المملكة فلما اصبح
الناس ورأوه علموا انه لم يقتل الا لعظيمة فامرت بجثته فغيبت
وكان رستم بن فرخ هرمز هذا اعظم الناس قوة ونبلا في نفسه وهو

رستم صاحب القادسية الذي تولى قتال العرب من قبل يزدجرد فيما
بعد وسيجي خبره هناك فلما بلغه ما صنع بابيه اقبل في جند عظيم
حتى نزل المداين وسمل عيني آزرمي دخت وقتلها وكان ملكها ستة
اشهر واختلف فيمن ملك بعد آزرمي دخت فقيل اتي برجل من عقب
اردشير بن بابك كان ينزل الاهواز يقال له كسرى بن مهر جشنس فلبس
التاج وقتل بعد ايام ويقال بل كان رجلا يسكن ميسان يقال له فيروز
فادخلوه كرها وكان ضخم الراس فلما توج قال ما اضيق هذا التاج
فتطير العظماء من افتتاح كلامه بالضيق وقتلوه ثم اتي برجل من
اولاد كسرى كان لجا الى موضع من المغرب قريب من نصيبين يقال
له حصن الحجارة حين قتل شيرويه كسرى يقال له

فرخ باذ خسرو

فانقاد له الناس طوعا زمنا يسيرا ثم استعصوا عليه وخالفوه

وكان ملكه ستة اشهر وكان اهل اصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهريار
بن ابرويز باصطخر قد هرب اليها حين قتل شيرويه اخوته فلما بلغ عظما
اصطخر ان من بالمداين خالفوا فرخ زاد خسرو اتوا بيزدجرد
بيت نار يدعى بيت نار اردشير فتوجوه هناك وملكوه وكان
حدثا ثم اقبلوا به الى المداين وقتلوا فرخ زاد خسرو بحيل
احتالوها له وساغ الملك ليزدجرد

ملك يزدجرد بن شهريار بن ابرويز

فملك يزدجرد غير ان ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال وكالحلم
وكانت العظما والوزرا يدبرون ملكه لحداثة سنه وكان اشدهم
تباعة في وزارته واذكاهم رئيس الجند وضعف امر مملكة فارس
واجترا عليه اعداوه من كل وجه وتطرفوا بلاده واغربوا منها
وغزت العرب بلاده بعد ان مضى من ملكه ثلث او اربع سنين

وكان عمره كله الى ان قتل ثمانيا وعشرين سنة ه وله احاديث
وسير سنذكرها بعد فراغنا من الاحوال التي تمت من جهة الراي
والتدبير في ايام النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده الى ان يتصل
بذكر يزدجرد وما كان منه

فمما جرى في غزوات رسول الله صلى الله عليه
من التدابير البشرية والحيل الانسانية ما كان منه
عليه السلم في غزوة الخندق

وذلك ان النبي صلى الله عليه لما اجلى اليهود من بني النضير عن ديارهم
اجتمع روساؤهم ومنهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وغيرهما
فقدموا مكة ودعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وحزبوا الاحزاب
التي ذكرها الله تعالى وطمعوا في استيصال النبي صلى الله عليه
فنشطت قريش لذلك وتذكروا احقادهم ببدر فخرجوا وقايدهم
ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصن

بن حذيفه بن بدر وبنو فزاره وغيرهم من الاحزاب فاشار سلمان
على رسول الله صلى الله عليه لما راه بهم بالمقام بالمدينه وبدبر ان
يتركهم حتى يردوا انهم كان بهم على المدينه وفي طرفها ان الخندق
ففعل ذلك ووردت قريش بعددها وعدتها ووردت الاحزاب
وكثر الناس والاعدا على رسول الله صلى الله عليه وكان قد وادع بني
قريظه وهم اصحاب حصون بالمدينه وصاحب عقدهم وعهدهم
كعب بن اسد القرظي فاجتال حيي بن اخطب لكعب بن اسد حتى وصل
الى حصنه فاغلق كعب دونه باب الحصن وقال بيني وبين محمد
عقد ولن انقض ما بيني وبينه قال لفتح الباب اكلمك فقال ما انا بفاعل
فقال والله ان اغلقت دوني الباب الا على جشيشتك ان اكل
معك منها فاحفظ الرجل حتى فتح له فقال له ويحك يا كعب قد
جيتك بقريش على قادتها وسادتها حتى اخيتهم بالمدينه وجيتك

بغطفان على قادتها وسادتها وقد عاهدوني ان لا يبرحوا حتى
يستاصلوا محمدا ومن معه فتابى كعب ولم يزل به يفتله في الذروه
والغارب حتى اعطاه عهدا من الله وميثاقا ان يكون معه ونقض كعب
ما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وبري مما كان عليه له فلما صح
عند رسول الله صلى الله عليه ذلك ضاق ذرعا به وخشي ان يفت ذلك
في اعضاد المسلمين فعظم البلا واشتد الخوف واتاهم عدوهم من
فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المومنون كل ظن ونجم النفاق
من المنافقين وكثر الخوض واقام رسول الله صلى الله عليه واصحابه
فيما وصف الله من الخوف والشده لتظاهر الاعدا عليهم واتيانهم
من فوقهم ومن اسفل منهم حتى اتاه نعيم بن مسعود بن عامر بن انيف
من ثعلبه الغطفاني مسلما فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان
قومي لم يعلموا باسلامي فامرني بما شيت انته اليه فقال رسول الله

صلى الله عليه انما انت فينا رجل واحد وانما عنادك ان تخذل
عنا ما استطعت وعليك بالخداع فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود
حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم فقال يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم
وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم ان
قريشا وغطفان ومن التف معهم جاؤوا لحرب محمد وان ظاهرتموهم
عليه فليسوا كهيئتكم وذاك ان البلد بلدكم بها اموالكم واولادكم
ونساؤكم لا تقدرون ان تتحولوا منه الى غيره فاما قريش وغطفان
فان اموالهم وابناءهم ونساءهم ببلاد غير بلادكم فان راوا نهزة
وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم
وبين الرجل والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به وان خلا بكم فلا تقاتلوا
القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم
على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه فقالوا لقد اشرت علينا

براي ونصح ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه
يا معشر قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت
حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال اعلموا
ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا
اليه انا قد ندمنا على ما صنعنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من القبيلتين
قريش وغطفان رجالا من اشرافهم وكبرائهم ونعطيكهم فتضرب
اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون
منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا فوقع ذلك من القوم
ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي
واحب الناس الي ولا اراكم تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا
علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل
ما حذرهم فكان من الاتفاق الجيد

ان ارسل بعد ذلك ابو سفين ورءوس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن
ابي جهل في نفر من قريش وغطفان فقال لهم انا لسنا بدار مقام وقد
هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه
فارسلوا اليه ان اليوم السبت وكان اتفق ذلك وهو يوم لا نعمل
فيه شيا ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم
يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب
واشتد عليكم القتال ان تشمروا الى بلادكم وتتركونا والرجل
في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت الرسل بالذي قالت
قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود
لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله ما ندفع اليكم رجلا واحدا
من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت
بنو قريظة حين ادت اليهم الرسل ان الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود

لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان
كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل فارسلوا
الى القوم انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا وخاذل القوم وانهم
بعضهم بعضا وذلك في زمن شات وليال باردة كثيرة الرياح تطرح
ابنيتهم وتكفا قدورهم وضاق ذرع القوم وبلغ رسول الله صلى الله
عليه وسلم اختلاف القوم وما هم فيه من الجهد فدعا حذيفة بن
اليمان فبعثه اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا فذهب حذيفة بن اليمان
حتى دخل في القوم قال حذيفة فذهبت فرايت من الرياح امرا
هايلا لا يقر لهم نارا ولا بناء فقام ابو سفين ابن حرب فقال يا معشر
قريش لينظر امرؤ جليسه قال فبادرت واخذت بيد الرجل الذي الى
جانبي فقلت من انت قال انا فلان بن فلان ثم قال ابو سفين انكم
يا قوم ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا

بنو قريظة وبلغنا عنهم ما نكره ولقينا من الجهد والشدة وهذه الريح
ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل ثم قام إلى جمله وقام الناس معه
وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانصرفوا إلى بلادهم وتفرق
ذلك الجمع من غير قتال إلا ما كان من عدة يسيرة ليتفقوا على الهجوم
على الخندق فلما أتى فيهم عمرو بن عبد ود فقتلوا إلا عمرو وقتله علي بن
أبي طالب مبارزة لما اقتحم عليه الخندق وانتقض ذلك الجمع والتدبير
كله ك

ومن ذلك

أنه لما افتتح رسول
الله صلى الله عليه مكة وأقام خمسة عشر يوما جاءت هوازن وثقيف
لمحاربته فنزلوا حنين وذلك أنهم كانوا قبل ذلك قد جمعوا له حين
سمعوا بمخرجه من المدينة وظنوا أنه يريدهم فلما قصد مكة
أقبلوا عامدين إليه ومعهم الأموال والنساء والصبيان ورئيس
هوازن يومئذ مالك بن عوف وأقبلت معهم ثقيف ونصر وجشم

ولم يشهد معهم من هوازن كعب ولا كلاب وفي جشم دريد بن الصمة
شيخ كبير لا شيء فيه إلا أنهم يتيمنون برأيه ومعرفته بالحرب ودربته
بها فلما نزل بأوطاس اجتمع الناس إلى رئيسهم مالك بن عوف وفيهم
دريد بن الصمة يقاد به وهو في شجار له فقال بأي واد أنتم قالوا
بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي
أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير ويعار الشاء وبكاء الصغير فقالوا
لقد ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم فقال
أين مالك فدعي له فقال يا مالك إنك قد أصبحت رئيس قومك
وإن هذا يوم له ما بعده من الأيام ما لي أسمع رغاء البعير
ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء قال سقت مع الناس أبناءهم
ونساءهم وأموالهم قال ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل
أهله وولده وماله ليقاتل عنهم قال فانقض به ثم قال راعي ضأن

والله فخاك هل يرد المنهزم شيء انها ان كانت لك لم ينفعك
الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك
ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم احد قال غاب
الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب
فمن شهدها منكم قالوا عمرو بن عامر وعوف بن عامر قال ذانك
الجذعان من بني عامر لا ينفعان ولا يضران يا مالك انك لم تصنع
بتقديم البيضة بيضة هوازن الى نحور الخيل شيئا ارفعهم الى متمنع
بلادهم وعليا قومهم ثم الق الصبا على متون الخيل
فان كانت لك لحق بك من وراءك وان كانت عليك قد احرزت
اهلك ومالك قال والله لتطيعني يا معشر هوازن او لاتكئن
على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري وكره ان يكون فيها لدريد ذكر
ورأي فقال دريد هذا يوم لم اشهده ولم يفتني يا ليتني فيها جذع

اخب فيها واضع اقود وطفاء الزمع كانها شاة صدع
وكان دريد رئيس قومه بني جشم وسيدهم واوسطهم مع شجاعته
ودربته وتجاربه ولكن السن ادركته حتى فني ثم قال مالك للناس
اذا رايتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم وشدوا شدة رجل واحد عليهم
فلما استقبل خيل رسول الله صلى الله عليه وكان يومئذ اثني عشر الفا
منهم عشرة الف فتحوا مكة والفان ممن اسلم وانضاف اليهم بوادي
حنين الجرور وهو واد من اودية تهامة اجوف انما يحدرون فيه
انحدارا وذلك في عماية من الصبح وكان القوم قد سبقوا
الى الوادي فكمنوا في شعابه واحنائه ومضايقه وتهيئوا واعدوا
فما راع خيل رسول الله عليه السلم وهم منحطون الا الكتائب قد شدت
عليهم فانشمروا لا يلوي احد على احد وانحاز رسول الله صلى الله عليه
ذات اليمين وصاح ايها الناس اين هلموا الي انا رسول الله

انا محمد بن عبد الله وبقي مع النبي صلى الله عليه نفر من اهل بيته
فيهم علي بن ابي طالب والعباس وابنه الفضل وجماعة من المهاجرين
فقال رسول الله صلى الله عليه للعباس اصرخ يا معاشر الانصار
يا اصحاب السمرة فاجابوه من كل ناحية وحملوا على الناس وكانت
لنا بها وقتل علي بن ابي طالب عليه السلم صاحب الراية وقتل خيل مالك بن
عوف كل مقتلة وغنم المسلمون تلك الاموال وسبوا النساء والاولاد
وقتل دريد وكان عدة السبي يومئذ من هوازن ستة الف من النسا
والاولاد فلما قدمت وفود هوازن على النبي عليه السلم مسلمين
اعتق لهم ابناهم ونساهم كلهم بحديث طويل

ومن ذلك انه لما ظهر الاسود العنسي الكذاب
متنبيا باليمن وحضر موت وصنعا جاريه شهر باذان وكان رسول الله
صلى الله عليه استخلفه بعد ابيه باذان على الابنا وعلى بعض عماله

ابيه فهزمه الاسود وفرق الابنا عنه وظفر به بعد فقتله وغلب
على صنعا وهرب عمال رسول الله صلى الله عليه وجعل امر
الاسود الكذاب يعلوا ويستطير استطارة الحريق وكان جعل
عمرو بن معديكرب خليفته في مذحج بعد ان ارتد عمرو وجعل امر
جنده الى قيس بن عبد يغوث واسند امر الابنا الى فيروز الديلمي وداذويه
وكان شهر قد تزوج بنت عم فيروز وكانت جميلة فلما قتل شهر
تزوج بها الاسود فانفذ رسول الله صلى الله عليه الى فيروز والى
جشنس وغيره من الابنا يامرهم بالقيام على دينهم وان ينهضوا في
الحرب والعمل في الاسود اما غيلة واما مصادمة فالقى كتاب
رسول الله صلى الله عليه الى اصحابه وكان تغير الاسود لقيس
بن عبد يغوث فقال اصحاب رسول الله عليه السلم ان قيسا خايف
على دمه وهو اول دعوه فهلم ندعوه فاجتمعوا لذلك

ثم دعوه وانسوه لعرهم وابلغوه عن النبي صلى الله عليه وكانما
وقعوا عليه من السما لانه كان في غم وضيق بامره فاجابهم
الى ما احبوا ثم ان عامر بن شهر بن باذام اعترض في قوم منهم
ذو مران وذو الكلاع وذو ظليم فكانوا اصحاب النبي صلى الله
عليه وبذلوا لهم النصر وكان النبي صلى الله عليه قد كاتبهم وكان
اصحاب النبي في سر قد لتفقوا عليه فاجابوا القوم بالتوقف
وذلك ان الامر كان استتب للاسود واستفحل فهابوه
هيبة شديدة ثم انه دخل جشنس الديلمي على ازاذ وهي امراة الاسود
التي خلف عليها بعد شهر بن باذام فقال يا ابنة عم قد عرفت بلا هذا الرجل
عند قومك قتل زوجك وطاطا في قومك القتل وسفك الاباحه
دما من بقي منهم وفضح النسا فهل عندك من مالاة عليه فقالت
وعلى اي امره قال جشنس فقلت اخراجه فقالت او قتله قلت

او قتله قالت نعم والله ما خلق الله شخصا ابغض الي منه
ما ينتهي عن حرمة لله فاذا عزمتم فاعلموني اخبركم بماتي هذا
الامر قال جشنس فاخرج فاذا فيروز وداذويه ينتظراني
واذا قيس قد دعاه الاسود فدخل اليه في عشرة من مذحج
وهمدان فقال له الاسود يا قيس الم اقل لك الم اصنع
تعبد عليه بنعمته فقال بلى قال فانه يقول يعني الشيطان
الذي معه ان قيسا على الغدر بك ابه باسواه باسواه الا
تقطع من قيس يده يقطع قنتك العليا حتى ظن قيس انه
قاتله فقال لذلك وذي الحمار فاما قتلتني فانها موتة مريحة
اهون علي من موتات اموتها كل يوم خوفا وفرقا واما صدقني
فوالله لانت اهيب واجل في نفسي من ان احدثها بعذرك
فرق له واخرجه قال فخرج قيس علينا وطونا عبرانه فقال

اعملوا اعمالكم ثم خرج الاسود علينا فقمنا مثولا بين يديه
بالباب فقال يا فيروز اخوي ما بلغني عنك وهياله للجهة لقد هممت
ان اجوك فقال فيروز اخترتنا ايها الملك لصهرك وفضلتنا على
الابنا ولو لم تكن نبيا ما بعنا نصيبك ونصيبنا منك بشي ولكن
وقد اجتمع لنا بك امر آخرة واولى لا تقبلن علينا امثال ما بلغك
فانا بحيث تحب ثم دخل الاسود ما به من بين بقره ويعبر عن مجلسه
ولا معقله لخبر بنه وقال لفيروز اقسم هذه فانت اعلم بمن
ها هنا قال فيروز ففعلت هذا وجعلته قبل ان يصل الى داره فاذا
رجل يسعى اليه فاستمع له وهو يقول انا قاتله غدا واصحابه
فاغد علي ثم التفت فاذا هو بفيروز فقال مه قال قد قسمتها
كما امرتني قال احسنت وضرب دابته ودخل ورجع فيروز
الى اصحابه فاخبرهم بالخبر قال خشنس فارسلنا الى قيس فجانا فاجتمع

ملؤهم ان اعود الى المراة فاخبرها بعزيمتنا للتشير علينا برايها فاتيت
المراة وقلت ما عندك قالت هو متحرز متحرس وليس من القصر شي
الا والحرس محيطون به غير هذا البيت فان ظهره الى مكان كذا
وكذا من الطريق فاذا امسيتم فانقبوا عليه فانكم من دون الحرس
وليس دون قتله شي وقالت انكم ستجدون فيه سلاحا وسراجا
وهو عندي امد لكم فخرجت من عندها وتلقاني الاسود خارجا
من بعض منازله فقال ما ادخلك علي ووجا راسي حتى
سقطت وكان شديدا وصاحت المراة فادهشته عني ولولا
ذلك لقتلني وقالت ابن عمي جاني زائرا فقصرت بي فقال اسكتي
لا ابا لك فقد وهبته لك فتحاملت واتيت اصحابي فقلت النجا
الهرب واخبرتهم الخبر فانا على ذلك حيارى اذ جاني رسولها
يقول لا تدعن ما فارقتك عليه فاني لم ازل به حتى اطمان

قال جشنس

ولعند رفقلنا لفيروز ائتها وتثبت فاما انا فلا سبيل لي الى الدخول بعد
النهي ففعل وكان فيروز افطن منا فلما اخبرته الخبر قال وكيف ننقب على بيوت
مبطنة الابواب سعي لنا ان نقلع بطانة الباب فدخلا فاقلعا البطانة
ثم اغلقاه وجلسا عندها كالزاير فدخل عليها فاستخفته غيرة واخبرته
برضاعه وقرابه منها محرم فصاح به واخرجه وجا بالخبر فلما امسينا
عملنا في امرنا وقد كنا واطانا اشياعنا وكل عجلنا عن مراسلتهم فنقبنا
البيت من خارج ثم دخلناه وفيه سراج تحت جفنة ولتقينا بفيروز
لانه كان اجدنا واشدنا فقلنا انظر ماذا ترى واين موضعه فدخل
ونحن بينه وبين الحرس الذين معه في مقصورة فلما دنا من باب البيت
سمع غطيطا شديدا واذا المراة جالسة فلما قام على الباب فتح عينيه فقال
ايضا مالي ولك يا فيروز فخشي ان يرجع لاحد السلاح وليعلم امنا فيهلك
ويهلك المراة فعاجله وخالطه وكان مثل الجمل فاخذ براسه فدق

ووضع ركبته في ظهره فدقه ثم قام ليخرج فاخذت بثوبه وهي ترى انه
لم يقتله وقالت اين تدعني قال لا اخبر اصحابي بمقتله فاتانا
وقمنا معه فاردنا حز راسه فحركه واضطرب فلم نضبطه فقلت اجلسوا
على صدره فجلس اثنان على صدره واخذت المراة بشعره وسمعنا بربرة
فالجمته بمبلاة وامر الشفرة على حلقه فخار كاشد خوار ثور سمعته
قط فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ما هذا ما هذا فقالت
المراة النبي يوحى اليه اهدا واخمد ثم سمرنا ليلتنا ونحن ناتمر كيف نخبر
اشياعنا ليس غيرنا ثلاثتنا انا وفيروز وقيس فاجمعنا على النداء بشعارنا
الذي بيننا وبين اشياعنا ثم ننادي بالاذان فلما طلع الفجر فعلنا ذلك فتجمع
الحرس فناديناهم اشهد ان محمدا رسول الله وان عبهلة كذاب
والقينا اليهم براسه وخلصت صنعا والجند واعز الله الاسلام
وتنافسنا الامارة وتراجع اصحاب رسول الله صلى الله عليه الى اعمالهم

فاصطلحوا على معاذ وكان يصلي بنا وكتبنا الى رسول الله صلى الله عليه
بالخبر وذلك في حياته فقدمت رسلنا وقد مات النبي صلى الله عليه صبيحة
الليلة التي قتلنا فيها الاسود فاجابنا ابو بكر رضي الله عنه ○

اسما كتاب النبي صلى الله عليه وسلم

كان علي بن ابي طالب وعثمن بن عفان يكتبان الوحي فان غابا كتبه ابي بن كعب
وزيد بن ثابت فان لم يشهد هؤلا كتبه سائر الكتاب وهم عمر بن الخطاب
وطلحة وخلد بن سعيد ويزيد بن ابي سفين والعلا الحضرمي وابو سلمة بن عبد الاشهل
وعبد الله بن ابي سرح وحويطب بن عبد العزى وابو سفين بن حرب ومعوية
وعثمن وابان ابنا سعيد وحاطب بن عمرو وجهيم بن الصلت
وكان خلد بن سعيد بن العاص ومعوية بن ابي سفين يكتبان بين يديه في
حوايجه وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان بين الناس
وينوبان عن خلد ومعوية اذا غابا وكان عبد الله بن الارقم ربما كتب

الى الملوك عن النبي عليه السلم وكان زيد بن ثابت مع ما يكتبه من الوحي يكتب
الى الملوك وكان يحسن بالفارسية وبالرومية وبالحبشية وكان حنظلة بن
الربيع خليفة كل كاتب من كتاب النبي عليه السلم غاب عن عمله فغلب عليه
اسم الكاتب من بينهم وكان النبي عليه السلم يضع عنده خاتمه وقال له
الزمني واذكرني بكل شي لثالثة وكان لا ياتي على مال ولا حاجة ثلثة
ايام الا اذكره به فلا يبيت عليه السلم وعنده منه شي فاما عبد الله بن
سعد بن ابي سرح فانه ارتد بعد كتابته للنبي عليه السلم وكان يتكلم فسمعه
رجل من الانصار فحلف بالله لئن امكنه الله منه ليضربنه ضربة بالسيف
فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمن وكان بينهما رضاع فقال يا رسول الله
هذا عبد الله لعل تائبا فاعرض عنه والانصاري حاضر بيده السيف
فاعاد عليه عثمن القول فاعرض عنه فلما اعاد الثالثة مد صلى الله عليه
يده فبايعه وقال للانصاري لقد تلومت ان توفي بنذرك فقال فهلا

او نصبت اليّ فقال انه لا ينبغي للنبي ان يؤمّر

ومن صرامة الراي وحصافته ما كان من ابي بكر رضي الله عنه

وذلك انه لما مات النبي صلى الله عليه ارتدت العرب واضطرمت الارض
واشتعل الناس بالمتنبين وتروحي عن مسيلمة وطليحة فاستغلظ امرهما
وارتد من كل قبيلة عامة وخاصة الا قريشا وثقيفا فتشدد ابو بكر
وكان فيه لين الا انه حزم وحصف وخالف الناس وكانوا اشاروا
عليه بالمقاربة وذلك ان اسامة بن زيد كان غائبا بالجيش التي جهزه
رسول الله عليه السلم معه الى حيث قتل فيه ابوه زيد وكان اهل المدينة
في قلة وكان طليحة قد قوي باسد وغطفان وطي فبعثوا وفودا
الى ابي بكر رضي الله عنه من كل قبيلة ونزلوا على وجوه الناس على
ان يقيموا الصلوة ولا يؤتوا الزكوة فجرد ابو بكر العزيمة وقال لو
منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فرجعوا فاخبروا عشائرهم

بقلة من اهل المدينة واطمعوهم فيها فكان من حصافته ان جعل
على انقاب المدينة بعد خروج الوفد عليا والزبير وطلحة ونفرا معهم
واخذ اهل المدينة بحضور المسجد وقال لهم ان الارض كافرة وقد راى
وفدهم منكم قلة وانكم لا تدرون اليلا تؤتون ام نهارا وادناهم منكم
على بريد وقد كان القوم يأملون ان نوادعهم ونقبل منهم وقد ابينا
عليهم ونبذنا اليهم فاستعدوا واعدّوا فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرقوا المدينة
غارة مع الليل وخلفوا ردءا لهم بذي حسى فوافوا الانقاب وعليها
المقاتلة ودونهم اقوام يدرجون فنهنهوهم وارسلوا الى ابي بكر
بالخبر فخرج ابو بكر في اهل المسجد على النواضح اليهم فانهزموا واتبعهم
المسلمون على ابلهم حتى بلغوا ذا حسى فخرج عليهم الردء بانحاء فنفخوها
وجعلوا فيها الحبال ثم دهدهوها بارجلهم في وجوه الابل
فتدهده كل نحي في طوله فنفرت الابل ابل المسلمين وهم عليها ولا تنفر

من شيء يفارقها من الخيل فعاجت بهم ما يملكونها حتى دخلت بهم المدينه
الا انه لم يصرع مسلم ولم يصب وظن القوم بالمسلمين الوهن فبعثوا
الى الناس بالخبر فقدموا عليهم اعتمادا وبات ابو بكر ليلته يتهيا فعبى الناس
ثم خرج في تعبيته من اعجاز ليلته يمشي فما طلع الفجر الا وهم مع العدو
في صعيد واحد فما سمعوا من المسلمين همسا ولا حسا حتى وضعوا فيهم السيوف
فما ذر قرن الشمس حتى ولوهم الادبار وغلبوهم على عامة ظهرهم وقتل رئيسهم
حبال وكان صاحب طليحه واتبعهم ابو بكر فكان اول فتح فلما بلغ
ذا القصه وضع بها النعمن بن مقرن في عدد ورجع الى المدينه فذل
المشركون وعز المسلمون بوقعة ابي بكر رضي الله عنه فوثب بنو ذبيان
وعبس على من فيهم من المسلمين فقتلوهم كل قتله وفعل من وراءهم فعلهم
فحلف ابو بكر ليقتلن في كل قبيله قتله من قتلوا وليزيدن وليفعلن
وليصنعن خزمي بذلك فازداد المسلمون ثباتا على دينهم وتفرق

امر المشركين وطرقت المدينه صدقات صفوان والزبرقان وعدي فاستبشر
لذلك ابو بكر والمسلمون وذلك لستين يوما من خروج اسامه ثم قدم اسامه
واستخلفه ابو بكر على المدينه وقال له ولجنده اريحوا واستريحوا ثم خرج
بنفسه مع الذين كانوا على الانقاب فقال له المسلمون ننشدك الله
ان تعرض نفسك فانك ان تصب لم يكن للناس نظام ومقامك
اشد على العدو فابعث رجلا فان اصيب امرت اخر فقال لا والله
حتى اواسيكم بنفسي فخرج في تعبيته الى ذي القصه والنعمن واصحابه
على ما كانوا عليه حتى نزل على اهل الربذه بالابرق فاقتتلوا فهزم القوم
واخذ الحطيئه اسيرا وطارت عبس وبنو بكر فاقام ابو بكر على الابرق
اياما وقد غلب بني ذبيان على البلاد وقال حرام على بني ذبيان البلاد
ان يطاوها بعد ان غنمناها الله فلما غلب اهل الرده ودخلوا فيما خرجوا
منه جاءت بنو ثعلبه ومن كان يسارهم فمنعوا منها فاتوه في المدينه

فقالوا علام تمنع من الروم بلادنا فقال لهم لبئست لكم بلاد ثم حمى
بلاد الربذة فكانت لصدقات المسلمين وجاءت الصدقات الكثيرة فلما اراح
اسامة وجنده ظهورهم وجموا عقد ابو بكر احد عشر لواء وقطع عليها البعوث
عقد لخالد بن الوليد وامره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ منه سار الى مالك
بن نويرة بالبطاح ان اقام له وعقد لعكرمة بن ابي جهل وامره بمسيلمة وعقد
للمهاجر بن ابي امية وامره بجنود الاسود العنسي ومعونة الابناء على قيس بن المكشوح
ومن اعانه من اليمن عليهم ثم يمضي الى كندة بحضرموت وعقد لخالد بن سعيد
بن العاص وكان قدم من اليمن وترك عمله ولعمرو بن العاص الى جماع قضاعة
ووديعة والحرث ولحذيفة بن محصن وامره باهل دبا ولعرفجة بن هرثمة وامره
بمهرة ولشرحبيل بن حسنة على قضاعة ولطريفة بن حاجز وامره ببني سليم
وهوازن ولسويد بن مقرن وامره بتهامة اليمن وللعلاء بن الحضرمي وامره بالبحرين
ففصل الامرا من ذي القصة وقد كتب لهم عهدهم فلحق بكل امير جنده

وكتب الى جميع المرتدة كتابا يبلغه بالاعذار والانذار والترغيب والترهيب
ونفذت الرسل امام الجنود بالكتب ونفذ خالد الى طليحة فهزمه وفض
جمعه وكان طليحة ارتد في حياة رسول الله صلى الله عليه وادعى النبوة
فوجه النبي صلى الله عليه ضرار بن الازور وكان عاملا على بني اسد وامرهم
بالقيام في ذلك على كل من ارتد فاشجوا طليحة واخافوه ونقص امره
حتى لم يبق الا اخذه سلما سوى انه كان ضرب ضربة بالجراز
فنبا عنه فشاعت في الناس واتى المسلمين وهم على ذلك موت نبيهم
وقال ناس ان السلاح لا يعمل في طليحة فقوي امره ونقص امر المسلمين
لذلك حتى انهم قالوا عرفنا ذلك في انفسنا يومئذ وورد علينا الخبر
بوفاة رسول الله صلى الله عليه وقام عيينة بن حصن بنصره وقام
في غطفان فقال ما اعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين
بني اسد واني مجدد الحلف الذي كان بيننا في الجاهلية ومتابع

طليحة والله لان نتبع نبيا من الحليفين احب الينا من ان نتبع نبيا من قريش
وقد مات رسول الله صلى الله عليه وبقي طليحة فطابقوه على رايه فلما
قوي امر طليحة واستفحل هرب ضرار واصحاب النبي صلى الله عليه وطاروا
كل مطار قال ضرار بن الازور فما رايت احدا البس من رسول الله اما والله
لحرب شغلوا من ابي بكر لجعلنا الخبزة ولكانما الخبزة بما له لا عليه

ومما ظهر من عمر رضي الله عنه في هذا الوقت
صرامته وحصافته

ان عمرو بن العاص كان بعمان فلما مات رسول الله صلى الله عليه
اقبل حتى انتهى الى البحرين وسار في بني تميم ثم في بني عامر حتى قدم المدينة
فاطاف به قريش وسالوه فاخبرهم ان العساكر معسكرة من دبا
الى حيث انتهيت اليكم واخبرهم من اضطراب الاسلام وقوة الاعدا
ما كسرهم فتفرقوا وتحلقوا حلقا واقبل عمر بن الخطاب يريد

التسليم على عمرو فمر بحلقة وهم في شي مما سمعوا من عمرو وفي
تلك الحلقة عثمن وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد
فلما دنا عمر منهم سكتوا فقال عمر فيم انتم فلم يخبروه فقال ما اعلمني
بالذي خلوتم له فغضب طلحة وقال يا ابن الخطاب انخبرنا بالغيب فقال
لا يعلم الغيب الا الله ولكن اظن لكم قلتم ما اخوفنا على قريش من
العرب واخلقهم الا يقروا بهذا الامر قالوا صدقت قال فلا تخافوا
هذه المنزلة انا والله منكم على العرب اخوف مني عليكم من العرب
والله لو تدخلون معاشر قريش جحرا لدخلته العرب في اثاركم فاتقوا
الله فيهم ثم مضى عمر الى ابي بكر واجتمع مع عمرو
فاما طليحة فانه لما انهزم اصحابه هرب حتى نزل على كعب على النقع
فاسلم ولم يزل مقيما في كلب حتى مات ابو بكر وانما اسلم هنالك
حين بلغه ان اسدا وغطفان وعامرا قد اسلموا فلما مات ابو بكر

اي عمر للبيعة فقال له عمر انت قاتل عكاشة وثابت والله لا
احبك ابدا فقال يا امير المومنين ما تنقم على من رجلين اكرمهما الله بيدي
ولم يهني بايديهما فبايعه عمر ثم قال له خرم ما بقي من كهانتك قال نفخه
او نفختان بالكير ثم رجع الى دار قومه فاقام بها حتى خرج الى العراق
ولما اعطى اهل بزاخة من اسد وغطفان وطي بايديهم على الاسلام
لم يقبل خالد من احد منهم ولا من هوازن وسليم الا على ان ياتوه بالذين حرقوا
ومثلوا وعدوا على اهل الاسلام في حال ردتهم فاتوه بهم فقبل
منهم الا قرة بن هبيرة ونفرا معه اوثقهم ومثل بالذين مثلوا بالمسلمين
واحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة ورمى بهم من الجبال ونكسهم في
الابار وخزق بعضهم بالنبال وكتب بخبرهم وما صنع الى ابي بكر
فكتب اليه ابو بكر ليزدك الله ما انعم به عليك خيرا فاتق الله ولا
تظفرن باحد قتل المسلمين الا قتلته ونكلت به غيره وان كنت بلغ

احببت ممن حاد الله وضاده ممن ترى في ذلك صلاحا فاقتله فاقام
خالد شهرا على بزاخة يصعد ويصوب ويرجع في طلب القوم فمنهم من
يحرق ومنهم من يرضخه ومنهم من يرمى به من الجبل وقدم الفجاءة
بن اياس بن عبد ياليل على ابي بكر فقال اعني بسلاح ومرني باشبث من
شئت من اهل الردة فاعطاه سلاحا وامره امره فخالفه وخرج
ونزل الجوا وبعث نجبة بن ابي الميثا وامره بالمسلمين فشنها غارة
على كل مسلم في سليم او هوازن وبلغ ذلك ابا بكر فارسل اليه من حاربه
بالجواء حربا شديدة فقتل نجبة وهرب الفجاءة فلحقه من اسره وبعث به
الى ابي بكر فاوقد له في مصلى المدينة حطب كثير ثم رمي به في النار
مقموطا

ومن وجوه المكايد في الحرب

ان خالدا لما مضى نحو اليمامة قاصدا مسيلمة وقرب بعسكره خرج
اهل اليمامة مع مسيلمة ثم التقى الناس ولم يلقهم حرب قط مثلها

من حرب العرب فاقتتل الناس قتالا شديدا حتى انهزم المسلمون وخلصوا
الى فسطاط خالد فزال خالد عنه واسلم لعرائه ام تميم وعلوا الفسطاط
بالسيوف ثم ان المسلمين تداعوا وتبرأوا الى الله ممن انهزم وجالدوا حتى
قتل زيد بن الخطاب وعدة من خيار الناس وخلصوا الى محكم اليمامة وكان
مستبدا فيهم فقاتل قتالا شديدا حتى قتل وزحف المسلمون واشتد القتال
وكانت يومئذ سجالا انما يكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين
واستحر القتال في المهاجرين والانصار وثبت مسيلمة ودارت رحاهم
عليه فعرف خالد بن الوليد انها لا تركد الا بقتل مسيلمة ولم تحفل
بنو حنيفة بقتل من قتل منهم فبرز خالد حتى اذا كان امام الصف
دعا الى البراز وانتمى وقال انا ابن الوليد العود انا ابن عامر وزيد
فجعل لا يبرز له احد الا قتله ودارت عليه رحى المسلمين
فطحنت ثم دنا خالد من مسيلمة فدعاه مباديا باعلى صوته

ليطلب عورته وذلك لعلمه ان الحرب لا تزول الا بزواله فاجابه
مسيلمة فعرض عليه اشياء مما تشتهي مسيلمة ثم قال له ان قبلنا النصف
فاي الانصاف تعطينا فكان اذا هم بجوابه اعرض عنه مستشيرا
شيطانه وكان شيطانه ينهاه ان يقبل فاعرض بوجهه مرة من ذلك
فركبه خالد فارهقه فادبر وزالوا فذمر خالد الناس وقال دونكم لا تقيلوهم.
فاقتحموا حديقة الموت فاقتحم الناس عليهم فقتلوا منهم عشرة الف
وقتل مسيلمة قتله وحشي بحربته واعانه رجل من الانصار
وكان خالد ظفر قبل هذه الوقعة بمجاعة مع نفر معه كانوا خرجوا
في سرية لهم وكان ظن انهم استقبلوه فلما سألهم صدقوه من لو عرفوا
خبره لقالوا انما استقبلناك فسلموا فعرضهم على السيف فقتلهم
عن آخرهم الا مجاعة فانه استحياه طمعا في الانتفاع به فلما فرغ من قتل
مسيلمة واخبر به اخرج مجاعة مرسفا في الحديد ليدله على مسيلمة

فجعل يكشف له القتلى حتى مر بمحكم اليمامة وكان وسيما حسنا فلما رآه
خالد قال هذا صاحبكم قال لا هو والله خير منه وأكرم هذا محكم اليمامة
ثم مضى خالد يكشف له القتلى فإذا رويجل أصيفر أخينس فقال مجاعة هذا
صاحبكم قد فرغتم منه فقال خالد لمجاعة هذا فعل بكم ما فعل قال قد كان
ذلك يا خالد وإنه والله ما جاءك إلا سرعان الخيل وإن الحصون لمملوءة
رجالا فهلم أصالحك على قومي يقول ذلك لرجل قد نهكته الحرب وأصيب
معه من أشراف الناس من أصيب فقد رق وأحب الدعة والصلح فقال
هلم أصالحك فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السبي ثم قال
فآتي القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت قال انطلق إليهم فذهب وقال
للنساء وليس في الحصون إلا النساء والصبيان ومن ليس به طرق من الشيوخ
البسن الحديد ثم أشرفن على الحصون وانشرن شعوركن ثم كر نحو خالد
وقال أبوا ما صالحتك عليه ولكن صالحني على ربع السبي إن عزم على

القوم قال خالد قد فعلت فسرحه وقال أنتم بالخيار ثلاثا والله لئن لم تتموا
ولم تقبلوا لأنهدن إليكم ثم لا أقبل منكم خصلة أبدا إلا القتل وكان
خالد إذا نظر إلى الحصون رآها مملوءة الحيطان بالسلاح وهو السواد من أيها رجالا
وإنما هن النساء فلما رجع مجاعة إليهم قال أما الآن فاقبلوا ورجع إلى خالد
وقال بعد شر ما قبلوا إلا بذلك وكتب   هذا ما قاضى عليه خالد بن
الوليد مجاعة بن مرارة وفلانا وفلانا قاضاهم على الصفراء والبيضاء وربع
السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا ثم
أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد بن الوليد وذمة أبي بكر خليفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمم المسلمين على الوفاء   فلما فرغ
خالد بن الوليد من هذه الوقعة والصلح فتحت الحصون فإذا ليس فيها
إلا النساء والصبيان فقال خالد لمجاعة ويحك خدعتني قال قومي ولم
أستطع إلا ما صنعت   ولما فرغ خالد من هذه الوقعة أمره

أبو بكر بالمسير إلى العراق وكان ما كان من أمره مع الفرس ولم أجد في
تلك الحروب والوقعات مع عظمها وشدتها موضع حيلة ولا موقع
تدبير يستفاد منه تجربة إلا اليسير مما سنذكره وباقيه كله جهاد
من القوم ونصر من الله واجتهاد من المسلمين وخذلان للفرس وانصرام
لمدتهم وانقضاء لملكهم وكان شرطنا في أول الكتاب ألا نثبت من الأخبار
إلا ما فيه تدبير نافع في المستقبل أو حيلة تمت في حرب أو غيرها ليكون
معتبرا وأدبا لمن يستأنف من الأمر مثله فلذلك تركنا أمثال هذه
الوقائع وعلى أنا سنذكر الجمل التي فيها أدنى تنبيه على موضع فائدة
ولأجل ذلك تركنا ذكر أكثر مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقعاته
لأنها كلها توفيق الله ونصره وخذلان لأعدائه ولا تجربة في هذا
ولا تستفاد منه حيلة ولا تدبير يستمر ه

ومن الآراء السديدة ما كان من خالد بالشام

وذلك أن خالدا افتتح السواد الذي بينه وبين دجلة وحاز غربي دجلة
كله بوقائع كثيرة وحروب عظيمة وشغل الفرس عن أمر الملك فإن
أردشير شيرى مات وقد كان هلك العظماء وأهل بيت كسرى مما أفناهم
شيرى ويغزو أن خالد للعظماء وتفرغ أبو بكر للشام وكان أمر خالدا
ألا يقتحم على الفرس لأن مسالح لهم كانت من وراء المسلمين فخشي أن يؤتوا
من ورائهم وقد كان المسلمون أشرفوا على الهلاك بالشام لكثرة
جنود الروم فكتب أبو بكر إلى خالد يأمره أن يستخلف على جنده ويسير
في عدد وافر إلى إخوانه المسلمين بالشام ه   ولما اهتم بأمر الشام
كتب إلى عمرو بن العاص وإلى الوليد بن عقبة وكانا على عمل من الصدقات
أما عمرو فكان على صدقات هذيم وعذرة ومن لف لفهما وأما الوليد
فكان على النصف من صدقات قضاعة فكتب أبو بكر إليهما يرغبهما
في الجهاد ويخيرهما بين أعمالهما وما ندبهما إليه فقالا بإيثار الجهاد فكتب

أبو بكر بأن يبدآ بمن يليهما ويستخلفا على أعمالهما ثم ندب أبو بكر
من كان اجتمع إليه وقوّى بهم عمرًا وأمّره على فلسطين وأمره بطريق
سمّاها له، وولّى الوليد الأردن وأمدّه ببعض من كان اجتمع
إليه ودعا يزيد بن أبي سفيان فأمّره على جند عظيم هم جمهور من انتدب
له وفي جنده سهيل بن عمرو وأشباهه واستعمل أبا عبيدة وأمّره
[جمع مع] على جنده وكان قد قدم خالد سعيد بن العاص وأمره أن
يأتي تيماء ويقيم بها فلا يتجاوزها ويندب إليه من حوله ويتقوّى به
حتى تأتيه الجنود وسمّى ليزيد بن أبي سفيان دمشق ولشرحبيل
بن حسنة الأردن فتوافى الجند أطراف الشام مع الأمراء الأربعة
وهم سبعة وعشرون ألفًا وأمّر أبو بكر معوية وشرحبيل على
ثلثة آلف وكان عكرمة بن أبي جهل ردءًا لهم في ستة آلف وكان
في ثغر الروم أبو عبيدة فتنحّى بالروم ولثّوا عليه فكتب إلى

أبي بكر يستمدّ وأمدّهم بخالد بن الوليد من العراق في عشرة آلف وكانوا
ستة وأربعين ألفًا وكان قتالهم على تساند كل جند وأميرهم لا تجمعهم
أمير واحد حتى قدم عليهم خالد بن الوليد من العراق فلما قدم خالد وجد
الروم في جمع عظيم وقد استمدّوا المستعربة ونصارى العرب
ومسالح الفرس وكانوا في مائتي ألف مقاتل على حنق شديد وهم
يقاتلون بنشاط واجتماع ورأى المسلمين متساندين يقاتل كل قوم
مع أميرهم فقال لهم هل لكم يا معشر الرؤساء في أمر يعزّ الله به
الدين ولا يدخلكم منه نقيصة ولا مكروه قالوا وما ذلك
قال إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي أخلصوا
جهادكم وأريدوا الله بعملكم فإن هذا يوم له ما بعده ولا
تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية على تساند وانتشار فإن
ذلك لا ينبغي ولا يحل وإن من وراءكم لو يعلم علمكم حال

بينكم وبين هذا فاعملوا فيما لم تؤمروا به بالذي ترون انه الرأي من
واليكم ومحبته قالوا فهات ما الرأي قال ان ابا بكر لم يبعثنا الا
وهو يرى انا سنتياسر ولو علم بالذي كان ويكون لقد جمعكم ان
الذي انتم فيه اشد على المسلمين مما غشيهم وانفع للمشركين من
امدادهم ولقد علمت ان الدنيا فرقت بينكم فالله الله في دينكم فقد
افرد كل رجل منكم ببلد من البلدان لا ينتقصه منه ان دان لاحد من
امراء الجنود ولا يزيده عليه ان دانوا له ان تأمير بعضكم لا ينقصكم
عند الله ولا عند خليفة رسول الله هلموا فان هؤلاء قد تهيأوا و
هذا يوم له ما بعده ان رددنا القوم الى خندقهم اليوم لم نزل
نردهم وان هزمونا لم نفلح بعدها فهلموا فلنتعاور الامارة فليكن
عليها بعضنا اليوم والاخر غدا والاخر بعد غد حتى يتأمر كلكم ودعوني
اليكم اليوم فأمروه وهم يرون انها كخرجاتهم قبل قدوم خالد

وان الامر طويل والامارة تصل الى كل واحد منهم فخرجت الروم في
تعبية لم يكن احسن منها ولم ير المسلمون مثلها قط وخرج خالد في
تعبية لم تعبئ مثلها العرب وذلك انه لما رأى كثرة عدد الروم قال انه
ليس في التعبية تعبية اكثر في رأي العين من الكراديس فجعل القلب
كراديس حشرة واقام فيها ابا عبيدة وجعل الميمنة كراديس وعليها
عمرو بن العاص وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن ابي سفيان وجميعها
ستة وثلثون كردوسا وفي الجماعة الف رجل من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه فيهم نحو من مائة من اهل بدر وكان ابو سفيان يدور
ويحرض الناس فقال رجل لخالد ما اقل المسلمين واكثر الروم فقال
خالد بل ما اكثر المسلمين واقل الروم انما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان
لا بعدد الرجال والله لوددت ان الاشقر براء من توجيه وانهم اضعفوا
في العدد وكان فرسه قد حفي في مسيره ثم انشب القتال والتحم

الناس وتطارد الفرسان فانهم لعلى ذلك اذ قدم البريد من المدينه
فاخذته الجنود وسالوه الخبر فلم يخبرهم الا بسلامه واخبرهم عن امداد
وانما جاء بموت ابي بكر وتامير ابي عبيده فابلغوه خلدا فاخبره الخبر واسره
اليه واخبره بما قال للجند فقال قد احسنت فقف واخذ الكتاب فجعله
في كنانته وخاف ان هو اظهر ذلك ان ينتشر له امر الجند وجد خلد
في القتال وصبر الناس الى ولي العصر ايا وتضعضع الروم ونهد
خلد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم وكان مقصدهم الذي اختاروه
للقتال واسع المطرد ضيق المهرب فلما وجدت خيلهم مذهبا
ذهبوا وتركوا رجلهم في مصافهم وخرجت خيلهم تشتد بهم في
الصحرا ولما راى المسلمون خيل الروم توجهت للهرب افرجوا لها ولم
يحرجوها فذهبت متفرقه في البلاد واقبل خلد والمسلمون
على الرجل ففضوهم فكانما هدم بهم حايط فاقتحموا في خندقهم

فاقتحم عليهم فعمدوا الى الواقوصه حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم
فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشعت نفسه فيهوي
الواحد بالعشره لا يطيقونه كلما هوى اثنان كانت البقيه اضعف
فتهافت في الواقوصه عشرون ومايه الف انسان منهم ثمنون الف
مقترن واربعون الف مطلق سوى من قتل في المعركه من الخيل
والرجل وتجلل احتملك الروع واشراف من اشرافهم برانسهم وقالوا
لا نحب ان نرى يوم السو اذ لم نستطع ان نرى يوم السرور واذ لم
نستطع ان نمنع النصرانيه فاصيبوا في تزملهم وقد كان عكرمه
ابن ابي جهل في بعض جولات الروم نزل عن فرسه وقال قاتلت عن رسول
الله صلى الله عليه في كل موطن وافر اليوم ثم نادى من يبايع على
الموت فبايعه ضرار بن الازور في اربع مايه من وجوه الناس والفرسان
فقاتلوا قدام فسطاط خلد حتى اثبتوا جميعا جراحا وقتلوا الا من

بن اميهم ضرار بن وقاتل النساء يومئذ وخرجت جويرية بنت ابي
سفين وكانت مع زوجها فقاتلت شديدا وكان الاشتر ممن شهد
هذا اليوم يوم اليرموك فابلى بلاء حسنا ولما فرغ خلد من حرب
القوم نعى الى الناس ابا بكر وقال الحمد لله الذي قضى على ابي بكر الموت وكان
احب الي من عمر والحمد لله الذي ولى عمر وكان ابغض الي من
ابي بكر ثم الزمني طاعته واتبعت الهزيمة الى هرقل وهو
دون حمص وبلغه قتل اخيه مع الصاديد وعامة الخيل والرجل
فارتحل وصار الامر الى ابي عبيدة ومن عجيب ما ركبه خالد بن الوليد
في سفرته هذه التي خرج فيها من العراق لمعاونة ابي عبيدة على
الروم انه لما هزمت الروم خلد بن سعيد بن العاص وقتلوا ابنه وقتلوا
الجيش الذي معه واجتمعت الروم باليرموك قالوا والله لنشغلن
ابا بكر والعرب في انفسهم عن تورد بلادنا ثم نزلوا الواقوصة

مستعلين فبلغ ذلك ابا بكر فقال والله لانسين الروم وساوس
الشيطان بخالد بن الوليد فكتب اليه ان سر حتى تاتي جموع المسلمين
باليرموك فانهم قد شجوا بالروم وانه لم يشج الجموع من الناس بعون
الله شجيك ولم ينزع الشجا من الناس نزعك فليهنك ابا سليمان
النية والحظوة فاتمم يتمم الله لك ولا يدخلنك عجب فتخسر
وتخذل واياك ان تدل بعمل فان الله له المن وهو ولي الجزا
فاستخلف المثنى بن حارثة بالعراق فاذا فتح الله على المسلمين
الشام فارجع الى عملك بالعراق فقال خلد كيف لي بطريق
اخرج فيه من وراء جموع الروم فاني ان استقبلتها حبستني عن
غياث المسلمين فامسك عنه الناس فجمع الادلاء واهل
الخبرة كلهم فقالوا لا نعرف الا طريقا لا يحمل جيشا ياخذه
الفذ والراكب ونهوه ان يغرر بالمسلمين فعزم عليه ولم يجبه

احد الا رافع بن عميرة على تهيب شديد فقام فيهم وقال يا قوم
لا تختلفن هديكم ولا تضعفن انفسكم واعلموا ان المعونة تاتي على
قدر النية والاجر على قدر الحسبة فاجابه نفر وقالوا الخلد
انت رجل مصنوع لك فشانك فطابقوه ونووا واحتسبوا فقال
لهم رافع تزودوا للشفة لخمس وظمّوا كل ما يرد من الابل الشرف
الجلال ما يكفي به ثم سقوها العلل بعد النهل ثم صروا
آذان الابل وكعموها وخلوا ادبارها ثم ركبوا من قراقر
مفوزين الى سوى وهي الى جانبها الآخر مما يلي الشام فلما ساروا
يوما افتظوا لكل عشرة من الخيل عشرا من تلك الابل
فمزجوا ما [illegible] بما كان من الالبان ثم سقوا الخيل وشربوا
للشفة جرعا ففعلوا ذلك اربعة ايام فلما نزلوا سوى
وخشي ان يفضحهم حر الشمس نادى خالد رافعا ما عندك يا رافع

قال خير ادركتم الري وانتم على الماء وكان يشجعهم وهو متحير به رمد
ثم قال ايها الناس انظروا علمين كانهما ثديان فاتوا عليهما فقالوا علمان
فقام عليهما فقال اضربوا يمنة ويسرة لعوسجة كقعدة الرجل
فقالوا لا نرى شيئا فقال انا لله هلكتم وهلكت معكم انظروا فنظروا
فوجدوا جذمها فقالوا جذم ولا نرى شجرة فقال احفروا حيث شئتم
فاستثاروا اوشالا واحساء رواء فقال رافع ايها الامير ما وردت هذا
الماء منذ ثلثين سنة وما وردته الا مرة وانا غلام مع ابي فاغار خالد
من سوى على مصبح بهراء وانهم لغارون وناس منهم يشربون خمرا لهم
في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول

الا عللاني قبل جيش ابي بكر لعل منايانا قريب وما ندري
اظن خيول المسلمين وخالدا ستطرقكم قبل الصباح من البشر
فهل لكم في السير قبل قتالهم وقبل خروج المعصرات من الخدر

فزعموا ان مغنيهم قتل وسال دمه في الجفنة عند الغارة وقال شاعر
المسلمين

لله عينا رافع انى اهتدى   فوز من قراقر الى سوى
خمسا اذا ما سارها الجيش بكى   ما سارها قبلك انسي ارى

فلما انتهى خالد الى سوى اغار على اهله وقد خلف ثغور الروم وجنودها
مما يلي العراق فصار بينهم وبين اليرموك ثم صمد لهم الطريق حتى صار
الى دمشق ثم مرج الصفر فلقي غسان وعليهم الحارث الايهم فانتسف
عسكرهم وعيالاتهم وبعث بالاخماس الى ابي بكر ثم خرج حتى نزل مياه
بصرى وكانت اول مدينة فتحها خالد من الشام بمن معه من جنود العراق
فخرج منها فلقي المسلمين بالواقوصة في عشرة الف   ولما
تراءى العسكران بعث الفيقلار اخو ملك الروم وهو صاحب الجيش
رجلا عربيا من قضاعة وقال له ادخل في هولاء القوم فاقم فيهم
يوما وليلة ثم ائتني بخبرهم فدخل في الناس رجل عربي لا ينكر فاقام
فيهم ثم اتاه فقال له ما وراءك قال هم رهبان بالليل فرسان

بالنهار لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده ولو زنى رجموه لاقامة الحق فقال
الفيقلار لئن كنت صادقا لبطن الارض خير من لقائهم على ظهرها
فاما المثنى بن حارثة وكان من حديثه بعد خالد بن الوليد ان الفرس اجتمعوا
على شهربراز بن اردشير بن شهريار بن ابرويز وجدوه بميسان فوجه الى
المثنى جندا عظيما عليهم هرمز المعروف بجاذويه في عشرة الف
ومعه فيل فكتبت المسالح الى المثنى باقباله فخرج المثنى من الحيرة نحوه
وضم اليه المسالح وكتب شهربراز الى المثنى اني قد بعثت اليك جندا
من وحش اهل القرى انما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست اقاتلك الا
بهم فاجابه المثنى من المثنى الى شهربراز انما انت احد رجلين اما
باغ فذلك شر لك وخير لنا واما كاذب فاعظم الكاذبين فضيحة
وعقوبة عند الله والناس الملوك واما الذي يدلنا عليه الرأي
فانكم انما اضطررتم اليه فالحمد لله الذي رد كيدكم الى رعاة الدجاج

والجنازير فلما وقف الفرس على كتابه جزعوا وقالوا انما
لقي شهريراز من لؤم منشاه وقالوا له جرّات علينا عدونا بما كتبت
اليه فاذا كاتبت احدا فاستشرنا ثم التقوا ببابل فاقتتلوا
بعدوة الصراة الدنيا قتالا شديدا ثم ان المثنى وناسا من المسلمين
اعتوروا الفيل وكان يفرق بين الصفوف والكراديس فاصابوا
مقتله فقتلوه وهزموا اهل فارس واتبعهم المسلمون يقتلونهم
حتى جازوا بهم مسالحهم وطلبوا الفل حتى بلغوا المداين ومات شهريراز
منهزم هرمز جاذويه واختلف اهل فارس بعده وابطا خبر ابي بكر على
المسلمين لمرضه فخرج المثنى الى ابي بكر ليخبره خبر المسلمين وليستأذنه
في الاستعانة بمن ظهرت توبته من اهل الردة وكان امر ابو بكر
الا يستعان بهم وليخبره انه لم يخلف احدا انشط لقتال فارس
ومعونة المهاجرين منهم فقدم المدينة واستخلف على عساكره بشير بن الخصاصية

فوجد ابا بكر رضي الله عنه مريضا مرضه الذي مات فيه فاخبره الخبر فدعا
ابو بكر عمر وكان قد عقد له فقال يا عمر اسمع ما اقول لك ثم اعمل
عليه اني لاظن اني اموت من يومي هذا وذلك يوم الاثنين فان انا مت
فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت
عن امر دينكم ووصية ربكم وقد رايتني متوفى رسول الله صلى الله عليه
وما صنعت ولم يصب الخلق بمثله وبالله لو اني اني عن امر الله لخذلنا
ولاضطرمت المدينة نارا وان فتح الله على امرائنا فاردد اصحاب خالد
الى العراق فانهم اهله وولاة حده واهل الضراوة بهم والجراءة عليهم
ومات ابو بكر رضي الله عنه مع الليل وندب عمر الناس مع المثنى
وقال عمر كان ابا بكر علم انه يسوئني ان اؤمر خالدا على العراق حين امره
بصرف اصحابه وترك ذكره وتشاغل اهل فارس فيما بينهم عن
ازالة المسلمين عن السواد فيما بين سلطنة ابي بكر الى قيام عمر ورجوع

المثنى مع ابي عبيد الى العراق وكان جمهور جند العراق بالحيرة والمسالح
بالسيب والغارات تنتهي بهم الى شاطي دجلة ودجلة حجاز بين العرب
والعجم

اسماء كتاب ابي بكر رضي الله عنه

كتب لابي بكر رضي الله عنه عثمن بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم
وحنظلة بن الربيع فلما استخلف عمر كان اول ما تكلم به عزل خلد بن الوليد
وكتب الى ابي عبيدة بتاميره عليه وقال له ادع خلدا فان اكذب نفسه في
حديث تكلم به خلد فهو امير على ما هو عليه وان لم يكذب نفسه فانت
الامير ثم انزع عمامته عن راسه وقاسمه ماله نصفين فلما ذكر
ذلك ابو عبيدة لخلد قال انظرني استشير في امري ففعل ابو عبيدة
فدخل خلد على اخته فاطمة بنت الوليد وكانت عند الحرث بن هشام
فذكر لها الحديث فقالت والله لا يحبك عمر ابدا وما يريد الا ان تكذب
نفسك ثم ينزعك فقبل راسها وقال صدقت وتم على امره وابى

ان يكذب نفسه فقام بلال مولى ابي بكر فقال ما امرت به في خلد
قال امرت ان انزع عمامته واقاسمه ماله ففعل وقاسمه ماله حتى
بقيت نعلاه فقال ابو عبيدة ان هذا لا يصلح الا بهذا فقال خلد
اجل وما انا بالذي اعصي امير المومنين فاصنع ما بدا لك فاخذ نعلا
واحذاه نعلا ان ثم قدم خلد المدينة على عمر وكان كلما مر عمر خلد
قال يا خلد اخرج مال المسلمين من تحت استك فيقول والله ما عندي
مال لهم فلما اكثر عليه عمر قال له خلد يا امير المومنين فيما اصبت
في سلطانكم اربعون الف درهم قال عمر قد اخذت ذلك منك قال هو لك
قال فاخذ منه ولم يكن لخلد مال الا عدة ورقيق فحسب ذلك فبلغت قيمته
ثمنين الف درهم فناصفه عمر على ذلك واعطاه اربعين الف درهم
واخذ ماله فقيل يا امير المومنين لو رددت على خلد ماله فقال
انما انا تاجر للمسلمين والله لا ارده عليه ابدا فكان عمر يرى انه قد

قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك ○ وكان خالد قبل ان يقضى
حرب الروم على مقدمة خيل ابى عبيدة وهو الذى فتح دمشق بين الملكة
وكان من حديثه ان عمر كاتب المسلمين عندما هزموا الروم باليرموك
ان يقصدوا الى دمشق فانها مفزع الروم وان يشغلوا اهل فحل
وفلسطين واهل حمص بخيل تكون بازائهم فان فتحها الله قبل دمشق
فذاك وان تاخر فتحها حتى تفتح دمشق فلينصرف ابو عبيدة وخالد
الى حمص وعمرو الى فلسطين وكان ابو عبيدة بعث ذا الكلاع
ليكون بين دمشق وحمص ردا ففعل ابو عبيدة ما امره عمر وقدم
خالدا وهرقل يومئذ بحمص فحاصر اهل دمشق حصارا شديدا
نحوا من سبعين ليلة وقاتلوهم بالمجانيق وهم معتصمون بالمدينة
يرجون الغياث من هرقل وجاءت خيول هرقل مغيثة لاهل دمشق
فاشجتها خيول ذى الكلاع وشغلتها عن الناس فلما ايقن اهل

دمشق ان الامداد لا تصل اليهم فشلوا وطمع فيهم المسلمون
وكانوا يرون انها كالغارات قبل ذلك اذا هجم البرد قفل الناس فسقط
النجم والقوم مقيمون فعند ذلك انقطع رجاؤهم وندموا على
دخول دمشق ○

وكان من الاتفاق الجيد للمسلمين

ان ولد للبطريق الذى على اهل دمشق مولود فصنع عليه طعاما فاكل
القوم وشربوا وغفلوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك احد من المسلمين
الا ما كان من خالد فانه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه شىء من امورهم
عيونه ذاكية وجواسيسه متفرقة وهو معنى بما يليه وكان ذلك الجانب
من المدينة الى قومه وكان قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم واوهاقا
فلما امسى ذلك اليوم وعرف خبر القوم نهد هو ومن معه من جنده
الذين قدم بهم وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدى

وامثالهم من اصحابه في اول نومهم وقالوا اذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا الينا وانهدوا للباب فلما انتهى الى الباب الذي يليه هو واصحابه المتقدمون رموا الحبال الشرف وعلى ظهورهم القرب التي قطعوا بها خندقهم فلما ثبت لهم وهقان تسلق فيهما القعقاع ومذعور ثم لم يدعا احبولة الا اثبتاها والاوهاق بالشرف وكان المكان الذي اقتحموا منه احصن مكان بدمشق اكثره ماء واشده مدخلا ولم يبق ممن خرج مع خالد تلك الليلة احد الا رقي او دنا من الباب حتى اذا استووا على السور حدر عامة اصحابه وانحدر معهم وخلف من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي وامرهم بالتكبير فكبر الذين على السور فنهد المسلمون الى الباب ومال الى الحبال بشر كثير فوثبوا فيها وانتهى خالد الى اول من يليه فاناموهم وانحدر الى الباب فقتل البوابين وثار اهل المدينة وفزع سائر الناس فاخذوا مواقفهم ولا يدرون

ما الشان وتشاغل اهل كل ناحية بما يليهم وقطع خالد بن الوليد ومن معه اغلاق الباب بالسيوف وفتحوا للمسلمين فاقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل الا ابير ولما شد خالد على من يليه وبلغ منهم ما اراد عنوة وارز من افلت الى اهل الابواب التي تلي غيره دعوا المسلمين الى الصلح فاجابوهم وقبلوا منهم ولا يدرون بما كان من خالد ففتحوا لهم الابواب وقالوا ادخلوا وامنعونا من اهل ذلك الباب فدخل اهل كل باب بصلح مما يليهم ودخل خالد مما يليه عنوة فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضا وانتهابا وهذا صلحا وتسكينا فاجروا ناحية خالد مجرى الصلح ن ولما فرغ المسلمون من فتح دمشق ساروا الى فحل وبيسان والاغوار فافتتحوها بعد شدائد وباس كثير. فاما خبر ما بين فتح عمر بن الخطاب الناس مع المثنى بن حارثة وقد ذكرنا فيما تقدم قدوم المثنى على ابي بكر

ووصاه ابي بكر عمر به فلم يندب احد مع المثنى وذلك ان هذا الوجه
اعني فارس كانت اكره الوجوه الى الناس لشدة باس الفرس وعظم شوكتهم
وقهرهم الامم فكان المثنى يحرض الناس ويقول ايها الناس انا قد غلبناهم
على نصف السواد وقد ضرى من قبلنا واجترانا عليهم ولنا من بعد ما بنظره
المسلم من الكافر وقام عمر في الناس فخطبهم وحضهم واذكرهم وعد
الله في كتابه ان يورثهم الارض وقوله عز وجل ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون ان عباد الله الصالحون فكان اول من انتدب
ابو عبيد ابن مسعود الثقفي وقال انا لها ثم سليط بن قيس فلما اجتمع
ذلك البعث قيل لعمر امر عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين
والانصار قال لا والله لا افعل انما رفعكم الله بسبقكم الى الجهاد
وسرعتكم الى العدو فاذا جبنتم وكرهتم اللقا واثاقلتم الى الارض
فاولى بالرياسة منكم من سبق الى الدفع واجاب الى الدعا

لا والله لا اومر عليهم الا اولهم انتدابا ثم دعا ابا عبيد فامره وقال له
اسمع من اصحاب رسول الله صلى الله عليه واشركهم في الامر ولا تسرعن
حتى تتبين فانها الحرب والحرب لا يصلح لها الا الرجل المكيث الذي يعرف
الفرصة وقال لابي عبيد انه لم يمنعني ان اومر سليطا الا سرعته الى الحرب
وفي التسرع الى الحرب ضياع الا عن بيان ::   فقدم ابو عبيد ومعه
المثنى حارثه وقد استخرج الفرس يزدجرد وكانت بوران عدلا فيما بينهم
لما اقتتلت الفرس وقتل الفرخزاذ بن البندوان وكان سياوخش قدم
فقتل آزرمي دخت وذلك في غيبة المثنى وكان شغل الفرس طول غيبته
فيما بينهم وكانت بوران دعت رستم وشكت اليه تضعضع فارس
ودعته الى القيام بامرهم وتوجته فقال رستم انا عبد سامع مطيع
فولته امر فارس وحربها وامرت فارس ان يسمعوا له ويطيعوا
فقتل رستم سياوخش ودانت له الفرس وذلك بعد قدوم ابي عبيد ثم ان عمر

لما فصل المثنى وابو عبيد ليستعجلها وقال لهما النجا النجا بمن معكم
فانى ممدكم بالناس ثم ندب اهل الردة واذن لهم في الغزو ورمى
بهم العراق والشام فقدم المثنى قبل ابي عبيد بنصف شهر ونزل
خفان لئلا يؤتى من خلفه بشيء يكرهه وكتب رستم الى دهاقين
السواد ان يثوروا بالمسلمين ودس في كل رستاق رجلا ليثور باهله
وبلغ ذلك المثنى وعجل جابان وكان اجتمع اليه بشر كثير بالنمارق
ولحق ابو عبيد فاجم الناس ثم تعبى فجعل المثنى على الخيل وعلى الميمنة
والميسرة فنزلوا على جابان بالنمارق فقاتلهم قتالا شديدا ثم انهزم
جابان فاسر وكان آمنه من اسره فخلى عنه ابو عبيد فاخبروه انه
ملك واشاروا بقتله فابى ابو عبيد وقال ان المسلمين في التوادّ والتناصر
كالجسد الواحد ما لزم بعضهم فقد لزم كلهم قالوا انه الملك قال وان
كان لا اغدر فتركه وقسم الغنائم وكان فيها مال وعطر

كثير وبعث بالاخماس الى عمر ... وثار نرسي بكسكر وكان رستم
لعره بذلك ونرسي هذا ابن خالة كسرى وكانت كسكر قطيعة له وكان النرسيان
له يحميه لا ياكله ولا يشربه ولا يغرسه غير آل كسرى الا من اكرموه بشيء
منه ... فلما انهزمت الفرس يوم النمارق اجتمعت الفالّة الى نرسي
وهو في عسكره ونادى ابو عبيد بالرحيل وقال للمجردة اتبعوا الفالّة
حتى تدخلوهم عسكر نرسي او تبيدوهم ومضى ابو عبيد حين ارتحل من النمارق
حتى نزل على نرسي بكسكر ونرسي يومئذ باسفل كسكر والمثنى معه في تعبيته
التي قاتل فيها جابان ونرسي على مجنبتيه ابنا خاله وهما ابنا خال كسرى بندويه
وبيرويه ابنا بسطام واهل باروسما ونهر جوبر والزوابي معه الى جنده
وكان قد اتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان فبعثوا الجالنوس وبلغ ذلك
نرسي ومن معه فرجوا ان يلحق قبل الوقعة وعاجلهم ابو عبيد فالتقوا
باسفل من كسكر في مكان يدعى السقاطية فاقتتلوا في صحارى ملس قتالا

شديدا ثم انهزم نرسي وقتل اصحابه وغلب على عسكره واخذ وجمع
ابو عبيد الغنائم وهناك رأى المسلمون من الاطعمة ما لم يروا
مثله واخذت خزائن نرسي فلم يكونوا بشيء افرح منهم بالنرسيان
لانه كان حمى فاقتسموه وجعلوا يطعمونه الفلاحين وبعثوا الخمسة
الى عمر وكتبوا اليه ان الله اطعمنا مطاعم كانت الاكاسرة يحمونها
واحببنا ان تروها وتذكروا انعام الله وافضاله واقام ابو عبيد وسرح
المثنى الى باروسما وعاصما الى نهر جوبر فاخربوا وسبوا وهرب ذلك الجند
الى الجالنوس وسار ابو عبيد واستقبله الجالنوس فنهد اليه ابو عبيد في المسلمين
على تعبيته فهزمهم المسلمون وهرب الجالنوس واقام ابو عبيد قد غلب على
تلك البلاد :. ولما رجع الجالنوس الى رستم ومن افلت معه قال رستم اي
العجم اشد على العرب قال بهمن جاذويه وهو ذو الحاجب فوجهه
ومعه فيلة ورد معه الجالنوس وقال له تقدم الجالنوس فان عاد لمثلها

فاضرب عنقه فاقبل بهمن جاذويه ومعه درفش كابيان وكانت من جلود
النمر عرض ثماني اذرع في طول اثني عشر ذراعا واقبل ابو عبيد فنزل
المروحة موضع البرج والعاقول فبعث اليه بهمن جاذويه اما ان
تعبروا الينا وندعكم والعبور واما ان تدعونا نعبر اليكم فقال الناس
لا تعبر يا ابا عبيد ننهاك عن العبور قل لهم فليعبروا وكان من اشد
الناس عليه في ذلك سليط فلج ابو عبيد وقال لا يكونون اجرأ على الموت
منا بل نعبر اليهم فعبروا اليهم في منزل ضيق المطرد فاقتتلوا يوما
حتى اذا كان آخر النهار واستبطأ رجل من ثقيف الفتح الف بين الناس
فتصافحوا بالسيوف واسرعت السيوف في اهل فارس واصيب
منهم ستة آلاف في المعركة ولم يبق الا الهزيمة فحمل ابو عبيد على
الفيل وضربه فخبط الفيل ابا عبيد وقام عليه وجال المسلمون
جولة ثم تموا عليها وركبهم اهل فارس

فكان من خطا الراي العجز لمنقبه

ان بادر رجل من ثقيف الجسر فقطعه فانتهى الناس اليه والسيوف
تاخذهم من خلفهم وفيها عنزا في الفرات فاصابوا يومئذ من المسلمين
اربعة الف بين غريق او قتيل وحمى الناس المثنى وعاصم بن عمرو
وقد كان سليط كما قدمنا الخبر عنه يناشد ابا عبيد مع وجوه الناس
ويقولون ان العرب لم تلق مثل جنود فارس وقد حفلوا لنا
واستقبلونا من الزهاء والعدة بما لم يلقنا به قبل وقد نزلت منزلا
لنا فيه مجال ومرجع من فرة الى كرة فقال لا افعل جبنت والله
يا سليط فقال سليط انا والله اجرأ منك نفسا وقد اشرنا عليك بالراي
فستعلم وكانت امراة ابي عبيد رات رؤيا وهو بالمروحة ان رجلا
نزل من السما باناء فيه شراب فشرب ابو عبيد وابنه وجماعة من اهل
بيته فاخبرت ابا عبيد فقال هذه الشهادة وعهد ابو عبيد الى

الناس فقال ان قتلت فعلى الناس فلان فان قتل فعليهم فلان الى ان
امر الذين شربوا من الاناء على الولاء ثم قال ان قتل ابو القسم فعليكم المثنى
ثم نهد بالناس وعبر وعضلت الارض باهلها والتحمت الحرب فلما
نظرت الخيول الى الفيلة عليها النخل والخيل عليها التجفاف والفرسان
عليهم الشعر رات شيا منكرا لم تر مثله فجعل المسلمون اذا حملوا
لم تقدم خيلهم واذا حملوا على المسلمين بالفيلة والجلاجل فرقت
بين كراديسهم لا تقوم لها الخيل الا على نفار وخزقهم الفرس
بالنشاب وعض المسلمين الالم فترجل ابو عبيد وترجل معه الناس
فصافحوهم بالسيوف فصارت الفيلة اذا حملت دفعتهم فنادى
ابو عبيد احتوشوا الفيلة وقطعوا بطنها واقلبوا عنها اهلها
وواثب هو الفيل الابيض فتعلق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه
وفعل القوم مثل ذلك فما تركوا فيلا الا حطوا رحله وقتلوا

الجلاجل

اصحابه واهوى الفيل لابي عبيد فنفح مشفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده ووقع
فخبطه الفيل واخذ اللوا الذي كان امره بعده فقاتل الفيل حتى تنحى عنه
فاجتره الى المسلمين واحرزوا شلوه ثم حمل على الفيل فاتقاه بيده دابة ابي عبيد
وخبطه وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف كلهم ياخذ اللوا فيقاتل
حتى يموت ثم اخذ اللوا المثنى وهرب عنه الناس فلما راى عبد الله بن مرثد الثقفي
ما يصنع الناس بادرهم الى الجسر فقطعه فلما توافاه الناس تهافتوا في الفرات
فغرق من لم يصبر وقتل من صبر وهذا الخبر تصديق للذي حدث
قال ان المنهزم لا يرده شيء وحمى المثنى وجماعة من فرسان المسلمين ونادى
ايها الناس انا دونكم فاعبروا وعقد لهم الجسر وقال لا تدهشوا فانا
على هيئتكم فانا لن نبرح الموضع ولن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب واتي
بعبد الله بن مرثد وكان يمنع الناس من العبور فضربه المثنى وقال ما حملك
على ما فعلت قال ليقاتلوا فلما ضمت السفن وعبر الناس كان اخر

من قتل عند الجسر سليط بن قيس وعبر المثنى وحمى جانبه واضطرب عسكره
وارفض عنه اهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم فنزلوا البوادي
وبقي المثنى في قلة ودرأهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم لاعتراض الفرات وقطع
الجسر وهلك يومئذ من المسلمين اربعة الاف من بين قتيل وغريق وهرب
الفان وبقي مع المثنى ثلثة الاف وكان الجميع كانوا تسعة الف : وجرح المثنى
جراحة شديدة واثبت فيه حلق من درعه هتكهن الرمح : ولما بلغ
عمر ما صنعه اهل المدينة واخبر عمن سار في البلاد استحيا من الهزيمة
اشتد عليه ورحمهم وقال اللهم ان كل مسلم في حل مني انا فئة كل مسلم
يرحم الله ابا عبيد لو انحاز الي لكنت فئة له فبينا ذو الحاجب يروم
ان يعبر الى المسلمين اتاه الخبر باضطراب الفرس فرجع بعد ان ارفض عنه
جنده واتاه الخبر ان الناس بالمداين ثاروا برستم ونقضوا ما بينهم وبينه
وصاروا فرقتين الفهلوج على رستم واهل فارس على الفيرزان

ثم ان جابان ومردانشاه خرجا حتى اخذا بالطريق وهم يرون انهم سيرفضون
ولا يشعرون بما جاء الخاجب من فرقد اهل فارس وبلغ المثنى فعلة
جابان ومردانشاه فاستخلف على الناس عاصم بن عمرو وخرج في
جريدة خيل يريدهما وظنا انه هارب فاخذهما اسيرين وخرج اهل اليس
على اصحابهما فاتوه بهم اسرى وعقد المثنى لهم بها ذمة وقدمهما فضرب
اعناقهما واعناق الاسرى ثم رجع الى عسكره وكان جرير بن عبد الله البجلي
يسأل قديما في بجيله ان يلتقط من القبايل وكان النبي صلى الله عليه
وعده ذلك فلما ولي عمر دعاه بالبينة فاقامها وكتب له الى عماله
في العرب كلها من كان فيه احد ينسب الى بجيلة في الجاهلية وثبت عليه
في الاسلام يعرف ذلك فاخرجوه الى جرير فلما اعطى جرير حاجته
في استخراج بجيله من الناس وجمعهم اخرجوا الى المثنى مددا له وكتب عمر
يستنفر الناس من اهل الردة وغيرهم فلم يرد عليه احد الا رمى به المثنى

وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من الممدين فتوافوا اليه في جمع
عظيم وبلغ رستم والفيرزان ذلك واتتهم العيون به وبما ينتظرون
من الامداد فاجتمعا على ان يبعثا بمهران الهمذاني حتى يريا من رايهما فخرج
لديهما فخرج مهران في الخيول وامره بالحيرة وبلغ المثنى الخبر وهو
معسكر بين القادسية وخفان في الذين امدوه من العرب فاستبطن
فرات بادقلى وارسل الى جرير وعصمة والى كل قائد اظله انه جاءنا
امر لم نستطع معه المقام حتى نقدموا علينا فعجلوا اللحاق بنا وموعدكم
البويب وسلك المثنى وسط السواد وسلك جرير على الجوف ومن
كان معه حتى انتهوا الى المثنى وهو على البويب ومهران من وراء الفرات
بازائه وكان عمر عهد اليهم الا يعبروا بحرا ولا جسرا الا بعد ظفر
فاجتمعوا بالبويب واجتمع العسكران على شاطئ البويب الشرقي
وكان البويب مغيضا للفرات ايام المدود ازمان فارس يصب في الجوف

السلم ويقول لا تفضحوا المسلمين اليوم فقالوا نعم واعتدلوا
وكانوا يرونه قبل ذلك وهو يمد لحيته لما يرى منهم فلما اعتبوه راوه يضحك
فرحا فلما طال القتال نظر المثنى الى نفر من التغلبيين نصارى وفيهم
جلاب خيل قدموا مع انس بن هلال فقال يا انس انك امرؤ عربي وان
لم تكن على ديننا فاذا رايتني قد حملت على مهران فاحمل معي وقال لابن مردى
الفهر مثل ذلك فاجابوه اليه فحمل المثنى على مهران حتى ازاله فدخل
في ميمنته ثم خالطوهم واجتمع القلبان وثار الغبار والمجنبات تقتتل
لا يفرغون لنصر اميرهم ولا يستطيعون ذلك لا المشركون ولا المسلمون
وقتل غلام تغلبي نصراني مهران ووقف المثنى عند ارتفاع الغبار
حتى اسفر وقد فني قلب المشركين واما المجنبات فهي بحالها فجعل المثنى
يدعو لهم ويرسل اليهم من يذمرهم ويقول المثنى عاداتكم في امثالهم
حتى هزموهم فسابقهم المثنى الى الجسر فسبقهم واخذ الاعاجم

يفترقون بشاطئ الفرات مصعدين ومصوبين واعتورتهم خيول
المسلمين فجعلوهم جثا فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت ابقى رمة
منها كانوا يحزرون فيها مائة الف وما عفى عليها الا دفان البيوت
فحكى اهل تلك الناحية انهم كانوا ياتون البويب فيرون فيما بين موضع
السكون اليوم وبني سليم عظاما بيضا تلولا تلوح من هامهم واوصالهم
يعتبر بها وسمي يوم البويب يوم الاعشار احصي مائة رجل قتل كل واحد
منهم عشرة يومئذ وندم المثنى على اخذه بالجسر وقال لقد عجزت
عجزة وقى الله شرها بمسابقتي القوم الى الجسر حتى احرجتهم واني
غير عائد فلا تعودوا ولا تقتدوا بي ايها الناس فانها كانت زلة
ولا ينبغي احراج احد الا من لا يقوى على امتناع وكان المثنى اصاب نزل
مهران غنما وبقرا ودقيقا فبعثوا بها الى عيالات الناس وكانوا
خلفوهن بالقوادس مع عمرو وعبد المسيح بن بقيلة فلما رفعوا للنسا

ثم ابن الخيل تصايحن وحسبتها غارة فقمن دون الصبيان بالحجارة والعمد
فقال عمر وهكذا ينبغي لنسا هذا الجيش ان يكن وبشرهن بالفتح وعقد المثنى
الجسر وسرح في طلب المنهزمين من اصحاب الجسر فادركوهم واغنموا غنيمة كثيرة وتبعوهم
وكتب القواد والروسا منهم الى المثنى ان الله سلم ووجه لنا ما رايت وليس
دون القوم شي فاذن لنا في الاقدام فاذن لهم فاغاروا حتى بلغوا ساباط
وتحصن منهم اهل ساباط واستمكنوا من الغارة على من بينهم وبين دجله
فمخروها لا يخافون كيدا وانفضت مسالح العجم فرجعت اليهم واعتصموا بساباط

ثم ان المثنى بلغه خبر قرية بها تجار مداين كسرى والسواد ويجتمعون
بها في كل سنة مرة ومعهم فيها من الاموال كبيت المال وتلك ايام سوقهم
فاستدعى المثنى من يثق به من اهل الحيرة فاستشاره فقال له ان انت
قدرت ان تغير عليهم وهم لا يشعرون اصبت منها مالا فيه غنى المسلمين
دهرهم وقووا على اعدايهم ابدا ما عاشوا وبينها وبين مداين كسرى

قال بعض يوما وعامة يوم قال فكيف لي بها قالوا انشير عليك ان تاخذ
طريق البر حتى تنتهي الى الخنافس فان اهل الانبار يضربون اليها ويخبرونك
فيامنون وتاخذها في الانبار بالادلا وتسير سواد ليلك حتى تاتيهم صبحا
فتصبحهم غارة ففعل المثنى ذلك فلما انتهى الى الانبار تحصن منه صاحبها
وهو لا يدري من هو وذلك ليلا فلما عرفه نزل اليه فاطمعه المثنى وخوفه
واستكتمه وساله الادلا الى بغداد حتى تعبر منها الى المداين قال انا اجي
معك قال لا اريدك معي ابعث معي من هو ادل منك فزودهم الاطعمة
والاعلاف وبعث معهم الادلا فساروا فلما كانوا بالنصف قال المثنى
كم بيني وبين هذه القرية بغداد قال خمسة فراسخ فندب من اصحابه
جماعة للحرس وبعث طلايع فحبسوا الناس لئلا يسبق الخبر وقال
ايها الناس اطعموا وتوضوا وتهيوا ثم سرى اخر الليل فصبحهم في اسواقهم
فوضع فيهم السيف فاخذوا ما شاوا وقال المثنى لا تاخذوا الا الذهب

والفضة والجيد من كل شيء ثم انكفأ راجعا حتى نزل بنهر السيلحين
بالأنبار فسمع همسا فيما بين الناس يقولون ما أسرع القوم في طلبنا فخطبهم
وقال أيها الناس احمدوا الله وتناجوا بالبر والتقوى ولا تناجوا بالإثم
والعدوان انظروا في الأمور وقدروها ثم تكلموا ما بلغ النذير
مدينتهم بعد ولو بلغهم لحال الرعب بينهم وبين طلبكم إن للغارات
روعات تنتشر عليها يوما إلى الليل ولو طلبكم المحامون من رأي العين
ما أدركوكم وأنتم على العراب حتى تنتهوا إلى عسكركم وجماعتكم ولو أدركوكم
لقاتلتهم ورجوت النصر والأجر فثقوا بالله وأحسنوا به الظن فقد
نصركم الله عليهم في مواطن كثيرة وهم أعد منكم وسأخبركم
عني أن أبا بكر أوصانا أن نقلل العرجه ونسرع الكرة في الغارات
ثم أقبل بهم ومعهم الأدلاء حتى انتهى بهم إلى الأنبار ثم إن المثنى أغار
على حي من تغلب على دجلة وعلى قوم كانوا بتكريت وأصابوا ما شاؤوا

من النعم فقال أهل فارس لرستم والفيرزان إنه لم يبرح بكما الاختلاف
حتى أوهنتما أهل فارس وأطمعتما فيهم عدوهم ولم يبلغ من خطركما
أن نقركما على هذا الرأي وأن تعرضاها للهلكة ما بعد بغداد
وساباط وتكريت إلا المدائن والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت
شامت ونشتفي نفوسنا منكما فاجتمع رستم والفيرزان عند بوران وقالوا
لها اكتبي لنا نساء كسرى وسراريه ففعلت فأرسلوا في طلبهن فلم تبق امرأة
إلا أتوا بها فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلون على
ذكر من أبناء كسرى فلم يوجد عندهن منهم أحد فقالت إحداهن لم يبق إلا
غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن ابرويز وأمه من أهل
بادوريا فأرسلوا إليها فأخذوها به وكانت قد أنزلته حين جمعهن في القصر
الأبيض وقتل الذكور إلى أخواله وكانت واعدتهم ثم دلته إليهم في زبيل
فلما أخذوا أمه به دلتهم عليه فأرسلوا فجاؤوا به فملكوه وهو ابن إحدى

وعشرين سنة واجتمعوا عليه واطمانت فارس واستوسقوا وتبارى
الرؤساء في طاعته ومعونته فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى او موضع
ثغر فسمى جند الحيرة وجند الانبار والابلة والمسالح واظهروا الجد
والنصيحة وبلغ ذلك من امرهم واجتماعهم المثنى والمسلمين فكتبوا الى عمر
بما ينتظرون منهم فلم يصل الكتاب الى عمر حتى كفر اهل السواد كلهم
من كان له عهد ومن لم يكن له عهد فكتب عمر اليهم اما بعد فاخرجوا
من بين ظهري الاعاجم وتفرقوا في المياه التي تليهم على حدود ارضهم ولا تدعوا
في ربيعة احدا ولا مضر ولا حلفائهم من اهل النجدات ولا فارسا الا اجتلبتموه
فان جاء طائعا والا حشرتموه احملوا العرب على الجد اذا جد العجم
فنزل المثنى بذي قار ونزل الناس بالجل وبشراف الى غضي وغضي جبل البصرة
وكانوا في امواه العرب من اولها الى آخرها مسالح ينظر بعضهم الى بعض
ويغيث بعضهم بعضا ان كان كون وذلك في ذي القعدة سنة ثلث عشرة

للهجرة   وكتب عمر الى عمال العرب على الكور والقبائل الا تدعوا
احدا له سلاح او فرس او نجدة الا انتخبتموه ثم وجهتموه الي والعجل
العجل فمضت الرسل ووافاه هذا الضرب من القبائل واخبروه عمن
وراءهم بالحث والجد وخرج عمر في اول يوم من المحرم سنة اربع عشرة
حتى نزل على ماء يدعى صرارا فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد وكان عثمن احفا
عليه فقال له ما بلغك ما الذي تريد فنادى الصلاة جامعة فاجتمع اليه الناس
فاخبرهم الخبر ثم نظر ما يقول الناس فقال العامة سر وسر بنا معك
فدخل معهم في رايهم وكره ان يدعه حتى يخرجهم منه في رفق فقال
استعدوا واعدوا فاني سائر الا ان يجي راي هو امثل من ذلك ثم جمع اهل
الراي ووجوه اصحاب النبي صلى الله عليه فقال احضروني الراي فاجمع ملوهم
ان يقيم ويبعث رجلا من اصحاب رسول الله ويرميه بالجنود فنادى عمر
الصلاة جامعة فاجتمع اليه الناس وارسل الى علي وكان استخلفه

على المدينة فأتاه وإلى طلحة وكان على مقدمته فرجع إليه وإلى الزبير
وعبد الرحمن بن عوف وكانا في المجنبتين ثم قام فيهم فقال إن الله جمع على
الإسلام أهله فألف بين القلوب وجعلهم فيه إخوانا فالمسلمون
فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء مما أصاب غيره وكذلك يحق على
أن يكونوا وأمرهم شورى بينهم فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ما اجتمعوا
عليه ورضوا به وما رآه أولوا الرأي لزم الناس وكانوا فيه تبعا فمن قام
بهذا الأمر فهو تبع لأولي الرأي أيها الناس إني إنما كنت كرجل منكم حتى
صرفني ذووا الرأي عن الخروج فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلا وقد أحضرت
هذا الأمر من قدمت ومن خلفت يعني عليا وطلحة وكان طلحة ممن تابع
وعبد الرحمن ممن نهاه وقال بأبي أنت وأمي قال عبد الرحمن فما فديت أحدا
بأبي وأمي بعد النبي صلى الله عليه غيره وقلت اجعل عجزها بي وأقم
وابعث جندا فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك فإن يهزم جيشك

فليس كهزيمتك وإنك إن تقتل أو تهزم في أنف الأمر خشيت على المسلمين
قال عمر فأشيروا علي برجل قال عبد الرحمن وجدته وكان ورد كتاب سعد بن أبي وقاص
وهم في تلك الحال جوابا عن كتاب عمر إني قد انتخبت لك ألف فارس كامل
كلهم له نجدة ورأي وصاحب حيطة يحوط حريم قومه ويمنع ذمارهم
إليه انتهت أحسابهم ورأيهم فشأنك بهم ووافق كتابه مشورتهم وقال
عبد الرحمن وجدته لك قال من قال الأسد عاديا سعد بن مالك فأرسل
إليه فقدم فأمره على حرب العراق وأوصاه وقال يا سعد سعد بني وهيب
لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله وصاحب رسول الله فإن الله لا
يمحوا السيئ بالحسن وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته
فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء الله ربهم وهم عباده
يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة فانظر الأمر الذي رأيت
رسول الله صلى الله عليه منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه فإنه الأمر

يعني لا يمحوا السيئ [illegible]

بعده عظى اباك ان تركتها ورغبت عنها حبط عملك ولكنت من الخاسرين
فسار سعد ومات المثنى من انتقاض جراحته قبل ان يصل اليه سعد وذاك
ان جراحه كان ينتقض ويبرا حتى مات وقدم سعد فاغار فيما يليه ولم
يزل كذلك الى ان الح يزدجرد على رستم وقال لابد ان تلى حرب العرب
بنفسك فخرج رستم في العدة والعديد والخيول والفيول وراسله
سعد بالمغيرة بن شعبة وغيره من دهاة العرب واصحابه من ذوى الهيات
والآراء وجرت بينهم مخاطبات لا تجربه فيها ولا فايده في المستانف فتركنا
ذكرها الى ان صافهم رستم وعبر اليهم وكان في القلب الذى فيه رستم
ثمانية عشر فيلا عليها الصناديق والرجال وفي المجنبتين ثمانية وسبعة
عليها الصناديق والرجال واقام الجالنوس بينه وبين ميمنته والفيرزان
بينه وبين ميسرته وبقيت القنطرة بين خيلين من خيول المسلمين والمشركين
وكان يزدجرد وضع بينه وبين رستم رجالا اولهم على باب ايوانه والآخر

على دعوة منه حيث يسمعه و آخر كذلك الى ان انتظم بينه وبين رستم
بالرجال فلما نزل رستم بساباط قال الرجل الذى بساباط نزل وقال الذى يليه
ثم الذى يليه حتى يقوله من يلى الايوان فيسمعه يزدجرد وكان كلما ارتحل
او نزل او حدث امر جرى الامر فيه على ما شرحته وترك البرد وكان ذلك
شانه الى ان انقضى الحرب . وكان بسعد حبوب وخراجات يومئذ .
لا يستطيع ان يركب فانما هو على وجهه في صدره وسادة وهو مكب
عليها مشرف على الناس من القصر يرمى بالرقاع فيها امره ونهيه الى خالد بن عرفطة
وكان الصف الى جانب القصر فشغب قوم من وجوه الناس على سعد لم
يرضوا بما صنع خالد فهم بهم سعد وشتمهم ثم خطبهم واعتذر اليهم
فرضوا وامر الرؤسا حتى خطبوا فيمن يلونهم ففعلوا وتحاضوا وتواصوا.
فاما الفرس فانهم تعاهدوا وتواصوا واقترنوا بالسلاسل وكان
المقترنون ثلثين الفا وجملتهم مايه وعشرون الفا في ثلثين فيلا عليها المقاتلة

وقبله عليها الملوك ووقوف لاتقاتل وامر سعد فقرئ سورة الجهاد
وقال سعد اني مكبر فاذا سمعتم التكبيرة الاولى فشدوا شسوع نعالكم
فاذا كبرت الثانية فتهيئوا فاذا كبرت الثالثة فشدوا النواجذ على
الاضراس واحملوا فلما فرغ القراء كبر سعد وكبر الناس ثم ثنى فتهيأ الناس
ثم ثلث فبرز اهل النجدات فانشبوا القتال وخرج امثالهم من اهل فارس
فاعتوروا الضرب والطعن وخرج هرمز الى غالب عبد الله وكان هرمز
من ملوك الباب متوجا فاسره غالب اسرا وجاء به الى سعد
فادخل وانصرف الى المطاردة فبينا الناس ينظرون التكبيرة الرابعة
قام صاحب رجالة بني نهد فقال يا بني نهد انما سميتم نهدا لتفعلوا فبعث
اليه سعد خلد عرفطة والله لتكفن او لاولين عملك غيرك ولما
تطاردت الفرسان خرج رجل ينادي مرد ومرد فانتدب له عمرو بن معدي كرب
فرماه الفارسي بنشابة فما اخطات سية قوسه وكان منكبها فحمل عليه

عمرو فاعتنقه ثم اخذ منطقته فاحتمله فوضعه بين يديه ثم جاء به
حتى اذا دنا منا كسر عنقه ثم وضع سيفه على حلقه فذبحه ثم القاه ثم قال
لنا هكذا فاصنعوا بهم انما الفارسي اذا فقد قوسه تيس فقلنا يا ابا ثور
من يستطيع ان يصنع كما تصنع ۝ وخرج الى طليحة عظيم منهم
فبارزه فما لبثه طليحة ان قتله وقام الاشعث بن قيس فقال يا معشر
كندة لله در بني اسد اي فري يفرون واي هذ يهذون وكذلك
كانوا لانهم حبسوا الفيلة بالضرب والطعن يا معشر كندة الا تنظرون
من يليهم الناس العرب منذ اليوم يقاتلون وانتم جثاة على الركب
تنتظرون فوثب اليه عدة فقالوا اعتز جدك انك لتؤنبنا ونحن احسن
الناس موقفا فاين نحن معك فنهد ونهدوا فازالوا من بازائهم ولما راى
فارس ما تلقى الفيلة من كتيبة اسد رموهم بحدهم كله وبدروا
الشدة على المسلمين عليهم ذو الحاجب والجالنوس والمسلمون ينتظرون

التكبيرة الرابعة من سعد فاجتمعت حلبة فارس على اسد ومعهم الفيلة
قد ثبتوا لهم وكبر سعد الرابعة فزحف اليهم المسلمون ورحى الحرب
تدور على اسد وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول فكانت
الخيول تحجم عنها وتحيد فارسل سعد الى عاصم بن عمرو فقال يا معشر بني
تميم الستم اصحاب الابل والخيل اما عندكم لهذه الفيلة من حيلة قالوا
بلى والله ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخرين لهم ثقافة فقال لهم
يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيلة عنهم بالنبل وقال يا معشر اهل الثقافة
استدبروا الفيلة فقطعوا وضنها وخرج يحميهم والرحى تدور على
اسد وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد واقبل اصحاب عاصم
بن عمرو على الفيلة فاخذوا باذنابها وذناب توابيتها فقطعوا
وضنها وارتفعت عن ظهورها فما بقي لهم يومئذ فيل الا عري
وقتل اصحابها وتنفس عن اسد فردوا عنهم فارس الى مواقفهم ومن الوا

يقتتلون حتى غربت الشمس ثم حتى ذهبت هداة من الليل ثم رجع
هؤلاء ورجع هؤلاء واصيب في اسد تلك العشية خمسمائة وكانوا
ردءا للناس وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم فهذا يومها الاول
وهو يوم ارماث

يوم اغواث

ولما اصبح القوم على تعبية من غد وقفوا ووكل سعد رجالا بنقل
الشهداء الى العذيب واسلم الرثيث الى النساء يقمن عليهم والناس
ينظرون بالحملة نقل الرثيث فلما استقلت بهم الابل وتوجهت
بهم نحو العذيب طلعت نواصي الخيل من الشام الذين صرفهم
عمر بعد فتح دمشق الى العراق وكان ابو عبيدة لما قدم عليه
كتاب عمر ان يصرف اهل العراق اصحاب خالد بن الوليد ولم يذكر
خالدا ضن بخالد فاحتبسه عنده وسرح الجيش وهم ستة الف

وأمّر عليهم هاشم بن عتبة بن ابي وقاص وعلى مقدمته القعقاع عمرو
فتعجله اما مه فانجذب القعقاع وطوى وتعجل فتقدم على الناس
يوم اغواث وقد عهد الى اصحابه وهم الف ان يتقطعوا اعشارا
فكلما بلغ عشرة مدى البصر سرحوا في اثارهم عشرة فقدم القعقاع
اصحابه في عشرة فاتى الناس فسلم عليهم وبشرهم بالجنود وقال
ايها الناس اني قد جئتكم في قوم والله ان لو كانوا بمكانكم ثم احسوكم
لحسدوكم حظوتها وحاولوا ان يطيروا بها دونكم فاصنعوا كما
اصنع فتقدم فنادى من يبارز فقالوا فيه بقول ابي بكر
فلا يهزم جيش فيهم مثل هذا فخرج اليه ذو الحاجب فقال له
القعقاع من انت قال انا بهمن جاذويه فنادى يا لثارات ابي عبيد
وسليط واصحاب الجسر ثم اجتلدا فقتله القعقاع وجعلت خيل
القعقاع ترد قطعا الى الليل ونشط الناس وكان لم تكن بالامس

مصيبة وكانما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القطع
وانكسرت الفرس لذلك ونادى القعقاع ايضا من يبارز فخرج اليه
رجلان احدهما البيرزان والاخر البندوان فانضم الى القعقاع
الحرث بن ظبيان فبادر القعقاع البيرزان فضربه فاذرا راسه
وبادر ابن ظبيان البندوان فضربه فاذرا راسه وتوردتهم فرسان
المسلمين وجعل القعقاع يقول يا معشر المسلمين باشروهم
بالسيوف فانما يحصد الناس بها فتواصى الناس واجتلدوا بها حتى
المسا فلم ير اهل فارس في هذا اليوم شيئا مما يعجبهم واكثر المسلمون
فيهم القتل ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل كانت توابيتها
تكسرت بالامس فاستانفوا علاجها حين اصبحوا فلم ترتفع حتى
كان من الغد وفي هذا اليوم حمل بنو عم القعقاع عشرة
عشرة من الرجالة على ابل قد البسوها فهي مجللة مبرقعة

واطافت بهم خيولهم فحموهم وامرهم ان يحملوها على خيلهم بين الصفين
يتشبهون بالفيلة ففعلوا بهم يوم اغواث كما فعلت فارس يوم ارماث
فجعلت الابل لا تصمد لقليل ولا كثير الا نفرت خيلهم وركبتهم خيول
المسلمين فلما راى ذلك استنوا بهم فلقي اهل فارس من الابل يوم اغواث
اعظم مما لقي المسلمون من الفيلة يوم ارماث وحمل رجل من بني تميم يتعرض
للشهادة فابطأت عليه حتى تعرض لرستم يريده فاصيب دونه
وخرج رجل من فارس ينادي من يبارز فبرز له علباء فاشجره ونفحه
الفارسي فامعاه فلم يستطع القيام فعالجها فلم تأت له حتى مر
به رجل من المسلمين فقال يا هذا اعني على بطني فادخله له فاخذ
بصفاقيه ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت على المسلمين فادركه
الموت على ثلثين ذراعا من مصرعه الى صف فارس وقال

ارجو بها من ربنا ثوابا   قد كنت ممن احسن الضرابا

180

وخرج رجل من اهل فارس فنادى من يبارز فبرز له الاعرف بن الاعلم العقيلي
فقتله ثم برز له آخر من فارس فقتله ثم برز له آخر فقتله فاحاطت به فوارس
منهم فصرعوه وندر سلاحه عنه فاخذوه فجعل يغبر في وجوههم
بالتراب حتى رجع الى اصحابه وقال

ان تأخذوا بزي فاني مجرب   خروج من الغما محتضر النصر
واني لحام من وراء عشيرتي   ركوب لآثار الهوى محفل الامر

وحمل القعقاع يومئذ ثلثين حملة كلما طلعت قطعة من الخيل
حمل حملة فيصيب فيها فقتل في يوم اغواث ثلثين فارسا وكان آخرهم
بزرجمهر الهمذاني وقال القعقاع فيه

حبوته جياشة بالنفس   هدارة مثل شعاع الشمس
في يوم اغواث فليل الفرس   انخس بالقوم اشد النخس
حتى تفيظ معشري ونفسي ۝

واقتتل الناس صبيحتها حتى انتصف الليل وكانت ليلة ارماث تدعى
الهداه وليلة اغواث تدعى السواد ولم يزل المسلمون يرون الظفر
يوم اغواث في القادسيه وقتلوا عامة اعلامهم وجالت فيهم خيل
القلب وثبت رجلهم فلولا ان خيلهم كرت لاخذ رستم اخذا وانتمى
المسلمون ليلة امسوا فلما امسى سعد وسمع ذلك نام وقال لبعض
من عنده ان تم الناس على الانتما فلا توقظني فانهم اقويا على عدوهم
وان سكتوا ولم ينتم الاخرون فلا توقظني فانهم على السوا وان سمعتهم
ينتمون فايقظني فان انتماهم لشر فلما اشتد القتال بالسواد سال
ابو محجن سلمى بنت خصفه وكان محبوسا مقيدا في القصر فقال يابنه
خصفه هل لك الى خير قالت وما ذاك قال تخلين عني وتعيرينني البلقا
فلله علي ان سلمني الله ان ارجع اليك حتى اضع رجلي في قيدي
فقالت وما انا وذاك فجعل يرسف في قيده ويقول

كفى حزنا ان تردي الخيل بالقنا ... واترك مشدودا علي وثاقيا
اذا قمت عناني الحديد وغلقت ... مصاريع من دوني تصم المناديا

قالت سلمى اني استخرت الله ورضيت بعهدك فاطلقته وقالت اما الفرس
فلا اعيرها ورجعت فاقتادها رويدا واخرجها من باب القصر فركبها
ثم دب عليها حتى اذا كان بحيال الميمنه ثم حمل على الميسره ميسرة الفرس
يلعب برمحه وسلاحه بين الصفين وقد حكي ان الفرس كانت عريا
وحكي انها كانت بسرجها ثم رجع من خلف صف المسلمين الى الميسره
فكبر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه
ثم رجع من خلف المسلمين الى القلب فبدر امام الناس فحمل على
القوم يلعب بين الصفين برمحه وسلاحه وكان يقصف الناس ليلتئذ
قصفا منكرا وتعجب الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه بالنهار
فقال بعض الناس هذا من اوايل اصحاب هاشم او هاشم نفسه

وانتبه سعد وهو منكب مشرف من فوق القصر فقال والله لولا محبس
ابي محجن لقلت انه هو وهذه البلقاء   وقال بعض الناس ان كان
الخضر يشهد الحروب فهذا الخضر وقال بعضهم لولا ان الملائكة لا تباشر
القتال لقلنا ملك يثبتنا فلما انتصف الليل حاجز اهل فارس وتراجع المسلمون
واقبل ابو محجن حتى دخل القصر من حيث خرج منه ووضع عن نفسه وعن
دابته واعاد رجليه في قيده وقال في ابيات

لقد علمت ثقيف غير فخر   بانا نحن اكرمهم سيوفا
واكثرهم دروعا سابغات   واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وليلة قادس لم يشعروا بي   ولم اشعر بمخرجي الزحوفا
فان احبس فذلكم بلائي   وان اترك اذيقهم الحتوفا

ولها حبس في ابيات قال فيها   اذا مت فادفني الى اصل كرمة
فلما اصبحت سلمى اتت سعدا وكانت مغاضبة له فصالحته واخبرته

خبرها مع ابي محجن فدعا به واطلقه وقال اذهب فما انا مؤاخذك
بشيء تقوله حتى تفعله قال لا جرم والله لا اجيب لساني الى صفة قبيح
ابدا

يوم عماس

اصبح الناس اليوم الثالث على مواقفهم وبينهم كالرجلة الحمراء
ميل في عرض الصف وقد قتل من المسلمين الفان ومن المشركين
عشرة الاف وكان اهل الدين يجمعون القتلى يحملونهم الى المقابر
ويبلغون الرثث الى النسا والصبيان والصبيان يحفرون القبور
في اليومين يوم اغواث ويوم ارماث وبات القعقاع ليلته كلها
يسرب اصحابه الى المكان الذي فارقهم بالامس ثم قال لهم اذا طلعت
الشمس فاقبلوا مائة مائة كلما توارت مائة فليتبعها مائة فان جاء
هاشم فذاك والا جددتم للناس رجاء وجدا ففعلوا ولا يشعر
بذلك احد فاصبح الناس على مواقفهم قد احرزوا قتلاهم فاما

فلقي المشركين فقد اصيبوا لانهم يعرضون لاموالهم وكان ذلك
مما صنع الله للمسلمين مكيدة لتشد بها اعضادهم فلما ذر قرن
الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل طلعت نواصيها فكبر وكبر الناس
وقالوا جا المدد وقد كان عاصم بن عمرو امر ان يصنع مثلها فجاوا من قبل
خفان فما جا اخر اصحاب القعقاع حتى انتهى اليهم هاشم في سبع مايه
فاخبروه براي القعقاع وما صنع في يوميه فعبى اصحابه سبعين
سبعين فلما جا اخر اصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه
فيهم قيس بن هبيرة حتى اذا خالط القلب كبر وكبروا وقد اخذ المسلمين الفرح
وكبروا جميعا وقد اصلح المشركون توابيت الفيله معها الرجاله
يحمونها ان تقطع وضنها ومع الرجاله فرسان يحمونهم اذا ارادوا كتيبه
دلفوا اليها بفيل واتباعه لينفر بهم الخيل فلم يكن ذلك منهم كما
كان بالامس لان الفيل اذا كان وحده ليس معه احد كان اوحش

وقد اخذ المسلمين الفرح

واهول واذا اطافوا به الناس كان انس وكان القتال كذلك وكان
يوم عماس من اوله الى اخره شديدا العجم والعرب فيه سوا ولا يكون بينهم
نقطه الا تعاورها الرجال بالاصوات حتى تبلغ يزدجرد فكان يبعث اليهم
باهل النجدات ممن بقي عنده فيقوون بهم وجيبهم الامداد على البرد فلولا
الذي صنع القعقاع في اليومين ومجي هاشم بعقبه لكسر ذلك المسلمين
وما كان عامه جنن المسلمين الا براذع الرحال قد اعرضوا فيها الجريد
ومن لم تكن له وقايه لراسه عصب راسه بالانساع وابلى يومئذ
قيس بن هبيره بن مكشوح وقال عمرو بن معديكرب اني حامل على الفيل
ومن حوله لفيل بازايهم فلا تدعوني اكثر من جزر جزور فان تاخرتم
فقدتم ابا ثور واين لكم مثل ابي ثور وان ادركتموني وجدتموني وفي يدي السيف
فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم وستره الغبار فقال اصحابه ما تنتظرون ما انتم
بخلقا ان تدركوه وان فقدتموه فقد المسلمون فارسهم فحملوا حمله فافرج

يبلغ

فيقوون

المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه وان سيفه لفي يده يضاربهم
به وقد طعن فرسه ولما انفرج عنه اهل فارس اخذ برجل فرس عليه فارسي
فحركه الفارسي فاضطرب الفرس فالتفت الى عمرو فهموا به فغشيه المسلمون
فنزل عنه وحاضر الى الفرس وقال عمرو لاصحابه امكنوني من لجامه فامكنوه
منه فركبه ٥

ومن الاتفاق الذي جرى في يوم عماس ويحذر
ان يقع مثله

ان رجلا من الفرس خرج بين الصفين فهدر وشقشق ودعا الى البراز
فبرز رجل منا يقال له شبر بن علقمة وكان قصيرا دميما وقال يا معشر
المسلمين قد انصفكم الرجل فلم يجبه ولم يخرج اليه احد فقال اما والله
لولا ان تزدروني لخرجت اليه فلما راى ان المسلمين لا يمنعونه اخذ سيفه
وجحفته وتقدم فلما راه الفارسي نزل اليه فاحتمله وجلس على صدره ثم اخذ
سيفه ليذبحه وقد كان شد مقود فرسه بمنطقته فلما سل السيف

حاص الفرس حيصة فجره بالمقود فقلبه عنه فاقبل عليه وهو يسحب فافترسه
وجعل اصحابه يصيحون به فقال صيحوا ما بدا لكم فوالله لا افارقه حتى اسلبه اقتله و
فذبحه وسلبه ثم اتى به سعدا فقال اذا كان حين الظهر فاتني فوافاه فحمد
سعد الله واثنى عليه ثم قال اني قد رايت ان انفله اياه وكل من سلب سلبا
فهو له فباعه باثني عشر الفا ٥ ولما عادت الفيلة لفعلها يوم ارماث
تفرق بين الكتائب ارسل سعد الى قوم ممن اسلموا من الفرس فدخلوا عليه فسالهم
عن الفيلة هل لها مقاتل قالوا نعم العيون والمشافر لا ينتفع بها بعدها
فارسل الى القعقاع وعاصم ابني عمرو التميميين اكفياني الابيض وذاك ان الفيلة
كانت آلفة وكان بازائها وارسل الى حمال والربيل الاسديين الاجرب وكان
بازائهما فاما القعقاع وعاصم فانهما اخذا رمحين اصمين لينين ثم دبا في خيل
ورجل وقالا اكتنفوه لتحيروه فنظر الفيل يمنة ويسرة وهما يريدان
ان يتخبطا فحمل القعقاع وعاصم والفيل متشاغل بمن حوله فوضعا رمحيهما

وعبى الفيل الابيض فقبع وبعض راسه فطرح سائسه ودلى مشفره
فبادره القعقاع فنفحه بالسيف فرمى به واقعى الفيل فقتلوا من كان عليه
واما حمال والربيل فانهما قالا يا معشر المسلمين اى الموت اشد قالوا ان
نشد على هذا الفيل قال فنزقا فرسيهما حتى اذا اقاما على السنابك
ضرباهما على الفيل الذي بازائهما فطعن احدهما عينه فوطئ الفيل من خلفه
ويضرب الآخر مشفره فنفحه سائس الفيل ضربة شائنة في وجهه بالطبرزين
فافلت بها هو والربيل وبقي الفيل متلددا بين الصفين كلما اتى صف المسلمين
وخزوه واذا اتى صف المشركين نخسوه وصاح الفيلان صياحا
عظيما ثم ولى الاجرب الذي عور فوثب في العتيق فاتبعه الفيلة
فخرقت صف الاعاجم وعبرت العتيق في اثره فاتت المدائن في توابيتها
وهلك من فيها وخلص المسلمون باهل فارس ومال الظل فتزاحفوا
واجتلدوا بالسيوف حتى امسوا فلما طعنوا في الليل اشتد القتال

وصبر الفريقان ولم يسمع الا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء فسميت ليلة الهرير
لم يكن بعدها قتال بليل بالقادسية ثم ان سعدا وجه طليحة وعمرو بن
معديكرب الى مخاضة كانت اسفل منهم وخشي ان يؤتى المسلمون
منها بعبور الفرس ووصاهما ان يقفا هناك فان احسا بحدث انذرا
المسلمين فانتهيا الى هناك فلم يجدا احدا فاما طليحة فراى ان يعبر
واما عمرو فقال ما امرنا بذلك فعبر طليحة حتى اذا صار وراء صف
المشركين كبر ثلث تكبيرات فرهش القوم وكفوا عن الحرب لينظروا
ما هو وطلبوه فلم يدروا اين سلك وسفل حتى عاد واقبل الى العسكر
فاتى سعدا فاخبره فاشتد ذلك على الفرس وفرح المسلمون وقال طليحة
للفرس لا تعدموا امرا ضعضعكم ثم انهم عادوا فجددوا تعبية واخذوا
في القتال ولم يكونوا عليه في الايام الثلثة والمسلمون على تعبيتهم وطاردتهم
فرسان العرب فاذا القوم لا يشدون ولا يريدون الا الزحف

فقدموا صفا له اذنان واتبعوه آخر وآخر حتى تمت صفوفهم ثلثة عشر صفا

في القلب والمجنبتين فرماهم فرسان العجم فلم يعطفهم ذلك ثم لحقت

بالفرسان الكتائب فحمل القعقاع على ناحيته التي رمي بها مزدلفا فقاموا

على ساق والناس على راياتهم بغير اذن سعد فقال سعد اللهم اغفرها له

وانصره واتماه سائر الليلة ثم قال ان الراي ما راه القعقاع فاذا كبرت

ثلثا فاحملوا فلما كبر واحدة حملت اسد فقال اللهم اغفرها لهم وانصرهم

ولسداه سائر الليلة ثم حمل الناس عصوا سعدا فقام قيس المكشوح فيمن

يليه ولم يشهد شيئا من لياليها الا تلك الليلة لانه كان آخر من ورد مع هاشم

فقال ان عدوكم قد ابى الا المزاحفة والرأي رأي امرائكم وليس بان

تحمل الخيل ليس معها الرجل فان القوم اذا زحفوا وطاردهم عدوهم

على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ولم يطيقوا ان يقدموا عليهم

فتيسروا للحملة فتيسروا وانتظروا التكبير وان تشاب الاعاجم لتحوز

صف المسلمين فتذامر الرؤسا فقال دريد بن كعب النخعي وكان معه لوا

النخع ان المسلمين قد تهيؤا والمزاحفة فاستبقوا المومنين الليلة الى الله

والجهاد نافسوهم الشهادة وطيبوا انفسا بالموت فانه انجى من الموت ان

كنتم تريدون الحيوة والا فالاخرة ما اردتم وتكلم الاشعث بن قيس

فقال يا معشر العرب لا ينبغي ان يكون هولا اجرا على الموت منا ولا اسخى نفسا

عن الدنيا لا جرعوا من القتل فانه اماني الكرام ومنايا الشهدا وترجل

وتكلم طليحة فقال مثل ذلك وتكلم غالب ورجال واهل النجدات

فقالوا نحو من ذلك وفعلوا فعلهم وقامت حربهم على ساق حتى الصباح

فتلك ليلة الهرير وحكي انس بن الحليس قال شهدت ليلة الهرير فكان

صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح افرغ عليهم الصبر

افراغا وبات سعد بليلة لم يبت مثلها ورأى العرب والعجم امرا لم يروا

مثله قط وانقطعت الاصوات عن رستم وسعد فبعث سعد بجادا وهو

غلاماً الى الصف لم يجد رسولاً فقال انظر ما ترى من حالهم فرجع فقال
ما رأيت يا بني قال رأيتهم يلعبون قال أو يجدون فأول شيء سمعه سعد ليلتئذ
مما يستدل به على الفتح في نصف الليل الآخر صوت القعقاع بن عمرو وهو يقول

نحن قتلنا معشراً وزائدا ... اربعة وخمسة وواحدا
نحسب فوق اللبد الأساودا ... حتى اذا ماتوا دعوت جاهدا
الله ربي واحترزت عامدا

واصبحوا ليلة القادسية وهي ليلة الهرير سميت ليلة القادسية من بين تلك ٢٠
الليالي والايام والناس حسرى لم يغمضوا ليلتهم كلها فسار القعقاع
في الناس فقال ان الدبرة بعد ساعة لمن بدأ اليوم فاصبروا فان النصر
مع الصبر فاجتمع اليه جماعة من الرؤساء فصمدوا لرستم حتى خالطوا الذين
دونه ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال فقام قيس بن عبد يغوث المكشوح
والاشعث بن قيس وعمرو بن معديكرب واشباههم فحضوا الناس حرضوا

فكان اول من زال حين قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان فتأخرا وثبتا
حيث انتهيا وانفرج القلب وركد عليهم النقع وهبت ريح عاصف فقلعت
طيارة رستم عن سريره فهوت في العتيق وهي دبور ومال الغبار عليهم
وانتهى القعقاع واصحابه الى السرير فعثروا به وقد قام رستم عنه حين طارت
الريح بالطيارة الى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة فاستظل
في ظل بغل وحمله فضربه هلال بن علفة وولى عنه رستم واتبعه هلال
فرماه رستم فشك قدمه في الركاب وقال بالفارسية بپاي يقول كما انت
ارفق وحمل عليه هلال فضربه ضربة نفحت مسكاً ومضى رستم نحو العتيق فرمى
بنفسه فيه واقتحمه هلال عليه فتناوله وقد عام وهلال قائم فأخذ برجله
ثم خرج به فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ثم جاء به حتى رمى به بين ارجل
البغال واخذ سلبه ثم صعد السرير ونادى قتلت رستم ورب الكعبة
اليّ اليّ فأطافوا به وكبروا وما يحسون السرير ولا يرونه وانهزم المشركون

188

وقام الجالنوس على الردم ونادى اهل فارس الى العبور واسفر الغبار
فاما المقترنون فانهم جشعوا فتهافتوا في العتيق فوخزهم المسلمون
برماحهم فما افلت منهم مخبر وهم ثلثون الفا واخذ ضرار بن الخطاب درفش الكابيان
فعوض منها ثلثين الفا وكانت قيمتها الفي الف ومايتي الف وجمعت الاسلاب
والاموال فجمع منها شي لم يجمع قبله ولا بعده وارسل سعد الى هلال
فدعى فقال اين صاحبك قال رميت به تحت ابغل كانت هنالك
قال اذهب فجي به فذهب فجا به فامضى له سلبه   وبعث زهره
الحويه تتبع الجالنوس ومن لحق به وبعث القعقاع بمن سفل وشرحبيل
بمن علا ولم يدفن الشهدا فخرج زهره من الحويه في آثارهم فلما
انتهى الى الردم وجده مبثوقا ليمنعوهم من الطلب فقال زهره
يا بكير كان معه اعذ فرسك وكان بكير يقاتل على الاناث فضرب
بكير فرسه وقال ثبي اطلال فتجمعت وثبت واوثب زهره فرسه

وكان على حصان فاتبعه وتتابع على ذلك ثلثمايه فارس ونادى زهره
حين كاعت الخيل خذوا ايها الناس على القنطره فعارضونا فعبر الناس
ذلك ومضى زهره فلحق القوم وقد نزلوا الخراره وطمعوا انهم ينجون
من زحمهم وانه لم يعلم في العرب وكان الجالنوس قد رفع له كره فهو يرميها
ويتلقاها بالنشاب فشد زهره على الجالنوس فقتله وانهزم القوم وقد
قيل ان الجالنوس كان اذا حمى القوم حين لحقهم زهره فشد له واختلفا
ضربتين فسبقه زهره فقتله ٥   واما القعقاع وشرحبيل فانهما خرجا
في طلب من ارتفع وسفل فقتلوهم في كل قريه واجمه وشاطي نهر
ورجعوا فتوافوا عند صلاه الظهر وهنا الناس بعضهم بعضا واثنى
سعد على كل حي وذكر خيرا ٥   ونزع زهره ما كان على الجالنوس
فبلغ بضعه وسبعين الفا فلما رجع الى سعد نزع سلبه وقال الا انتظرت
اذني وتكاتبا فكتب عمر الى سعد تعمد الى مثل زهره وقد صلى بما صلى به

وقد بقي من حربك ما بقي تكسر قوته وتفسد قلبه امض له سلبه ونفله
عند العطا خمس مايه وقد حكى ان عامة من شهد القادسية فضلوا عند
العطا خمس مايه ○ واما اهل الايام فانهم فضلوا على اهل القادسية
فانهم فرض لهم على ثلثة الف فقيل لعمر لو الحقت بهم اهل القادسية لو
فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنايه فقال كيف افضلهم وهم تجي
للعدو فهلا فعل المهاجرون بالانصار اذ قاتلوا بفنايهم مثل هذا
فحكى عن رجل من عبس قال اصاب اهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا
ما لم يصب الناس قبلهم لقد كان الرجل من المسلمين يدعو الفارس منهم
وعليه السلاح التام فياتيه حتى يقوم بين يديه فيضرب عنقه وياخذ
سلاحه وربما قتله بسلاحه وربما امر الرجلين احدهما بصاحبه وكذلك
في العدة وكان ممن هرب الهرمزان وقارن والهود وكان ممن استقتل
شهريار بن كنارا وابن الهربذ والفرخان وخسرسنوم ○

وباع هلال على الف سلب رستم وكان تخفف لما وقع في الما سبعين الفا
وكانت قيمة قلنسوته مايه الف لو ظفر بها ○ وجا قوم من العباد حتى دخلوا
على سعد فقالوا ايها الامير راينا جسد رستم على باب قصرك وعليه
راس غيره وكان الضرب قد شوهه فضحك ○ واما جند الشام فان
حمص افتتحت وتوجه علقمة الى غزة وتوجه معوية الى قيسارية
وصمد عمرو بن العاص الى الارطبون باجنادين وكان الارطبون ادهى الروم
ابعدها غورا وانكاها فعلا وكان على الروم وقد وضع بالرملة
جندا عظيما وكتب عمرو الى عمر فقال عمر قد رمينا ارطبون الروم
بارطبون العرب فانظروا عما تنفرج ○

ذكر خديعة عمرو للارطبون

وجعل عمرو ينفذ الى الارطبون رسلا فلا يشفونه ولا يقدرون من ارطبون
على سقطه فعزم على ان يتولاه بنفسه فدخل عليه كانه رسول فابلغه ما

يريد وسمع كلامه وتأمل حصونه حتى عرف ما اراد وقال الرطبون في نفسه والله ان هذا لعمرو او للذي ياخذ عمرو برايه وما كنت لاصيب القوم باعظم عليهم من قتله ثم دعا حرسيا فساره بقتله وقال اخرج فقم بمكان كذا وكذا فاذا مر بك هذا فاقتله وفطن له عمرو فقال قد سمعت مني وسمعت منك فاما ما قلته فقد وقع مني موقعا وانا واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكاتفه ويشهدنا اموره فارجع فآتيك بهم الآن فان راوا في الذي عرضت مثل الذي ارى فقد راه اهل العسكر والامير وان لم يروه رددتهم الى مامنهم وكنت على راس امرك فقال نعم ودعا رجلا فساره وقال اذهب الى فلان فرده الي فرجع الرجل وقال لعمرو انطلق فجئ باصحابك فخرج عمرو وراى الا يعود لمثلها وعلم الرومي انه قد خدعه فقال خدعني الرجل هذا ادهى الخلق فبلغت عمر فقال خدعه عمرو وغلبه لله عمرو ثم ان سعد بن ابي وقاص

قدم زهرة الى بهرسير فمضى زهرة من كوثى في المقدمات حتى نزل بهرسير فتلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتادية الجزية فامضاه الى سعد فاقبل معه وتبعته المجنبات وخرج هاشم وخرج سعد في اثره وقد فل زهرة كتيبة كسرى بوران المظلم وانتهى هاشم الى مظلم ساباط ووقف لسعد حتى لحق به وكانت به كتائب كسرى تدعى الاسود يحلفون بالله كل يوم لا يزول ملك فارس ما عشنا فتنادوا ورئيسهم المقرط وقال المقرط الي الي وذلك لما انتهى اليه سعد فنزل اليه هاشم فقتله فقبل سعد راس هاشم وقبل هاشم قدم سعد وقدم سعد الى بهرسير فنزل الى المظلم وقرا ولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ثم ارتحل فنزل بهرسير وجعل المسلمون كلما قدمت طائفة على بهرسير وقفوا ثم كبروا وكذلك حتى نجز آخر من مع سعد وكان مقامه على بهرسير شهرين وعبروا في الثالث وذلك انهم اقاموا شهرين يرمونهم بالمجانيق ويدبون اليهم بالدبابات ويقاتلونهم بكل عدة وكان

سعدا استصنع شيرزاد عشرين منجنيقا فشغلوهم بها وكانت العرب
مطيفة ببهرسير والعجم متحصنة فيها وربما خرج الأعاجم يمشون
على المسنيات المشرفة على دجلة في العدة والعديد لقتال المسلمين
فلا يقومون لهم وكان آخر ما خرجوا في رجالة وناشبة تجردوا للحرب
وتبايعوا على الصبر فقاتلهم المسلمون ولم يلبثوهم فكذبوا وتولوا ان

ذكر استهانة في الحرب عادت بهلكه

هكذا وجدت في التاريخ وهو سهو لأن زهرة بن حوية عاش بعد هذا
وشهد مواقف كثيرة وسيرد جميعه على الأثر ولعل هذا رجل
فلينظر في ذلك كان في ذلك اليوم على زهرة بن الحوية درع مفصومة
فقيل له لو أمرت بهذا الفصم فسرد فقال ولم قالوا نخاف عليك منه
قال إني لكريم على الله أن ترك سهم فارس الجند كلهم ثم أتاني من هذا
الفصم حتى يثبت في فكان أول رجل من المسلمين يومئذ أصيب هو

بالنشابة نشبت فيه من ذلك الفصم فقال بعضهم انزعوها عنه فقال دعوني
فإن نفسي معي ما دامت في لعلي أصيب منهم بطعنة أو ضربة أو خطوة
فمضى نحو العدو فضرب بسيفه شهربراز من أهل اصطخر فقتله وأحيط به
فقتل وانكشفوا وتنادى أهل بهرسير معهم فلما رأى سعد والمسلمون
يعبرون زحفوا إلى السور والمجانيق تأخذه فنادى رجل الأمان فآمنوه
فقال أي شيء ترمون ما بقي في المدينة أحد فتسوروا ودخلوا بهرسير وفتحوا
أبوابها وتحول العسكر إليها وحاولوا العبور فوجدوهم قد ضموا
السفن إليهم فيما بين البطائح وتكريت :. ولما دخل المسلمون بهرسير
لاح لهم الأبيض فقال ضرار بن الخطاب الله أكبر هذا ما وعد الله ورسوله
أبيض كسرى والله لتتابعوا بالتكبير حتى أصبحوا وخبرهم ذلك الرجل
الذي نادى بالأمان أنهم حصروا القوم حتى أكلوا الكلاب والسنانير
ولما نزل سعد بهرسير وهي المدينة التي كان فيها منزل كسرى طلب السفن

ليعبر بالناس الى المدينة القصوى فلم يقدر على شي واقام اياما يصعد
ويصوب فاتاه اعلاج يدلونه على مخاضة تخاض الى صلب الوادي
فابى وابقى على المسلمين وفجئهم المد فراوا الهر اهايلا في سنة جود
صيفيتها متتابع فجمع سعد الناس وخطبهم وقال بعد حمد الله ان عدوكم
قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون اليه معه وهم يخلصون اليكم اذا
شاوا فيناوشونكم في سفنهم وليس وراكم شي تخافون ان تؤتوا منه وقد
كفاكموهم اهل الايام وعطلوا ثغورهم وافنوا ذادتهم وقد
رايت ان تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل ان تحصدكم الدنيا الا اني قد
عزمت على قطع هذا البحر اليهم فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على
الرشد فندب سعد الناس الى العبور فقال من يبدا ويحمي لنا الفراض حتى
لا يتلاحقون ويلحق الناس فلا يمنعوا من الخروج عن الما فانتدب له عاصم
عمرو وصاعقة ذي الباس ثم انتدب بعدهم ستماية من اهل

النجدات فاستعمل عليهم عاصما فسار فيهم حتى وقف على شاطي دجلة
وقال من ينتدب معي لمنع الفراض من عدوكم لنحميكم حتى تعبروا فانتدب له
ستون فجعل نصفهم على خيول اناث ونصفهم على ذكورة ثم اقتحموا
دجلة واقتحم بقية الستماية على اثرهم وكان اول من فصل من الستماية
رجل يعرف باصم التيم وشرحبيل وعدة من معه فلما راهم الفرس وما صنعوا
اعدوا للخيل التي تقدمت مثلها فاقتحموا عليهم دجلة فاعاموها اليهم فقال عاصم
وقد لقوهم في السرعان وقد دنا من الفرضة الرماح الرماح اشرعوها وتوخوا
بها العيون فالتقوا وتوخى المسلمون عيونهم فولوا باجمعهم والمسلمون
يشمصون بهم خيلهم ما يملك رجالها منع شي منها فلحقوهم في الجد
فقتلوا عامتهم ونجا من نجا منهم عورانا وتزلزلت بهم خيلهم وتلاحق الستماية
باوايلهم الستين غير متعتعين واذن سعد للناس في الاقتحام وامرهم
بالاقتران فتلاحق عظم الجند فركبوا من دجلة اللجة وانها لترمي بالزبد

وهي مشتورة وان الناس ليتحدثون في عومهم وقد اقترنوا ما يكترثون كما
يتحدثون في مسيرهم على الارض ففجئوا اهل فارس بامر لم يكن في حسابهم
فاعجلوهم عن جمهور اموالهم وكان يزدجرد قد قدم عياله وما خف
من ذخايره معهم حين نزل المسلمون بهرسير الى حلوان وبلغ ذلك
سعدا اتاه بالخبر بعض الاعلاج وقال ما تنتظر اذا كان بعد ثلث لم يبق
بالمداين مال لكسرى ولا لاهله وكان ذلك مما هيج سعدا وحمله على ما فعل
وكان قرين سعد الذي يسايره في الما سلمان الفارسي وكان سفيرهم والمترجم
لهم وعينهم ٥ وحكى ان ذلك الجيش عبر باجمعه وقد اسودت
منه دجلة حتى ما يرى الما فسلموا باجمعهم ما فقدوا رجلا واحدا ولا اداة
غير ان رجلا كانت له علاقة في قدح رثة فانقطعت وذهب القدح
في الما والتقطه رجل من الما كان اسفل منا ولد برمحه وجا به
الى العسكر يعرفه فاخذه صاحبه ٥ وزال رجل من بارق يوميذ

يدعى غرقدة عن ظهر فرس له شقرا فنظر اليها المسلمون وهي تنفض اعرافها
والغريق طاف فثنى القعقاع عنان فرسه اليه فاخذ بيده وجره
حتى عبر وكان البارقي من اشد الناس فقال اعجزت الاخوات ان يلدن مثل
القعقاع وكان للقعقاع فيهم خؤولة ٥ وسار النحاه فارس يقاتلون
على الفراض حتى اتاهم آت فقال علام تقاتلون ولم تقتلون انفسكم فوالله
ما في المداين احد ٥ وبادر يزدجرد الى حلوان وخلف مهران الرازي
والنخيرجان وكان على بيت المال بالنهروان وخرجوا بما قدروا عليه
من حر المتاع وخفيفه وبالنسا والذراري وتركوا في الخزاين من الثياب
والامتعة والانية والفصول والالطاف والعطور ما لا يدرى ما قيمته
وخلفوا ما كانوا اعدوا للحصار من الاطعمة والاشربة واصناف الماكول
والحيوان من البقر والغنم ودخل المسلمون المداين واخذوا في سككها
لا يلقون فيها احدا ولا يحسونه الا من كان في القصر الابيض فاحيط بهم

ودعوهم وكانوا قد انعطوا باهل نهر شير وذلك ان المسلمين لما نزلوا عليهم
اجلوهم ثلثا ودعوهم الى احدى ثلث خصال اما الاسلام واما الجزية
واما الحرب فلما انجبوا في الثالث اباذوهم ولما دعوا اهل القصر الابيض
الى مثل ذلك اختاروا الجزية وكان المخاطب لهم سلمان الفارسي وملك
المسلمون الغنائم واحتوى سعد على بيوت المال فوجد فيها ثلثة الف الف الف
ونزل سعد القصر الابيض واتخذ الايوان مصلى وقدم جيشا الى النهروان
عليهم زهرة ونزاجع الى المداين اهلها على الامان والرضا بالجزية ووجدوا
بالمداين قبابا تركية مملوة سلالا مختمة بالرصاص فقالوا انما حسبناها
الا طعاما من حلوا فاذا هي آنية الذهب والفضة وقسمت بعد في الناس
وقال حبيب لقد رايت رجلا يطوف ويقول من معه بيضا بصفرا
ولقد اتينا على كافور كثير فاحسبناه الا ملحا فجعلنا نعجن به الدقيق حتى
وجدنا مرارته في الخبز ولما انتهى زهرة في المقدمة الى جسر النهروان

وجدهم قد ازدحموا فوقع بغل في الماء وكلبوا عليه فقال زهرة اني اقسم
بالله ان لهذا البغل لشانا ما كلب عليه القوم ولا صبروا للسيوف
بهذا الموقف الضنك الا لامر واذا الذي عليه خزائن كسرى وسلاحه
وعليها من الجواهر ما لا تعرف قيمته وكان يجلس فيها يوم المباهاة ٥
ثم رجل زهرة يومئذ حتى ازاحهم عن البغل فاحتمله هو واصحابه حتى ادا
بما عليه الى صاحب الاقباض لا يدرون ما عليه حتى غنم هناك وحكى هبيرة بن الاشعث
عن جده قال كنت ممن خرج في الطلب فاذا انا ببغلين قد ادركاهما
عنهما بالنشاب ونظرت واذا لم يبق معهما غير نشابتين فالحت بهما فاجتمعا
فقال احدهما لصاحبه على ما نرى ارمه واحميك او ارميه واحمي فحمى
كل واحد منهما صاحبه حتى رميا بهما ثم اني حملت عليهما فقتلتهما وجيت
بالبغلين ما ادري ما عليهما حتى ابلغت بهما صاحب الاقباض واذا هو
يكتب ما ياتي به الناس وما جمع من الخزائن والدور فقال على

رسالك حتى ننظر ما معك فاطلت الوقوف بعد ما حططت عنهما
فاذا سفطان على احد البغلين فيهما تاج كسرى مفسحا وكان لا يحمله
الا اسطوانتان وفيهما الجوهر واذا على الآخر سفطان فيهما ثياب
كسرى منسوجة بالذهب المنظوم بالجوهر ه وخرج القعقاع
بن عمرو يومئذ في الطلب فلحق بفارسي يحمي الناس فاقتتلا فقتله واذا
مع المقتول جنيبة عليها عيبتان وغلافان وفي احد الغلافين خمسة
اسياف وفي الآخر ستة اسياف واذا في احد العيبتين ادراع درع
كسرى ومغفره وساقاه وساعداه ودرع هرقل وفي الآخر درع سياوخش
ودرع خاقان ودرع داهر ودرع بهرام شوبين ودرع النعمان كان
الفرس استلبوها من اربابها ايام خالفوا كسرى ه وعن عصمة الحرشي
قال خرجت في الطلب فاخذت طريقا مسلوكا واذا حمار فلما رأى صاحبه
حثه فلحق باخر امامه فمالا وحثا حماريهما فانتهيا الى جدول قد كسر

جسره فثبتا حتى اتيتهما ثم تفرقا ورماني احدهما فالظظت حتى قتلته وافلت
الآخر ورجعت الى الحمارين فاتيت بهما صاحب الاقباض فنظرنا فاذا على
احدهما سفطان في احدهما فرس من ذهب مسرج بسرج من فضة على
ثفره ولببه الياقوت والزمرد منظوما على الفضة ولجامه كذلك وفارس
من فضة مكلل بالجوهر واذا في الآخر ناقة من فضة عليها شليل من ذهب
وبطان من ذهب ولها شناق او زمام من ذهب وكل ذلك منظوم
بالجوهر واذا عليها رجل من ذهب مكلل بالياقوت كان كسرى يضعهما
الى اسطوانتي التاج ه وعن جابر ان رجلا اقبل بحق معه
فدفعه الى صاحب الاقباض فقال هو والذين معه ما راينا مثل هذا قط
ما يعدله ما عندنا ولا يقاربه ثم سالوه عن نفسه فابى ان يخبرهم وقال
لا والله لا اخبركم لتحمدوني ولا لتقرظوني ولكني احمد الله وارضى بثوابه
وقال سعد لولا ما سبق به اهل بدر لقلت انكم افضل منهم واكرم

وايم الله لقد تبعنا من اهل بدر هنات وهنات فيما احرزوا وما احتسبا
ولا سمعناها من هولا القوم ‌‌ وقال جابر بن عبد الله والله الذي لا اله
الا هو ما اطلعنا على احد من اهل القادسية انه يريد الدنيا مع الاخرة
ولقد اتهمنا ثلثة انفر فما راينا كامانتهم وزهدهم وورعهم طليحة بن خويلد
وعمرو بن معدي كرب وقيس بن المكشوح ‌ ولما قدم على عمر بن الخطاب
بتاج كسرى وبزته وبرجه ومنطقته وسلاحه قال ان قوما ادوا هذا
لذوو امانة فقال علي صلوات الله عليه انك عففت فعفت الرعية
ولما قسم سعد الفى اصاب الفارس اثنا عشر الف درهم وكلهم كان فارسا
يوم المداين وليس فيهم راجل وكانت الجنايب كثيرة ‌ ولما نزل
سعد المداين بعث الى العيالات فانزلهم الدور وفيها المرافق فاقاموا
بالمداين حتى فرغوا من جلولا وحلوان وتكريت والموصل ثم تحولوا الى
الكوفة ‌ ولما قسم سعد الفى اخذ نسل بعد القسم واخرج الخمس

القطف فلم يعدل قيمته فقال للمسلمين هل لكم في ان تطيب انفسنا عن
اربعة اخماسه ونبعث به الى عمر فيضعه حيث يرى فانا لا نراه يتفق
بيننا فقالوا نعم ها الله اذا فبعث وكان ستين ذراعا في ستين ذراعا
بساطا واحدا مقدار جريب فيه طرق كالصور وفصوص كالانهار
وخلال ذلك كالدير وحافاته كالارض المزروعة المبقلة بالنبات
وعلمها كانوا يعدونه في الشتا اذا ذهبت الرياحين وكانوا اذا
ارادوا الشرب شربوا عليه وكانهم في رياض لان الارض ارض البساط
مذهب ووشيه فصوص وعليه قضبان الذهب عليها الانوار من ذهب
وفضة واوراق كذلك من حجر قد اجري فيه ماء الذهب وكانت العرب
تسميه القطف فلما قدم به على عمر جمع الناس وخطبهم واستشارهم
في البساط واخبرهم خبره فاختلف عليه الناس فمن مشير بقبضه
واخر مفوض اليه واخر مرفق فقام علي عليه السلم فقال لم تجعل

علمك جهلا ويقينك شكا أنك إن تقبله على هذا اليوم لم تعدم
في غد من يستحل به ما ليس له فقال صدقتني ونصحتني فقطعه وقسمه
وأصاب عليا قطعة منه فباعها بعشرين ألفا وما هي بأجود تلك القطع
ولما عرض على عمر رضي الله عنه حلى كسرى وزيه في المباهاة
وكانت له عدة أزياء لكل حالة زي قال علي بمحلم وكان أجسم عربي
يومئذ بأرض المدينة فألبس تاج كسرى على عمودين من خشب وصب
عليه أوشحته وقلائده وثيابه وأجلس للناس فنظر إليه عمر والناس فرأوا
أمرا عظيما من أمر الدنيا وفتنتها ثم قام عن ذلك وألبس زيه الآخر فنظروا
إليه ثم كذلك في غير نوع حتى أتى عليها كلها ثم ألبسه سلاحه وقلده سيفه
فنظروا إليه في ذلك فقال عمر والله إن أقواما أدوا هذا لذوو أمانة وقال
أحمق بامرئ من المسلمين غرته الدنيا هل يبلغن مغرور منها إلا
دون هذا أو مثله وما خير لامرئ مسلم سبقه كسرى فيما يضره ولا ينفعه إن

كسرى لم يزد على أن تشاغل بما أوتي عن آخرته فجمع لزوج امرأته أو زوج
ابنته أو امرأة ابنه ولم يقدم لنفسه فقدم امرؤ لنفسه ووضع الفضول
مواضعها تحصل له وإلا حصلت للثلاثة بعده وأحمق من جمع لهم أو لعدو
جارف ○ ثم إن سعدا أتاه الخبر بأن مهران قد عسكر بجلولاء
وخندق عليه وأن أهل الموصل قد عسكروا بتكريت وكتب إلى عمر
بذلك فكتب إليه عمر قدم هاشما إلى جلولاء في اثني عشر ألفا من وجوه
المهاجرين والأنصار وأعلام العرب ممن ارتد وممن لم يرتد واجعل
على مقدمته القعقاع بن عمرو وكان الفرس لما انتهوا بعد الهرب
من المدائن إلى جلولاء والطرق تفترق بأهل أذربيجان والباب وبأهل
الجبال وفارس تذامروا وقال بعضهم لبعض يا معشر الفرس إن افترقتم
لم تجتمعوا أبدا هذا مكان يفرق بيننا فهلموا فلنجتمع للعرب به
ولنقاتلهم فإن كانت لنا فهو الذي نريد وإن كانت الأخرى

ثم قد ابلينا العذر فاحتفروا الخندق واجتمعوا فيه على مهران ونفد
يزدجرد الى حلوان ورماهم بالرجال وخلف فيهم الاموال واقاموا في
خندقهم وقد احاطوا به الحسك من الخشب الا طرقهم فلما قدم
هاشم احاط بهم وطاولهم اهل فارس وكانوا لا يخرجون الا اذا ارادوا
وزاحفهم المسلمون بجلولاء ثمانين زحفا كل ذلك ينصر المسلمون ويغلب
المشركون حتى غلبوهم على حسك الخشب فاتخذوا حسك الحديد
وتركوا للمجال وجها فخرجوا على المسلمين منه واقتتلوا قتالا شديدا
لم يقتتلوا مثله ولا ليلة الهرير الا انه كان اكمش واعجل ولم ير المسلمون
ولا المشركون مثله في موطن قط حتى انفدوا النبل وقصفوا الرماح
وصاروا الى السيوف والطبرزينات وكانوا بذلك الى حين الصلاتين
وصلى الناس ايماء ثم خنست كتيبة للمشركين وجات اخرى فوقفت مكانها
ثم كذلك فكسر المسلمين ما راوا فقال القعقاع بن عمرو ايها الناس اهالكم

هذه فقالوا وكيف لا يهولنا ونحن مكلون وهم مريحون فقال القعقاع
اصبروا الى ساعة فاني حامل عليهم فاحملوا معي ولا يكونن احد حتى يحكم
الله بيننا ثم حمل وحمل معه الناس واستمر القعقاع وجهه الذي زاحف
فيه الى باب خندقهم فاخذه وامر مناديا فنادى يا معشر المسلمين
هذا اميركم قد دخل الخندق واخذ به فاقبلوا اليه ولا يمنعكم من بينكم
وبينه من دخوله وانما امر بذلك ليقوى المسلمين بهم ولئلا يتحاجزوا
فحمل المسلمون ولا يشكون الا ان هاشما في الخندق فلم يقم لحملتهم
شي حتى انتهوا الى باب الخندق فاذا هم بالقعقاع قد اخذ به والمشركون
يمنة ويسرة على المجال التي بحيال خندقهم فهلكوا فيما اعدوا للمسلمين
من الحسك وعقرت دوابهم وعادوا رجالة واتبعهم المسلمون
فلم يفلت الا من لا يعد وقتل منهم يومئذ مائة الف او يزيدون
فجللت القتلى المجال وما بين يديه وما خلفه فسميت جلولاء الوقيعة

واقتسم الناس في جلولا مثل ما اقتسموا في المداين ويقال انهم اقتسموا
على ثلثين الف الف وكان الخمس منه ستة الف الف واقتسم السبايا فاتخذن
وولدن في المسلمين ولما بلغت الهزيمة يزدجرد سار من حلوان نحو
الجبل وقدم القعقاع حلوان وكتب عمر بفتح جلولا ونزول
القعقاع حلوان ولستاذنوه في اتباعهم فقال وددت ان بين
السواد والجبل سدا من نار لا يخلصون الينا ولا نخلص اليهم حسبنا
من الريف السواد التي قد اثرت سلامة المسلمين على الانفال
وبعث بالاخماس مع جماعة فيهم زياد بن ابي سفين وكان هو الذي
يكتب للناس ويدونهم فلما قدموا على عمر كلم زياد عمر
فيما جاء له من الاستيذان في التقدم ووصف له الحال فقال
عمر هل تستطيع ان تقوم في الناس بمثل الذي كلمتني به فقال
والله ما على الارض شخص اهيب في صدري منك فكيف لا اقوى

على هذا من غيرك فقام في الناس بما اصابوا وبما صنعوا وبجميع
ما يستاذنون فيه من الانسياح في البلاد فقال عمر هذا الخطيب
المصقع وقال ان جندنا بالفعال اطلقوا السنتنا بالمقال
ثم ان عمر لما نظر الى الاخماس المحمولة من جلولا قال والله لا يجنه
سقف بيت حتى اقسمه فبات عبد الرحمن بن عوف وعبد الله الارقم
يحرسانه في صفة المسجد فلما اصبح جاء في الناس فكشف عنه الانطاع
فلما نظر الى ياقوته وزبرجده وجوهره بكى فقال له عبد الرحمن ما يبكيك
يا امير المومنين فوالله ان هذا الموطن شكر وسرور فقال عمر ما ذاك
يبكيني والله ما اعطى الله هذا قوما الا تحاسدوا وتباغضوا
ولا تحاسدوا الا وقع باسهم بينهم ولما فرض عمر العطا
قال قايل يا امير المومنين لو تركت في بيوت الاموال عدة
لكون ان كان فقال كلمة القاها الشيطان على فيك وقاني الله

شرها وهي فتنة لمن يعقبني بل اعد لهم ما اعد الله ورسوله
طاعة الله ورسوله فيما علمتنا التي بها افضنا الى ما ترون
وفي سنة سبع عشرة ادرب خالد بن الوليد وعياض وكان خالد
على قنسرين من تحت يدي ابي عبيده فاصابا اموالا عظيمة فانتجع خالدا
رجال وكان الاشعث بن قيس فيمن انتجع خالدا بقنسرين فاجازه بعشرة الف
وكان عمر لا يخفى عليه شيء في عمله فكتب اليه بخروج من خرج
في مال الغزاه من الشام وجايزه من اجيز فدعا البريد وكتب معه
الى ابي عبيده ان يقيم خالدا ويعقله بعمامته وينزع عنه قلنسوته
حتى يعلمكم من اين اجاز الاشعث امن ماله ام من اصابة فان زعم
انها من اصابة اصابها فقد اقر بخيانته وان زعم انها من ماله فقد
اسرف فاعزله على كل حال واضمم اليك عمله وكتب ابو عبيده
الى خالد فقدم عليه ثم جمع الناس وجلس لهم على المنبر فقام

البريد فقال يا خالد امن مالك اجزت بعشرة الف ام من اصابة فلم
يجبه حتى اكثر عليه وابو عبيده ساكت لا يقول شيئا فقام بلال
بعد ان قام اليه ان امير المومنين امر بكذا وكذا وتناول عمامته فنقضها
لا يمنعه سمعا وطاعة ووضع قلنسوته ثم اقامه فعقله بعمامته
وقال ما تقول امن مالك ام من اصابة قال لا بل من مالي فاطلقه
واعاد قلنسوته ثم عممه بيده وقال نسمع ونطيع لولاتنا ونفخم
ونخدم موالينا واقام خالد متحيرا لا يدري امعزول ام غير معزول
وجعل ابو عبيده يكرمه ويزيده تفخيما ولا يخبره فلما طال على عمر
ان يقدم خالد ظن الذي كان فكتب اليه بالاقبال فاتى خالد
ابا عبيده فقال رحمك الله ما اردت الى ما صنعت كتمتني امرا
كنت احب ان اعلمه قبل اليوم فقال ابو عبيده اني والله ما
كنت لاروعك ما وجدت بدا وقد علمت ان ذلك يروعك فرجع

خالد الى فسا فخطب اهل عمله وودعهم وحمل ثم خرج نحو
المدينه حتى قدم على عمر فشكاه وقال لقد شكوتك الى المسلمين
وبالله انك في امري لغير مجمل يا عمر فقال له عمر من اين هذا
الثرا قال من الانفال والسهمان ثم اخذ منه عشرين الف درهم فادخلها
بيت المال ثم قال يا خالد والله انك على لكريم وانك الى لحبيب
ولن تعاتبني بعد اليوم على شي وكتب عمر في الامصار اني
لم اعزل خالدا عن سخطه ولا خيانه ولكن المسلمين فتنوا به فخفت
ان يوكلوا اليه ويبتلوا واحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع
وان لا يكون بعرض فتنه وحج عمر في هذه السنه وبنى المسجد
الحرام ووسع فيه واقام بمكه عشرين ليله وهدم على اقوام
ابوا ان يبيعوا ووضع اثمان دورهم في بيت المال حتى اخذوها وكان
العلا بن الحضرمي بالبحرين واليا من قبل ابي بكر ثم من قبل عمر

وكان يباري سعدا فطال العلا على سعد في الردة بالفضل فلما ظفر سعد
بالقادسيه وازاح الاكاسره واخذ حدود ما يلي السواد وعربها واستعلى
وجا باعظم مما كان العلا جا به احب العلا ان يصنع شيا في
الاعاجم ورجا ان يدال كما اديل ولم ينظر العلا فيما بين فضل الطاعه
والمعصيه بجد وكان عمر لما ولاه نهاه عن البحر فلم يفكر في الطاعه
والمعصيه وعواقبها وطمع في فارس من جهته فندب اهل البحرين
الى فارس فتسرعوا الى ذلك وفرقهم اجنادا على احدها الجارود بن
المعلى وعلى الاخر السوار بن همام وعلى الاخر خليد بن المنذر بن ساوي
وخليد على جماعه الناس فحملهم في البحر الى فارس بغير اذن عمر فعبرت
تلك الجنود من البحرين الى فارس فخرجوا في اصطخر وبازايهم اهل فارس
وعلى اهل فارس الهربذ اجتمعوا عليه فحالوا بين المسلمين وبين سفنهم
فقام خليد في الناس فقال اما بعد فان الله اذا قضى امرا جرت به المقادير

حتى تصيبه وإن هؤلاء القوم لم يريدوا بما صنعوا إلا أن دعوكم إلى حربهم
وإنما جئتم لمحاربتهم والأرض والسفن لمن غلب فاستعينوا بالصبر والصلاة
فأجابوه إلى ذلك وصلوا الظهر ثم ناهدوهم في موضع يقال له طاوس
فقتل من المسلمين جماعة فيهم السوار والمنذر بن الجارود وارتجل خليد بن المنذر

وارتجز يا آل تميم اجمعوا النزول فكاد جيش عمر يزول

وكلكم يعلم ما أقول

انزلوا فنزلوا فاقتتلوا القوم فقتل أهل فارس مقتلة لم يقتلوا مثلها قبلها ثم
الباقون ثم خرجوا يريدون البصرة فغرقت سفنهم ولم يجدوا إلى الرجوع سبيلا
فوجدوا شهرك قد أخذ على المسلمين بالطرق فعسكروا وامتنعوا في نشوبهم
ذلك وبلغ عمر ما صنع العلاء من بعثه ذلك الجيش في البحر فألقي في روعه
نحو من الذي كان فاشتد غضبه على العلاء وكتب إليه بعزله وتوعده
وأمره بأثقل الأشياء عليه وقال له الحق بسعد بن أبي وقاص فيمن قبلك فهو

أمير عليك فخرج بمن معه نحو سعد وكتب عمر إلى عتبة بن غزوان
إن العلاء بن الحضرمي حمل جندا من المسلمين فأقطعهم أهل فارس وعصاني
وأظنه لم يرد الله بذلك فخشيت عليهم ألا ينصروا وأن يغلبوا وينشبوا
فاندب إليهم الناس واضممهم إليك من قبل أن يجتاحوا فندب عتبة
الناس إليهم وأخبرهم بكتاب عمر فانتدب عاصم بن عمرو وعرفجة وجماعة
يجرون مجراهم كالأحنف بن قيس وسعد بن أبي العرجاء وصعصعة بن معاوية
فخرجوا في اثني عشر ألفا على البغال يجنبون الخيل وعليهم أبو سبرة بن أبي رهم
فسار أبو سبرة بالناس وساحل لا يلقاه أحد ولا يعرض له حتى التقى مع خليد
بحيث أخذ عليهم الطرق غب وقعة القوم بطاوس وإنما كان ولي قتالهم
أهل إصطخر والشذاذ من غيرهم وقد كان أهل إصطخر حيث أخذوا بالطرق
على المسلمين وأنشبوهم استصرخوا أهل فارس كلهم فضربوا إليهم
من كل وجه وكورة فالتقوا هم وأبو سبرة بعد طاوس وقد توافت إلى

المسلمين امدادهم والى المشركين امدادهم وعلى المشركين سهرك فاقتتلوا
ففتح الله على المسلمين وقتل المشركين واصاب المسلمون منهم ما شاؤوا
وهي الغزاة التي شرفت فيها نابتة البصرة وكانوا افضل نوابت الامصار
ثم انكفأوا بما اصابوا وكتب اليهم عتبة بالحث وقلة العرجة فانضموا اليه
بالبصرة وقبل ذلك ما فتح عتبة الاهواز وقاتل فيها الهرمزان حتى ظفر به
بشتر بعد وقعات اسره في اخرها الهرمزان واعطى بيده على الرضا
بحكم عمر . وقتل الهرمزان بيده البرا ابن ثور ومجزاة بن ثور وفد
ابو سبرة وفدا فيهم انس بن مالك والاحنف بن قيس فارسل الهرمزان معهم
فقدموا مع ابي موسى البصرة ثم خرجوا الى المدينة فلما دخلوها هيأوا الهرمزان
في هيئته والبسوه كسوته من الديباج الذي فيه الذهب ووضعوا على راسه
تاجا يدعى الاذين مكللا بالياقوت وعليه حليته كيما يراه عمر والمسلمون
ثم خرجوا به على الناس يريدون عمر في منزله فلم يجدوه فسألوا عنه

فقيل لهم جلس في المسجد فلم يروه فلما انصرفوا مروا بغلمان من اهل المدينة
يلعبون فقالوا لهم ما تلددكم تريدون امير المؤمنين فانه نائم في ميمنة المسجد
متوسدا برنسه وكان عمر قد جلس لوفد الكوفة في برنس فلما فرغ من كلامهم
وارتفعوا عنه واخلوه نزع برنسه ثم توسده فنام فانطلقوا ومعهم النظارة
حتى اذا راوه جلسوا دونه وليس في المسجد نائم ولا يقظان غيره والدرة
في يده معلقة فقال الهرمزان اين عمر فقالوا ها هو ذا وجعل الوفد يشيرون
الى الناس ان اسكتوا عنه واصغى الهرمزان الى الوفد فقال اين حرسه
وحجابه عنه قالوا ليس له حارس ولا حاجب ولا كاتب ولا ديوان قال
فينبغي ان يكون نبيا فقالوا لا ولكنه يعمل عمل الانبياء وكثر الناس ودلاهم
فاستيقظ عمر بالجلبة فاستوى جالسا ثم نظر الى الهرمزان فقال الهرمزان
فقالوا نعم فتأمله وتأمل ما عليه ثم قال اعوذ بالله من النار الحمد لله الذي
اذل بالاسلام هذا واشياعه يا معشر المسلمين تمسكوا بهذا الدين واهتدوا

ا

بهدي نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فانها غرارة فقال الوفد هذا ملك الاهواز
فكلمه قال لا حتى لا يبقى عليه من حليته شي فرمى عنه بكل شي الا ما يستره
فالبسوه ثوبا صفيقا فقال عمر هيه يا هرمزان كيف رايت وبال الغدر
وعاقبة امر الله فقال يا عمر انا واياكم في الجاهلية كان الله خلى بيننا وبينكم
فغلبناكم اذ لم يكن معنا ولا معكم فلما صار معكم غلبتمونا فقال عمر انما غلبتمونا
في الجاهلية باجتماعكم وتفرقنا

ذكر خديعة للهرمزان وحيلة له حتى آمنه عمر

ثم قال عمر ما عذرك وما حجتك في انتقاضك مرة بعد مرة فقال اخاف
ان تقتلني قبل ان اخبرك قال لا تخف ذلك واستسقى ماء فاتي به في قدح
فقال لو مت عطشا لم استطع الشرب في مثل هذا فاتي به في اناء يرضاه
فجعلت يده ترعد وقال اني اخاف ان اقتل وانا اشرب فقال له عمر
لا تخف فلا باس عليك حتى تشربه فاكفاه فقال عمر اعيدوا عليه ولا

تجمعوا عليه القتل والعطش فقال لا حاجة لي في الماء انما اردت ان
استامن به فقال له عمر اني قاتلك قال قد آمنتني فقال كذبت فقال انس
صدق يا امير المؤمنين قال ويحك انا اؤمن قاتل مجزاة والبراء لتاتيني بمخرج
مما قلت قال قلت له لا باس عليك حتى تخبرني وقلت لا باس عليك حتى تشربه
وقال له جلة الصحابة ممن حوله مثل ذلك فاقبل على الهرمزان وقال تركتم
تحتك قال كلا رحى امردا هيب قال بل ذلك حتى قال قد لعنتني بالشد
قال عمر خدعتني لا والله لا اومن الا ان تسلم فقيل له اسلم والا قتلت
فاسلم ففرض له على الفين وانزله المدينة وكان المغيرة بن شعبة يترجم بينهما
الى ان حضر الترجمان فقال عمر للمغيرة سله من اي ارض انت فقال المغيرة
از كدام ارضيد فقال مهرجاني وكان المغيرة يفقه شيا فقال له عمر ما لك
حاذقا بها ما احسنها منكم احد الا خب وما خب الا دق
اياكم واياها فانها تنقض الاعراب واقبل زيد بعد ذلك يترجم
بينهما ٥

ذكر رأي صحيح للاحنف بن قيس

وقال عمر للوفد لعل المسلمين يفضون الى اهل الذمه باذى وبامور لهاما ينتقضون بكم فقالوا ما نعلم الا وفا وحسن ملكه قال وكيف هذا فلم يجد عند احد منهم ما يشفيه ويبصر به مما يقولون الا ما كان من الاحنف فانه قال يا امير المومنين اخبرك انك نهيتنا عن الانسياح في البلاد وامرتنا بالاقتصار على ما في ايدينا وان ملك فارس حي بين اظهرهم وانهم لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم يجتمع ملكان حتى يخرج احدهما صاحبه وقد رايت انا لم ناخذ شيا بعد شي الا بانبعاثهم وان ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال هذا دابهم حتى تاذن لنا فنسيح في بلادهم حتى نزيله عن بلادهم ونخرجه من مملكته وعز امته فهنالك ينقطع رجا اهل فارس ويضربوا جاشا فقال عمر صدقتني والله وشرحت لي الامر عن حقه وكان هذا سبب اذنه لهم في الانسياح

ومضى يزدجرد لمسوه المويد الى اصطخر فنزلها لانها دار المملكه

وتوجه الجنود فلما بلغ اصبهان اقام اياما وقدم سياه بنخبه من كل بلده مر بها من احب فمضى سياه واتبعه يزدجرد حتى نزلوا باصطخر ووجه سياه الى السوس ولم يزل كذلك حتى قدم عمار بن ياسر وابو موسى يومئذ بتستر فدعا سياه الروسا الذين كانوا خرجوا معه من اصبهان فقال قد علمتم انا كنا نتحدث ان هولا القوم اهل الشقا والبوس سيغلبون على هذه المملكه وتروث دوابهم في ابواب اصطخر ومصانع الملوك ويشدون خيلهم بشجرها وقد غلبوا على ما رايتم وليس يلقون جندا الا فلوه ولا ينزلون بحصن الا فتحوه فانظروا لانفسكم قالوا راينا رايك قال فليكفني كل رجل منكم حشمه والمنقطعين اليه فاني ارى ان ندخل في دينهم ووجهوا شيرويه في عشره من الاساوره الى ابي موسى ياخذ لهم شروطا على ان يدخلوا في الاسلام فقدم شيرويه على ابي موسى فقال انا قد رغبنا في دينكم على ان نقاتل معكم العجم ولا نقاتل معكم

العرب وان قاتلنا احد من العرب منعتمونا منهم وننزل حيث شئنا ونكون
فيمن شئنا منكم وتلحقونا باشرف العطا ويعقد لنا بذلك الامير الذي هو فوقك
فقال ابو موسى لكم ما لنا وعليكم ما علينا قالوا لا نرضى وكتب ابو موسى
الى عمر بذلك فقال اعطهم ما سالوك فكتب لهم ابو موسى فاسلموا
وشهدوا معه حصار تستر فلم يكن ابو موسى يرى منهم جدا ولا
نكاية فقال لسياه يا اعور ما انت واصحابك كما كنا نرى قبل اليوم
قال لسنا مثلكم في هذا الدين ولا بصايرنا كبصايركم وليس لنا فيكم
حرم نحامي عنهن ولم تلحقونا باشرف العطا ولنا سلاح
وكراع وانتم حسر وكتب ابو موسى في ذلك الى عمر فكتب اليه عمر
ان الحقهم على قدر البلا في افضل العطا والاكثر شي اخذه احد من العرب
ففرض لماية منهم في الفين الفين ولستة منهم في الفين خمسماية لسياه
وخسرو ولقبه مقلاص وشهريار وشيرويه وشهرويه وافريذون

ذكر مكيدة في فتح حصن

فاما سياه فمشى الى حصن ويقال انه بتستر في زي العجم حتى رمى بنفسه
الى جنب الحصن ونضح ثيابه بالدم واصبح اهل الحصن فراوا رجلا في زيهم
صريعا فظنوه منهم اصيبوا به ففتحوا باب الحصن ليدخلوه فثار فقاتلهم
حتى خلوا عن باب الحصن وهربوا ففتح الحصن وحده ودخله المسلمون
ولما خسرو فمشى الى حصن اخر حاصروه فاشرف عليه رجل يبيس
منهم فكلمه ثم رماه خسرو بنشابة فقتله

ذكر حيلة قوم في الحصار خرجوا بها من حصارهم وسياسة العجم

ولما جندسابور فان ابا سبرة لما فرغ من السوس خرج بجنده حتى
نزل عليها وحاصرهم اياما يغادونه ويراوحونه القتال فرمي اليهم
بامان من عسكر المسلمين ففتح بابها فلم يفجا المسلمين الا ابوابها
تفتح ثم خرج السرح وخرجت الاسواق وانتشر اهلها فارسل المسلمون

أن ما الخبر فقالوا رميتم الينا بامان فقبلناه واقررنا لكم بالجزية على

أن تمنعونا فقالوا ما فعلنا فقالوا ما كذبنا فتسأل المسلمون فيما بينهم

فاذا عبد يدعى مكنفا كان اصله منها هو الذي كتب لهم فقالوا انما هو

عبد فقالوا نحن لا نعرف حركم من عبدكم قد جانا امان فنحن

عليه قد قبلناه ولم نبدل فان شئتم فاغدروا فامسكوا عنهم وكتبوا

بذلك الى عمر فكتب اليهم لم تكونوا اوفيا حتى تفوا على الشك

اجيزوهم وفوا لهم   ثم عمل عمر براي الاحنف وعقد

الالوية للامرا والجنود من اهل الكوفة واهل البصرة وكان لوا الاحنف

على خراسان   ولما خرج يزدجرد من الجبل وصار الى مرو

وكاتب الجيوش بالاطراف فكتب الى اهل الجبال ممن بين الباب

والسند وخراسان وحلوان فتحركوا وتكاتبوا وركب بعضهم الى بعض فاجتمعوا

ان يوافوا نهاوند ثم يبرموا فيها امورهم فتوافى اليها من بين حلوان

وخراسان ومن بين الباب وحلوان ومن بين سجستان الى حلوان فاجتمعت

حلبة فارس والفهلوج واهل الجبال وهم مائة وخمسون الفا ثم تآمر الرؤسا

عند الفيرزان وكان عليهم فقالوا ان محمدا الذي جا العرب بالدين لم يعرض

عرضنا ثم ملكهم ابو بكر من بعده فلم يعرض عرض فارس الا في غارة تعرض

لهم فيها والا فيما يلي ديارهم ثم ملك عمر فطال ملكه وعرض حتى تناولكم

واخذ السواد كله والاهواز ثم لم يرض حتى اتى اهل فارس والمملكة

في عقر دارهم وهو آتيكم ان لم تاتوه وقد اخرب بيت مملكتكم

واقتحم بلاد ملككم وليس بمنته حتى تخرجوا من بلادكم جنوده

فتقطعوا هذين المصرين ثم تشغلوه في بلاده وقراره فتعاهدوا

وتواثقوا وكتبوا بينهم على ذلك كتابا وتمالوا عليه   وبلغ الخبر

سعدا وخرج الى عمر ليشافهه بذلك ولان قوما من جنده شغبوا

عليه وسعوا به الى عمر فاستخلف عبدالله عبدالله عتبان فكتب

عبد الله عبد الله الى عمر انه قد تجمعت الفرس مائة وخمسين الفا
مقابلة مستميتين فان جاؤنا قبل ان نبادرهم الشدة ازدادوا جراءة
وقوة وان نحن عاجلناهم كان ذلك لنا عليهم وكان الرسول بذلك
قريب بن ظفر ولما قدم الرسول بالكتاب على عمر وبالخبر قراه
وسمع منه وقال ما اسمك قال قريب فقال ابن من قال ابن ظفر فقال
بذلك وقال ظفر قريب ان شاء الله ولا قوة الا بالله ٥

ذكر آرا صح منها واحد

ونودي في الناس الصلاة جامعة فاجتمع الناس ووافاه سعد
فقال الى سعد بن مالك وقام عمر على المنبر خطيبا فاخبر الناس
الخبر واستشارهم وقال هذا يوم له ما بعده فاسمعوا الي واجيبوني
واوجزوا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ولا تكثروا ولا تطيلوا
فتفشغ لكم الامور ويلتوي عليكم الراي اني قد رايت ان اسير فيمن

فبمن قبلي ومن قدرت عليه حتى انزل منزلا بين هذين المصرين وسطا ثم
استنفرهم ثم اكون لهم ردا حتى يفتح الله عليهم ويقضي ما احب فقام
طلحة بن عبيد الله فقال يا امير المؤمنين قد احكمتك التجارب وانت وشانك
ورايك في ذلك طويل يشبه هذا ثم جلس فعاد عمر فقال ان هذا
يوم له ما بعده من الايام فتكلموا فقام عثمن بن عفان فتشهد وقال
اري يا امير المؤمنين ان تكتب الى اهل اليمن فيسيروا من يمنهم والى
اهل الشام فيسيروا من شامهم وتسير انت باهل الحرمين الى الكوفة
والبصرة فتلقى جمع المشركين بجمع المسلمين فانك اذا سرت بمن معك
وعندك قل في نفسك ما قد تكاثر من عدد القوم وكنت اعز عزا
يا امير المؤمنين انك لا تستبقي من نفسك بعد العرب باقية ولا تمتع
من الدنيا بعزيز ولا تلوذ منها بحريز ان هذا يوم له ما بعده من
الايام فتكلموا فقام علي بن ابي طالب عليه السلام فقال اما بعد فانك

لئن اشخصت اهل الشام من شامهم سارت الروم الى ذراريهم وان اشخصت
اهل اليمن من يمنهم سارت الحبشة الى ذراريهم ولئن اشخصت اهل
الارض انتقضت عليك العرب من اطرافها واقطارها حتى تكون
ما تدع وراءك اهم اليك مما بين يديك من العورات والعيالات
اقرر هؤلاء في امصارهم واكتب الى اهل البصرة فليفترقوا ثلث فرق
فلتقم فرقة في اهل عهدهم لئلا ينتقضوا عليهم ولتسر فرقة الى اخوانهم
بالكوفة مددا لهم لان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا
امير العرب واصل العرب كان اشد لكلبهم والتيامهم عليك فاما
ما ذكرت من مسير القوم فان الله هو اكره لمسيرهم منك وهو اقدر
على تغيير ما يكره واما ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى
بالكثرة ولكنا كنا نقاتلهم بالنصر فقال عمر اجل هذا الرأي والله
لئن سرت لتنتقضن علي الارض من اطرافها واكنافها ولئن نظرت

الى الاعاجم لا يفارقوا العرصة وليمدنهم من لم يمدهم وليقولن هذا
اصل العرب فان اقتطعتموه فقد اقتطعتم اصل العرب فاشيروا
علي برجل اوليه ذلك الثغر وليجعلوه عراقيا فقالوا انت اعلم يا امير
المؤمنين بجندك من اهل العراق وقد وفدوا عليك فرأيتهم وكلمتهم
وكان النعمان بن مقرن على كسكر ولاه سعد الخراج بها فكتب الى عمر
ان مثلي ومثل كسكر مثل رجل شاب الى جنبه مومسة تلون له
وتعطر وانشدك الله لما عزلتني وبعثتني الى جيش من جيوش المسلمين
فلما كان هذا اليوم الذي خطب فيه عمر وجرى ما جرى بما اشبهه
قال عمر اما والله لاولين امرهم رجلا ليكونن اول الاسنة
اذا لقيها غدا فقيل من يا امير المؤمنين فقال النعمان بن مقرن قالوا هو
لها فكتب اليه عمر ان ائت نهاوند فانت على الناس بها فلما التقوا
كان اول قتيل وسنحكي خبره في موضعه ورد عمر

فرهب بن ظهير ورد معه السائب بن الاقرع وكان السائب يومئذ
منذر بالامانة وقسمة الفيء لانه كان كاتبا حاسبا كما كان محمد بن مسلمة
منذر بالتتبع للعمال والطواف عليهم وقال عمر للاقرع ان فتح الله
عليكم فاقسم ما افا الله عليهم ولا تخدعني ولا ترفع الي باطلا
ولن يكذب القوم فلا تراني ولا اراك فبطن الارض خير لك من ظهرها
فقدما الكوفة بكتاب عمر بالاستحثاث وكان اسرع اهل الكوفة
الى ذلك الروادف ليبلوا في الدين وليدركوا حظا

ذكر خديعة للهرمزان ما امنت له على عمر

كان عمر بن الخطاب استدعى الهرمزان حين امنه فقال انصح لي فقد
امنتك قال نعم ان الفرس اليوم راس وجناحان قال فاين الراس
قال نهاوند مع بندار ومعه اساورة كسرى واهل اصبهان فقال
فاين الجناحان فذكر مكانا ثم قال الهرمزان فاقطع الجناحين يهن

الراس فقال عمر كذبت يا عدو الله بل اعمد الى الراس فاقطعه
فاذا قطعه الله لم ينقض عليه الجناحان فكتب الى ابي موسى ان سر
باهل البصرة وكتب الى حذيفة ان سر باهل الكوفة وبعث بعثا
من المدينة فيهم ابنه عبد الله بن عمر وفيهم المهاجرون والانصار
وقال اذا التقيتم فاميركم النعمن بن مقرن فخرج حذيفة بن اليمان
بالناس ومعه نعيم بن مقرن حتى قدموا على النعمن بالطزر وجعلوا
بمرج القلعة خيلا عليها النسير وقد كتب عمر الى سلمى بن القين
وحرملة وزر بن كليب ومقوا المسلمين الذين كانوا بين فارس
والاهواز ان اشغلوا فارس عن اخوانكم وحوطوا بذلك امتكم وارضكم
واقيموا على حدود ما بين الاهواز وفارس حتى ياتيكم امري وبعث
مجاشع بن مسعود السلمي الى الاهواز وقال له انحل منها على ماه
فلما صار بغضي شجر ناحية مرج القلعة لعزة النعمن ان يقيم بمكانه

وفصل سلمى وحرملة وزر وكانوا في تخوم اصبهان وفارس فقطعوا
بذلك عن اهل نهاوند الامداد من فارس ووردعلى النعمن وهو
بطزر كتاب عمر ان معك حد العرب ورجالهم فاستعن
بهم وبرائهم وسل طليحة وعمرا ولا تولهم شيا فبعث من الطزر
طليحة وعمرا وعمرو بن ابي سلمى ليوتوه بالخبر فاما عمرو وعمرو
فانهما رجعا من الطريق آخر الليل فقال طليحة ما الذي رجعكما
قالا سرنا يوما وليلة ولم نر شيا وخفنا ان يوخذ علينا بالطريق
ونفذ طليحة ولم يحفل لهما ومضى طليحة حتى انتهى الى نهاوند
وبينها وبين الطزر بضعة وعشرون فرسخا فقال الناس لما رجع
العمران ومضى طليحة قد ارتد الثانية فلما علم طليحة علم
القوم رجع حتى اذا انتهى الى الجمهور كبر الناس فقال ما شان
القوم فاخبروه بالذي خافوا عليه فقال والله لو لم يكن

الا العربية فقط ما كنت لاجز هذه العرف العارية لهذه العجم
الطماطمة فاتى النعمن فدخل اليه واخبره ان ليس بينه وبين
نهاوند شيء يكرهه فنادى النعمن بالرحيل وعباهم وجعل على المجردة
القعقاع بن عمرو وكذلك جعل على ميمنته وميسرته ومقدمته اهل
الجدات فلما اجتمعوا بنهاوند ارسل اليهم الفرس ان ارسلوا رجلا
نكلمه فارسلوا المغيرة بن شعبة فلما رجع سالوه عما جرى فقال
وجدت العلج قد استشار اصحابه باى شيء ياذنون لهذا العربي
بالشارة والبهجة او بالتقشف له فاجتمع رايهم على افضل ما يكون
من الشارة والعدة فتهيؤوا لها فلما اتيناهم كادت تلك الحراب
والنيازك يلتمع منها البصر واذا هم على راسه مثل الشياطين
واذا هو على سرير من ذهب على راسه التاج فالقمت كما انا
ونكست راسي فدفعت ونهيت فقلت الرسل لا يفعل بهم هذا

فقالوا انما انت كلب فقلت معاذ الله لانا في قومي اشرف من هذا
في قومه فانتهروني وقالوا اجلس فاجلسوني ثم قال وترجم لي
قوله انكم معشر العرب ابعد الناس من كل خير اطول الناس
جوعا واشقاهم شقا واقذرهم قذرا وابعدهم دارا وما منعني
ان آمر هولاء الاساورة حولي ان ينتظموكم من النشاب بمثل شوك
القنفذ الا تنجسا لجيفكم فانكم ارجاس فان تذهبوا نخل عنكم
وان تابوا نبوئكم مصارعكم قال فحمدت الله واثنيت عليه ثم قلت
والله ما اخطات من صفتنا شيئا ان كنا لكذلك حتى بعث الله الينا
رسولا فوعدنا النصر في الدنيا والجنة في الآخرة فوالله ما زلنا
نتعرف من ربنا منذ جانا رسوله الفتح والنصر حتى اتيناكم ولنا والله
لا نرجع الى ذلك الشقا ابدا حتى نغلبكم على ما في ايديكم او نقتل
بارضكم فقال اي والله لقد صدقكم الاعور ما في نفسه فقمت

وقد ارعبت العلج فارسل الينا العلج اما ان تعبروا الينا واما ان
نعبر اليكم فقال النعمن اعبروا وكانوا قد انتهوا الى الاسبيذهان
وهم وقوف دون وادي خرد على تعبيتهم ولم يبرح الفيرزان
وقد جعل بهمن جاذويه مكان ذي الحاجب فهو على مجنبته وقد توافى
اليه كل من غاب عن القادسية والايام من اهل الثغور وامرائها
واعلامهم وانشب النعمن بعدما حط الاثقال وضرب الفسطاط
للقتال فاقتتلوا يوم الاربعا ويوم الخميس وهم كانهم جبال الحديد
وقد توثقوا ان لا يفروا من العرب والقوا حسك الحديد خلفهم وقالوا
من فر منا عقره حسك الحديد فقال المغيرة حين راى كثرتهم
لم ار كاليوم فشلا ان عدونا يتركون يتاهبون لا يعجلون اما والله لو ان
الامر الي لاعجلتهم وكان النعمن رجلا لينا فقال له قد كان الله يشهدك
امثالها فلا يحزنك انه والله ما منعني من المناجزة الا شي شهدته

من رسول الله صلى الله عليه اذا غزا فلم يقاتل اول النهار ولم يعجل
حتى تحضر الصلاة وتهب الارواح ويطيب القتال فما منعني الا ذلك
اللهم اني اسالك ان تقر عيني بفتح يكون فيه عز الاسلام وذل الكفار
ثم اقبضني اليك على الشهادة امنوا يرحمكم الله فامنا وبكينا ثم اقدم
بعد الصلاة للقتال قال ولما كان يوم الجمعة انجحروا في خنادقهم
وذلك لما راوا واصبنا انا لا نبرح العرصة فصبروا معنا ثم انهم لم يصبروا
فحصرهم المسلمون فاقاموا عليهم ما شاء الله والفرس بالخنادق لا يخرجون
الا اذا ارادوا فاشتد ذلك على المسلمين جدا وخافوا ان يطول العربهم

ذكر الرايح احدها على طريق المكيدة

حتى اذا كان ذات يوم جمعة من الجمع جمع اهل الراي من المسلمين
فتكلموا وانتدب النعمن وقالوا نراهم بالخنادق والقوة وهو يروي فيما رووا
فيه فقال على رسلكم لا تبرحوا وبعث الى من بقي من اصحاب النجدات

والراي في الحرب فتوافوا اليه فتكلم النعمن فقال قد ترون المشركين
واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمداين وانهم لا يخرجون الا
اذا شاوا ولا يقدر المسلمون على انغاضهم وانبعاثهم قبل مشيتهم
وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق الذي هم فيه وعليهم
الخروج فما الراي الذي به نحمشهم ونستخرجهم الى المنابذة وترك التطويل
فتكلم عمرو بن ثبي سلمي وكان اسن القوم فقال التحصن اشد عليهم من
المطاولة عليكم فدعهم ولا تحرجهم وطاولهم وقاتل من اتاك منهم
فردوا جميعا عليه رايه وقالوا انا على يقين من انجاز ربنا موعده
لنا وتكلم عمرو بن معدي كرب فقال ناهدهم وكاثرهم ولا تخفهم فردوا
جميعا عليه رايه وقال انما ناطح الجدران وتكلم طليحة فقال قدوا لا
ولم يصيبا تفسير ما ارادا فاما انا فارى ان تبعث خيلا موذنة فيحدقوا بهم
ثم يرموهم لينشبوا القتال ويحمشوهم فاذا استحمشوهم واختلطوا بهم

وارادوا الخروج اذنوا الينا استطرادا فانا لم نستطرد لهم في طول
ما قاتلناهم الى اليوم فانهم اذا راوا ذلك منا طمعوا في هزيمتنا ولم
يتشككوا فيها وخرجوا فجادونا وجاددناهم حتى يقضي الله بيناه
فامر النعمن بن عمرو وكان على المجرده بذلك ففعل وانشب القتال
بعد احتجاز من العجم وانغضهم فلما خرجوا نكص ثم نكص واغتنمها العجم
ففعلوا كما ظن طليحه وقالوا هي هي فخرجوا فلم يبق احد الا من يقوم
لهم على الابواب وجعلوا يركبونهم حتى ارز القعقاع الى الناس
وانقطع القوم عن حصنهم بعض الانقطاع والنعمن والمسلمون
على تعبيتهم وفي يوم جمعه في صدر النهار وقد عهد النعمن عهده
وقال ان اصبت ففلان وان اصيب ففلان وامرهم ان يلزموا الارض
ولا يقاتلوا حتى ياذن لهم ففعلوا واستتروا بالحجف من الرمي وجعل
المشركون يرمونهم حتى افشوا فيهم الجراحات وشكا بعض الناس ذلك

الى بعض ثم قالوا للنعمن الا ترى ما نحن فيه الا تاذن لنا في الحمله فقال لهم
النعمن رويدا رويدا قالوا ذلك مرارا فاجابهم بمثل ذلك فقال المغيره
لو ان هذا الامر الي علمت ما اصنع فقال رويدا ترى امرك قد كنت
تلي الامر فتحسن فلا يخذلنا الله ولا اياك ونحن نرجو في المكث مثل
ما ترجو في الحث ولننتظر النعمن احب الاوقات كان الى رسول الله صلى
الله عليه فلما كان قريبا من تلك الساعه وهي الزوال سار فوقف
على الرايات ومدحهم وحضهم ثم عاد الى موقفه وكبر الاولى والثانيه
والثالثه والناس على غايه السمع والطاعه وحمل النعمن والناس معه
فالتقوا بالسيوف فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السامعون بوقعه
قط كانت اشد منها لا يوما ولا ليله ولا غيرها مما تقدم فقتلوا فيها
من الفرس فيما بين الزوال والاعتام ما طبق ارض المعركه دما يزلق
فيه الناس والدواب وزلق بالنعمن فرسه وصرع فاصيب وتناول

الراية اخوه نعيم بن مقرن وجي النعمن بثوب واتى حذيفة بالراية
وكان عهد اليه بعده فاقام اللوا وقال المغيرة اكتموا مصاب اميركم
حتى ننظر ما يصنع الله فينا لئلا يهن الناس واقتتلوا فلما اظلم
الليل انكشف المشركون وتركوا قصدهم ولحقوا ولحق اللهب الذي
كانوا نزلوا دونه باسبيذهان فوقعوا فيه وجعل لا يهوي احد الا
قال واى خرد هسى بزال واى خرد الى اليوم فمات فيه منهم نحو مائة الف
وقتل في المعركة اعدادهم ولم يفلت الا الشريد ونجا الفيرزان من الصرعى
في المعركة فهرب نحو همذان في ذلك الشريد فاتبعه نعيم بن مقرن
وقدم القعقاع قدامه فادركه حين انتهى الى ثنية همذان وكانت الثنية
مشحونة من بغال وحمير موقرة عسلا فحبسته الدواب على اجله فلما
غشيه القعقاع وهو لا يجد طريقا فنزل في الجبل ونزل القعقاع
في اثره حتى اخذه ومضى الفلال حتى انتهوا الى مدينة همذان والخيل

في اثارهم فدخلوها وسميت الثنية ثنية العسل وقال المسلمون ان لله
جنودا من عسل ولسنا فوا العسل وما خالطه من سائر الاحمال
ودخل المسلمون بعد هزيمة الفرس نهاوند واحتووا على ما فيها وجمعوا
الاسلاب الى صاحب الاقباض السائب بن الاقرع فبينا هم كذلك اقبل
الهربذ صاحب بيت النار على امان فابلغ حذيفة فقال اتؤمنني على ان
اخبرك بما اعلم قال نعم فقال ان النخيرجان وضع عندي ذخيرة كسرى
وانا مخرجها لك على اماني وامان من شئت فاعطاه ذلك واخرج
له الذخيرة سفطين عظيمين ليس فيهما الا اليواقيت واللؤلؤ فلما
فرغ السائب من قسمة الاموال اجتمع رأي المسلمين على دفعها الى
عمر قال السائب فاصاب سهم الفارس سته الاف والراجل الفان
فلما فرغت قدمت على عمر ومعي السفطان فقال ما وراءك يا سائب فقلت
خيرا يا امير المومنين فتح الله عليك فاعظم الفتح واستشهد النعمن بن مقرن

فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون ثم بكى فنشج حتى انى لانظر الى فروع
منكبيه من فوق كتده قال فلما رايت ما لقي قلت يا امير المومنين ما اصيب
بعده رجل يعرف وجهه فقال المستضعفون من المومنين لكن الذي
اكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وانسابهم وما يصنعون بمعرفة
ابن ام عمر ثم قام ليدخل فقلت ان معي مالا اعظم جئت به ثم اخبرته
الخبر عن السفطين فقال ادخلهما بيت المال حتى ننظر في شانهما والحق
بجندك قال فادخلتهما بيت المال وخرجت سريعا الى الكوفة وبات تلك
الليلة التي خرجت فيها فلما اصبح بعث في اثري رسولا فوالله ما ادركني حتى
دخلت الكوفة فانخت بعيري واناخ بعيره على عرقوبي بعيري وقال
الحق بامير المومنين فقد بعثني في طلبك فلم اقدر عليك الا الان قال
قلت ويلك ولماذا قال لا ادري والله فركبت معه حتى قدمت عليه
فلما راني قال مالي ولابن ام السايب بل ما لابن ام السايب ومالي قال قلت

وما ذاك يا امير المومنين قال ويحك والله ان هو الا ان نمت في الليلة
التي خرجت فيها فباتت ملايكة الله تسحبني الى ذينك السفطين يشتعلان
نارا يقولون لنكوينك بهما فاقول اني ساقسمهما بين المسلمين فخذهما عني
لا ابا لك فالحق بهما فبعهما في اعطية المسلمين وارزاقهم قال فخرجت بهما
حتى وضعتهما في مسجد الكوفة وغشيني التجار فابتاعهما مني عمرو بن
حريث المخزومي بالفي الف درهم ثم خرج بهما الى ارض الاعاجم فباعهما
باربعة الف الف درهم فما زال اكثر اهل الكوفة مالا بعد ذلك وقسم
حذيفة لاهل المسالح جميعا في نهاوند مثل الذي قسم لاهل
المعركة لانهم كانوا ردا للمسلمين لئلا يوتوا من وجه من الوجوه
وكان خلف قوما على قلاع يحاصرون من فيها لئلا ينزلوا فيوتى المسلمون
من قبلهم فقسم لهم ايضا وسمي يوم نهاوند فتح الفتوح ولم تكن للفرس
بعد قايمة ومن عجيب ما مر لهم في حصار نهاوند ان رجلا

ثم قال له جعفر بن راشد قال لطليحة لقد أخذتنا خلة فهل بقي من أعاجيبك
شيء تنفعنا به فقال كما أنتم حتى أنظر فأخذ كساء فتقنع به غير كثير
ثم قال البيان البيان غنم الدهقان في البستان مكان أروبان فدخلوا
البستان فوجدوا الغنم مسمنة ۝ ثم جاء دينار إلى حذيفة
فصالحه عن ماه فنسبت إليه ماه وكان يوافي الكوفة كل سنة فقدم
الكوفة في إمارة معاوية فقام في الناس جميعا فقال يا معشر أهل
الكوفة إنكم أول ما مررتم بنا كنتم خيار الناس فغبرتم بذلك زمان
عمر وعثمان ثم تغيرتم وفشت فيكم خلال أربع بخل وخب وغدر وضيق
لم تكن فيكم واحدة منهن فنظرت في ذلك فإذا ذلك في مولديكم فعلمت من
أين أتي فإذا الخب من قبل النبط والبخل من قبل فارس والغدر من قبل
خراسان والضيق من قبل الأهواز ۝ ثم إن نعيم بن مقرن فتح همذان
وسار إلى الري وكان بالري يومئذ سياوخش ملكا عليها وهو سياوخش

بن مهران بن بهرام شوبين فاستمد أهل دنباوند وطبرستان وقومس
وجرجان وقال قد علمتم أن هؤلاء إن حلوا بالري أنه لا مقام لكم
فاحتشدوا له فناهده سياوخش فالتقوا في سفح جبل الري إلى جنب
مدينتها فاقتتلوا به وكان الزينبي مستوحشا من سياوخش فكاتب
نعيم بن مقرن وصالحه وعاونه وكان الزينبي قال لنعيم إن القوم
كثير وأنت في قلة فابعث معي رجلا أدخل بهم مدينتهم من مدخل
لا يشعرون به وناهدهم أنت فإنهم إذا خرجوا عليهم لم يثبتوا لذلك
فبعث معه نعيم خيلا من الليل عليها ابن أخيه المنذر بن عمرو فأدخلهم
الزينبي المدينة ولا يشعر القوم وبيتهم نعيم بياتا فشغلهم عن مدينتهم
فاقتتلوا وصبروا حتى سمعوا التكبير من ورائهم ثم إنهم انهزموا
فقتلوا مقتلة عظيمة وأفاء الله على المسلمين بالري نحوا من فيء
المدائن وصالحه الزينبي على أهل الري ومرزبه عليهم ۝

وكتب نعيم بالفتح وبعث بالاخماس الى عمر ○ وكان بكير بن عبد الله
قد توجه الى اذربيجان وامده نعيم بعد فتح الري بسماك بن خرشه
الانصاري فاما المصمغان وهو مردانشاه صاحب دنباوند والخزر
والارز والسرو فانه راسل نعيما في الصلح على شي يفتدي منه به
غير ان يسأله النصر والمنعة فقبل منه وكتب له كتابا على غير نصر
ولا معونة على احد تجري ذلك لهم ○ وقدم سويد بن مقرن
اخاه بامر عمر الى قومس فلم يقم له احد فاخذها سلما وكتب لهم
امانا وقبل جزيتهم ثم كاتب ملك جرجان رزبان صول ثم سار اليها
فبادره بالصلح وتلقاه فدخل معه جرجان وعسكر بها وجبى اليه الخراج
وسمى له فروجها فسدها بترك دهستان ورفع الجزية عمن اقام
بمنعتها واخذ الخراج من باقي اهلها وكتب بينهم كتابا بالامان وقبول
الجزية به ما نصحوا وادوا المسلمين ○ وعلى ان من سب مسلما

بلغ جهده ومن ضربه حل دمه ○ وراسله الاصبهبذ في الصلح
ان يتوادعا ويجعل له شيئا على غير نصر ولا معونة على احد فكتب له
بذلك كتابا على الا يؤوون للمسلمين بغية ولا يسلون لهم الى عدو
ولا يدخل عليه الا باذنه وكذلك سبيلهم ○ وكان بكير سار حين بعث
الى اذربيجان حتى اذا طلع بحيال جرميذان طلع عليهم اسفندياذ بن
الفرخزاذ مهزوما من واج روذ فكان اول قتال لقيه باذربيجان
فاقتتلوا فهزم جنده واخذ بكير اسفندياذ اسيرا فقال له اسفندياذ الصلح على
اذربيجان احب اليك ام الحرب قال بل الصلح قال فامسكني عندك
فان اهل اذربيجان ان لم اصالح عليهم او اجي لم يقوموا وجلوا الى الجبال
التي حولها من القبج والروم ومن كان على التحصن تحصن الى يوم ما فامسكه
عنده فاقام وهو في يده وصارت البلاد اليه الا ما كان من حصن وقدم
عليه سماك بن خرشه وقد صار اسفندياذ في اساره ○

وفتح عتبه بن فرقد من جهته ما يليه فقال بكير لسماك بن خرشه كالمازح
ما الذي اصنع بك وبعتبه اريد ان امضي قدما واخلفكما فان شئت فاذهب
معي وان شئت لبثت عتبه فقد اذنت لك وكاتب عمر في ذلك فكتب اليه
في الاذن على ان يتقدم نحو الباب وامره ان يستخلف على عمله فاستخلف
عتبه على ما افتتح ومضى قدما وقدم اسفندياذ الى عتبه واقر عتبه سماك
بن خرشه وليس بابي دجانه على عمل بكير الذي كان افتتح وجمع عمر
اذربيجان كلها لعتبه بن فرقد وكان بهرام بن الفرخزاذ اخذ بطريق عتبه بن فرقد
واقام له في عسكره حتى قدم عليه عتبه فقاتله فهزمه عتبه وهرب
بهرام فلما بلغ خبر هزيمته اسفندياذ وهو في الاسار عند بكير قال الان
تم الصلح وطفئت الحرب وعادت اذربيجان سلما فبعث بالاخبار وكان
بكير سبق عتبه بفتح ما ولي وتم الصلح بعدما هزم عتبه بهرام وكتب
عتبه بينه وبين اهل اذربيجان كتابا حيث جمع له عمل بكير الى عمله

بالامان وشروط الجزيه وقرى المسلمين وغير ذلك وانفذ عمر سراقه
بن عمرو وكان يكنى ذا النون الى الباب وجعل على مقدمته عبد الرحمن بن
ربيعه وسمى احدى مجنبتيه حذيفه بن اسيد وسمى للاخرى بكير بن عبد الله الليثي
وهو الذي كان بازاء الباب قبل قدوم سراقه عليه فلما قدم سراقه قدم
بكيرا في اداني الباب فدخل بكير بلاد الباب والملك يومئذ شهربراز
الذي افسد بني اسرائيل واعرى الشام منهم وكاتب عبد الرحمن شهربراز
واستامنه على ان ياتيه ففعل فاتاه فقال له اني بازاء عدو كلب وامم
مختلفه لا ينسبون الى احساب وليس ينبغي لذي الحسب والعقل ان يعين
هولاء ولا يستعين بهم على ذوي الاحساب والاصول وذو الحسب
قريب ذي الحسب حيث كان ولست من الارمن في شي ولا من القبق
وانكم قد غلبتم على بلادي وامتي وانا اليوم منكم ويدي مع ايديكم وصغوي
معكم وجزيتنا اليكم والنصر لكم والقيام بما تحبون فلا تذلونا بالجزيه

فتوهنوا العدو ولم فقال عبد الرحمن فوقي امير قد اظلك فسر اليه فجوزه
فسار الى سراقه فلقيه بمثل ذلك فقال سراقه قد قبلت ذلك ممن كان معك
على هذا ما دام عليه ولا بد من الجزى ممن يقيم ولا ينهض فقبل ذلك وكتب
سراقه الى عمر بن الخطاب بذلك فاجازه وحسنه وصارت سنه فيمن يحارب
العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزى ان يستنفروا فتوضع
عنهم جزى تلك السنه ووجه سراقه بعد ذلك بكير بن عبد الله
وحبيب بن مسلمه وحذيفه بن اسيد وسلمان بن ربيعه الى الجبال المطيفه
بارمينيه ووجه بكيرا الى موقان وحبيبا الى تفليس وحذيفه الى جبال اللان
وسلمان الى الوجه الاخر وكتب سراقه بالفتح وبمن وجهه من هولا النفر الى عمر
الخطاب امر لم يكن يرى انه يستتم بتلك السرعه بغير مونه فلما استوسق
الامر بتلك الناحيه ولم يتحلوا عدل الاسلام مات سراقه واستخلف عبد الرحمن
ربيعه فاقر عمر عبد الرحمن على فرج الباب وامره بغزو الترك فخرج

عبد الرحمن بالناس حتى قطع الباب فقال له شهربراز ما تريد ان تصنع قال
بلنجر قال انا لنرضى منهم ان يدعونا من دون الباب قال لكنا لا نرضى
منهم بذلك حتى ناتيهم في ديارهم وبالله ان معنا اقواما لو ياذن لنا اميرنا
في الامعان لبلغت بهم الردم قال وما هم قال قوم صحبوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ودخلوا في هذا الامر بنيه كانوا اصحاب حيا وتكرم في الجاهليه
فازداد حياوهم وتكرمهم فلا يزال هذا الامر دايما لهم ولا يزال النصر
معهم حتى يغيرهم من يغلبهم او يلفتوا عن حالهم بمن يغيرهم فغزا بلنجر غزاه
في زمن عمر لم تيم فيها المراه ولا ييتم فيها صبي وبلغت خيله البيضا على راس
مايتي فرسخ من بلنجر ثم غزا فسلم ايضا وغزا في زمن عثمن واصيب عبد الرحمن
حين تبدل اهل الكوفه في امارة عثمن لما استعمل من كان ارتد استصلاحا
لهم فسادا من طلب الدنيا وعضلوا بعثمن حتى كان يتمثل
وكنت وعمرو كالمسمن كلبه فخدشه انيابه واظافره

وكان عبد الرحمن ربيعة لما غزا الترك قالوا ما اجترا علينا هذا الرجل
الا ومعهم الملائكة يمنعهم من الموت فتحصنوا منه وهربوا فرجع بالغنم
فلما كان بعد ذلك غزا تلك الغزوات الاخر على تلك العادة حتى اذا كان
في زمن عثمن بعد السنين الست منه غزا غزوة وكان من الترك طايفة
في الغياض مختفين فرمى رجل منهم مسلما على غرة فقتله وهرب عنه
اصحابه فتجاسروا بعد ذلك فتنادوا فاما عبد الرحمن فقتل واستنكر
القتال واخذ الراية سلمان بن ربيعة فخرج بالناس على جيلان الى جرجان
واجترا الترك بعد ها ولم يمنعهم ذلك من اتخاذ جسد عبد الرحمن فهم
يستسقون به حتى الان ه ولما انتهى يزدجرد في مسيره هذا جلولا
الى البيت كان عليها آبان جاذويه فوثب عليه فاخذه فقال يا آبان جاذويه
تغدرني قال لا ولكنك تركت ملكك وصار في يد غيرك واردت ان
اكتب على ما كان لي من شيء وما اردت من غير ذلك واخذ خاتم يزدجرد

وكتب الصكاك على الادم وسجل السجلات بكل ما اعجبه ثم ختم عليها
ورد الخاتم ثم اتى بعد سعدا فرد عليه كل شيء في كتابه واستوحش
يزدجرد من آبان وكرهه فخرج هاربا منه الى اصبهان ومعه النار واراد
كرمان ثم عزم على خراسان ليستمد الترك والصين وهو وهب منهم
فاتى مرو فنزلها وبنى للنار بيتا واطمان في نفسه ه وخرج عبد الله
بن عامر من البصرة في هذه السنة وهي سنة احدى وثلثين غازيا الى خراسان
ففتح نيسابور وطوس ونسا حتى بلغ سرخس وعلى مقدمته الاحنف بن قيس
فلقيه الهياطلة وهم اهل هراة فهزمهم الاحنف فبعثه ابن عامر
الى طخارستان فلما دنا الاحنف من مرو الشاهجان خرج منها يزدجرد
نحو مرو الروذ فنزلها ونزل الاحنف مرو الشاهجان وكتب يزدجرد
الى خاقان من مرو الروذ يستمده وكتب الى ملك الصغد يستمده
فخرج رسولاه اليهما وكتب الى ملك الصين يستعينه وخرج الاحنف

من مرو الشاهجان واستخلف عليها بعد ما لحقته الامداد من اهل الكوفه
فاصد امرو الروذ فلما بلغ مسيره يزدجرد خرج الى بلخ ونزل الاحنف مرو الرود
وقدم اهل الكوفه فساروا الى بلخ واتبعهم الاحنف فالتقى اهل الكوفه
ويزدجرد ببلخ فهزم يزدجرد وتوجه في اهل فارس الى النهر فعبر
ولحق الاحنف باهل الكوفه وقد فتحوا بلخ وعاد الاحنف الى مرو
الروذ وكتب عمر الى الاحنف اما بعد فلا تجوزوا النهر واقتصروا
على ما دونه وبلغ رسولا يزدجرد خاقان وغارك فلم يستتب لهم انجاده
حتى عبر اليهم النهر مهزوما فانجده خاقان فاقبل في الترك وحشر
اهل فرغانه والصغد حتى خرجهم راجعا الى خراسان فعبر الى بلخ
وعبر معه خاقان فارز اهل الكوفه الى مرو الرود الى الاحنف

ذكر راي صحيح في وقت شده

فاستشار الاحنف المسلمين فاختلفوا فمن قايل يقول نرجع الى مرو

وقايل يقول نقيم ونستمد وقايل يقول نناجزهم وخرج المشركون
من بلخ حتى نزلوا على الاحنف بمرو الروذ وكان الاحنف حين بلغه عبور خاقان
نهر بلخ غازيا له خرج في عسكره ليلا يتسمع هل يسمع براي ينتفع به فلما
خرج مر برجلين ينقيان علفا اما تبنا واما شعيرا واحدهما يقول لصاحبه
الراي للامير ان يلقى العدو حيث لقيهم لولا فاته ارعب لهم فقال له
الاخر اخطات الراي ان لقي العدو مصحرا في بلادهم لقي جمعا كثيرا بعدد
قليل فان جالوا جوله اصطلمونا ولكن الراي للامير ان يسندنا الى هذا الجبل
ليكون النهر بيننا وبين عدونا خندقا وكان الجبل في ظهورنا ان يوتى
من خلفنا وكان قتالنا من وجه واحد رجونا ان ينصرنا الله فرجع واجتزا
بها ذلك في ليله مظلمه فلما اصبح جمع الناس ثم قال انكم قليل وعدوكم
كثير فلا يهولنكم كم من فيه قليله غلبت فيه كثيره باذن الله والله
مع الصابرين ارتحلوا من مكانكم فاستندوا الى هذا الجبل فاجعلوه

في ظهوركم واجعلوا النهر بينكم وبين عدوكم وقاتلوه من وجه
واحد ففعلوا وقد اعدّوا اماكن لحربهم وهم في عشرة الف من اهل البصرة
واهل الكوفة نحو منهم واقبلت الترك ومن اجلبت من الصغد
وغيرهم حتى نزلوا بهم وكانوا يغادونهم ويراوحونهم ويتنحون عنهم
بالليل ما شاء الله   وطلب الاحنف علم مكانهم بالليل فخرج
ليلة بعد ما علم علمهم طليعة لاصحابه حتى كان قريبا من عسكر
خاقان فوقف فلما كان في وجه الصبح خرج فارس من الترك بطوقه
وضرب بطبله ثم وقف من العسكر موقفا يقفه مثله فحمل عليه
الاحنف فاختلفا طعنتين فطعنه الاحنف فقتله وقال الاحنف
فارتجز   ان على كل رئيس حقا   ان يخضب الصعدة او تندقا
ثم وقف موقف التركي واخذ طوقه وخرج آخر من الترك ففعل
فعل صاحبه فحمل عليه الاحنف فقتله ثم وقف موقف التركي الثاني

قال الاحنف فارتجز
ان الرئيس يرتبي ويطلع   ويمنع الخلاء اذا ما اربعوا
واخذ طوق التركي ثم خرج الثالث ففعل فعل الرجلين ووقف دون الثاني
منهما فحمل عليه الاحنف فقتله قال وارتجز
جري الشموس ناجزا بناجز   محتفل في جريه مشارز
ثم انصرف الى عسكره ولا يعلم بذلك احد وكان من شيمة الترك انهم
لا يخرجون حتى يخرج ثلاثة من كهولهم وفرسانهم يضربون بالطبول ثم يخرجون
بعد خروج الثالث فخرجت الترك ليلتئذ بعد الثالث على فرسانهم
مقتلين فتشاءموا وتشاءم خاقان وتطير وقال قد طال مقامنا واصيب
هؤلاء القوم بمكان لم يصب بمثله احد منا ما لنا في قتال هؤلاء القوم
من خير انصرفوا بنا فكان وجوههم راجعين وارتفع النهار للمسلمين
ولا يرون شيئا واتاهم الخبر بانصراف خاقان الى بلخ   وقد كان يزدجرد

ترك خاقان مرو الروذ وخرج الى مرو الشاهجان فتحصن منه حارثة
بن النعمان خليفة الاحنف فحصرهم واستخرج خزائنه من موضعها وخاقان
ببلخ ينتظره مقيم له فقال المسلمون نحن نتبع خاقان فقال بل اقيموا
مكانكم   ولما جمع يزدجرد ما كان في يديه مما وضع بمرو واعجل
عنه واراد ان يستقل منها حاول امرا عظيما من خزائن اهل فارس
وكان اراد اللحاق بخاقان فقال اهل فارس ما تريد ان تصنع
قال اريد اللحاق بخاقان فاكون معه او بالصين فقالوا له مهلا
فان هذا راي سوء انك انما تاتي قوما في مملكتهم وتدع ارضك
وقومك ولكن ارجع بنا الى هولا القوم فنصالحهم فانهم اوفيا
واهل دين وهم يلون بلادنا وان عدوا يلينا في بلاده لا دين لهم فلا ندري ما وفاؤهم فابى عليهم
فابوا عليه قالوا فدع خزائننا نردها الى بلادنا ومن يليها

لا تخرجها من بلادنا الى غيرها فابى فقالوا انا لا ندعك فاعتزلوا
وتركوه في حاشيته ثم اقتتلوا فهزموه واخذوا الخزائن واستولوا عليها
ونكبوه وكتبوا الى الاحنف بالخبر فاعترضهم المسلمون والمشركون
بمرو فقاتلوه واصابوه في آخر القوم واعجلوه عن الاثقال ومضى حتى
قطع النهر الى فرغانة والترك فلم يزل مقيما زمان عمر كله يكاتبهم
ويكاتبونه الى زمان عثمان رضه   واقبل اهل فارس الى الاحنف فصالحوه
وعاقدوه ودفعوا اليه تلك الخزائن والاموال وتراجعوا الى
بلدانهم واموالهم على افضل ما كانوا في زمان الاكاسرة فكانوا
كانما هم في ملكهم الا ان المسلمين اوفى لهم واعدل عليهم
واصاب الفارس يوم يزدجرد كسهم الفارس يوم القادسية
ولما سمع خاقان ما لقي يزدجرد وخروج المسلمين مع الاحنف
من مرو الروذ نحوه ترك بلخ وعبر النهر واقبل الاحنف حتى نزل

بلخ وانزل اهل الكوفة في كورها الاربع ثم رجع الى مرو الروذ
فنزل بها وكتب بفتح خاقان ويزدجرد الى عمر وبعث اليه بالاخماس
ووفد الوفود اليه ٥ ولما عبر خاقان النهر وعبر معه حاشية
آل كسرى مع يزدجرد لقوا رسول يزدجرد الذي كان بعث الى
ملك الصين واهدى اليه معه ومعه جواب كتابه من ملك الصين
فسألوه عما وراءه فقال لما قدمت عليه بالكتاب والهدايا كافانا
بما ترون واراهم هديته واجابه عن كتاب يزدجرد اليه قال
وكان قال لي قد علمت ان حقا على الملوك انجاد الملوك على
من غلبهم فصف لي صفة هؤلاء القوم الذين اخرجوكم من بلادكم
فاني اراك تذكر قلة منهم وكثرة منكم ولا يبلغ امثال هؤلاء القليل
الذين تصف منكم فيما اسمع من كثرتكم الا بخير عندهم وشر
فيكم فقلت سلني عما احببت اخبرك قال ايوفون بالعهد

قلت نعم قال وما يقولون لكم قبل ان يقاتلوكم قلت يدعوننا الى واحدة
من ثلاث اما دينهم فان اجبناهم اجرونا مجراهم او الجزية والمنعة او المنابذة
قال فكيف طاعتهم امراءهم قلت اطوع قوم لمرشدهم قال فما يحلون
وما يحرمون فاخبرته قال افيحلون ما حرم عليهم او يحرمون ما حلل لهم قلت
لا قال فان هؤلاء القوم لا يهلكون ابدا حتى يحلوا حرامهم قال اخبرني
عن لباسهم فاخبرته وعن مطاياهم فقلت الخيل العراب ووصفتها
فقال نعمت الحصون هذه ووصفت له الابل وبروكها وانبعاثها
بحملها فقال هذه صفة دواب طوال الاعناق وكتب معه الى يزدجرد
انه لم يمنعني ان ابعث اليك بجيش اوله بمرو وآخره بالصين الجهالة
بما يحق علي ولكن هؤلاء القوم الذين وصف لي رسولك صفتهم
لو يحاولون الجبال لهدوها ولو خلي سربهم ازالوني ما داموا
على ما وصف فسالمهم وارض منهم بالمساكنة ولا تهجهم ما لم يهيجوك

وأقام يزدجرد وآل كسرى بفرغانة معهم عهد من خاقان ثم جرى
ما جرى من قبل عمر رضي الله عنه ٥

ذكر كتاب عمر وجمل من سياسته

كان يكتب لعمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الارقم وعبد الله بن خلف الخزاعي
ابو طلحة الطلحات على ديوان البصرة وابو جبيرة بن الضحاك الانصاري
على ديوان الكوفة فاما زيد بن ثابت فانه كان كاتب النبي صلى الله عليه
وكان يخلو به عمر فقال له يوما اني استصحبتك لكتب اسراري التي
رايت رسول الله صلى الله عليه يفعله بك فاخبرني عن كتبه كيف
كانت الى الملوك وغيرهم فقال زيد اعفني يا امير المؤمنين فقال له لم
ذاك قال زيد ان رسول الله صلى الله عليه قال لي يا زيد اني انتخبتك
لكتبي فاحفظ اسراري واكتم ما استحفظتك فضمنت له ذلك فامسك
عمر عن معاودته لكن كان يملي عليه ويستعين برايه وكان زيد ذا راي

ونفاذ وكان عمر يقول لكتابه ويكتب الى عماله ان القوة على
العمل ان لا تؤخروا عمل اليوم لغد فانكم اذا فعلتم ذلك تداكت الاعمال
عليكم فلا تدرون بايها تبداون وايها تؤخرون ٥ وكان عمر
اول من دون الدواوين من العرب وكان سبب ذلك ان ابا هريرة
قدم عليه من البحرين ومعه مال فلقي عمر فقال له عمر ماذا جئت به
قال خمس مائة الف درهم فقال عمر اتدري ما تقول قال نعم مائة الف
ومائة الف ومائة الف ومائة الف ومائة الف فصعد المنبر فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ايها الناس قد جاءنا مال عظيم فان شئتم كلنا لكم كيلا وان
شئتم ان نعد عدا فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين هؤلاء الاعاجم
يضبطون هذا بالديوان قال فدونوا الدواوين ٥ وكان عمر
بعث بعثا بعد ان امر القراء وحضره فقال يا امير المؤمنين هذا
البعث قد اعطيت اهله الاموال فان تخلف منهم رجل واخل

بمكانه ما يدري صاحبك به ولشار عليه بالديوان وفسره له فوضع
عمر الديوان له . وكان ابو موسى الاشعري كتب الى عمر رضي الله عنه
ان المال كثير وكثير من ياخذه فلسنا نحصيه الا بالاعاجم فاكتب الينا
برايك فكتب اليه عمر لا تعيدوهم في شي سلبهم الله اياه انزلوهم
حيث انزلهم الله وتعلموا فاستكتب ابو موسى زيادا وكتب عمر الى
ابي موسى يستقدمه فاستخلف زياد عمران بن حصين وقدم عليه
فقال عمر لئن كان ابو موسى استخلف حدثا لقد استخلف الحدث
كهلا ثم دعا بزياد وقال اكتب الى خليفتك بما يجب ان يعمل
به فكتب اليه كتابا ودفعه الى عمر فنظر فيه ثم قال اعد فكتب غيره
ثم قال اعد فكتب الثالث فقال عمر بعد ذلك لقد بلغ ما اردت في
الكتاب الاول ولكني ظننت انه قد روى فيه ثم بلغ في الثاني ما
اردت فكرهت ان اعلمه ذلك لئلا يدخله العجب فوضعت منه

لئلا يهلك . وكان عمر يملي على كاتب بين يديه وزياد حاضر
فكتب الكاتب غير ما قال عمر فقال له زياد يا امير المؤمنين انه كتب غير
ما قلت له فقال عمر اني علمت هذا فقال رايت رجع فيك وخطه
قرانه ما احارت كفه غير ما رجعت به شفتاك فاستحسنه عمر
ثم قال له ابوك يا زياد هل انت حامل كتابي الى ابي موسى في عزلك
عن كتابته قال نعم يا امير المؤمنين ولكن اعن عجز ام خيانة فقال لا عن
واحد منهما ولكني اكره ان احمل فضل عقلك على الرعية . وكان عمر
اول من كتب التاريخ من الهجرة لان ابا موسى كتب اليه انه تاتينا
منك كتب ليس لها تاريخ وكانت العرب تؤرخ بعام الفيل
فجمع عمر الناس للمشورة فاشار بعضهم ان يورخ بمبعث النبي صلى
الله عليه وقال بعضهم بمهاجره فارخ به وكان ذلك في سنة
سبع عشرة او ثماني عشرة من الهجرة ثم قالوا باي الشهور نبدا

فقال بعضهم لشهر رمضان فقال عمر بل بالمحرم وهو منصرف
الناس من حجهم وهو شهر حرام فاجمعوا على المحرم ودخل كاتب
لعمرو بن العاص على عمر فحاوره فاحسن الكلام فقال عمر السنا ابن
القين بمكة فقال بلى فقال عمر لا يلبث القلم او يبلغ بصاحبه وكان
عمر اذا استعمل عاملا كتب له عهدا واشهد عليه رهطا من
المهاجرين والانصار واشترط عليه ان لا يركب برذونا ولا ياكل مالا
يقدر عليه اوساط رعيته ولا يلبس دقيقا ولا يتخذ بابا دون
حاجات الناس وهو اول من خوطب بامير المومنين وذلك ان
ابا بكر خوطب بخليفة رسول الله صلى الله عليه فلما خلف عمر
خوطب بخليفة خليفة رسول الله قال عمر لئن يطول اذا جاء
خليفة آخر فلم خليفة خليفة خليفة رسول الله بل انتم المومنون
ولنا اميركم وهو اول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح

في شهر رمضان وكتب به الى البلدان وامرهم بذلك وزاد في مصابيح
المساجد وهو اول من حمل الدرة وضرب بها فمن ذلك ما رويناه لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه اتي بمال فجعل يقسمه بين الناس فازدحموا عليه فاقبل سعد
اي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه فعلاه عمر بالدرة فقال انك اقبلت
لا تهاب سلطان الله في الارض فاحببت ان اعلمك ان سلطان الله لا
يهابك ٥ ورات الشفا بنت عبد الله قوما يقصدون في المشي ويتكلمون
رويدا فقالت ما هذا قالوا نساك فقالت كان والله عمر اذا تكلم اسمع
واذا مشى اسرع واذا ضرب اوجع هو والله الناسك حقا ٥ وذكر قوم
رجلا بين يدي عمر وصفوه وقالوا هو فاضل لا يعرف الشر قال اجدر له
ان يقع فيه ٥ واستعمل عمر عتبة بن ابي سفين على كنانة فقدم عليه
بمال فقال عمر ما هذا يا عتبة قال هذا مال خرجت به معي فتجرت فيه
قال وما لك تخرج المال معك في هذا الوجه فصيره في بيت المال فلما ولي عثمن

٥

قال لابي سفين ان طلبت ما اخذ عمر من عتبه رددته عليك فقال ابو سفين انك
ان خالفت صاحبك الذي تقدمك سار الى الناس فيك ما كان اتى وعلى من قبلك
فيرد عليك من يجي بعدك ۞ وكان عمر يشير الخلوة بقوم من العرب
يقرون عليه سياسات الملوك ولاسيما ملوك العجم الفضلا ولاسيما انوشروان
فانه كان معجبا بها كثير الاقتدا بها وكان انوشروان مقتديا بسيره اردشير اخذا
نفسه بها وبعهده الذي كتبه فيما مضى مطالبا به غيره وكان اردشير متبعا لبهمن
وكورش مقتديا بهما فهو لاجل ملوك الفرس وفضلاؤهم الذين ينبغي ان يقتدى
بافعالهم وسيرهم وتتعلم سياساتهم ويتشبه بهم ۞ وروينا عن عمران
بن سواده انه قال دخلت على عمر فذكرت له اشياء عابتها الناس فاصغى الي
ووضع راس درته في ذقنه ووضع اسفلها على فخذه يستمع الى ما اقول
الى ان قلت وان الرعيه تشكو منك عنف السياق فشرع الدره ثم مسحها
حتى اتى على اخرها ثم قال انا والله لارتع فاشبع واسقي فاروي وانهز

العروض واذب قدري وازجر العروض واسوق خطوي واضم الضبوب
والحق القطوف واكثر الزجر واقل الضرب واشهر العصا وادفع باليد
فبلغ ذلك معوية بعد فقال كان والله عالما برعيته ۞

ذكر ما يجب ذكره من حديث الشورى وما يليق منه بهذا الكتاب

لما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له حين طعن استخلف فابى ان يسمى
رجلا بعينه وقال عليكم هولا الرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه
وهو عنهم راض علي وعثمن ابنا عبد مناف وعبد الرحمن وسعد خالا
رسول الله صلى الله عليه والزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه
وابن عمته وطلحة الخير فليختاروا رجلا منهم وليشاوروا ثلثة ايام وليصل
بالناس صهيب ولا ياتين اليوم الثالث الا وعليكم امير منكم ويحضر عبد الله
عمر مستشيرا ولا شي له من الامر وطلحة شريككم في الامر فان قدم في الايام
الثلثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلثة قبل قدومه فاقضوا امركم ٦

وقال لابي طلحة الانصاري ان الله تعالى طال ما اعز الاسلام بكم فاختر خمسين
رجلا من الانصار فاستحث هولا الرهط حتى يختاروا رجلا وقال لصهيب صل
بالناس ثلثة ايام وادخل عليا وعثمن والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحه
ان قدم واحضر عبد الله بن عمر ولا شي له من الامر وقم على رؤسهم فان اجتمع
خمسة ورضوا رجلا منهم وابى واحد فاشدخ راسه واضرب راسه بالسيف
وان اتفق اربعة فرضوا رجلا منهم وابى اثنان فاضرب رؤسهما : فان رضي
ثلثة منهم رجلا وثلثة رجلا منهم فحكموا عبد الله بن عمر فاي الفريقين حكم
فليختاروا رجلا منهم فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا مع الذين فيهم
عبد الرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس فخرجوا
من عنده فقال لعلي قوم كانوا معه من قريش ما نرى فقال علي ان اطيع
فيكم قومكم لم نؤمر ابدا وتلقاه العباس فقال له علي عدلت عنا فقال
وما علمك قال قرن بي عثمن وقال كونوا مع الاكثر فان رضي رجلان رجلا

230

ورجلان رجلا فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف فسعد لا يخالف ابن
عمه عبد الرحمن وعبد الرحمن صهر عثمن لا يختلفون فيوليها عبد الرحمن عثمن
او يوليها عثمن عبد الرحمن فلو كان الاخران معي لم ينفعاني بله اني لا ارجوا الا
احدهما فقال العباس لم ادفعك في شي الا رجعت الي مستاخرا
بما اكره اشرت عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه ان تسأله فيمن
هذا الامر فابيت واشرت عليك بعد وفاته ان تعاجل الامر فابيت
واشرت عليك حين سماك عمر في الشورى الا تدخل معهم فابيت احفظ
عني واحدة كلما عرض عليك القوم فقل لا الا ان يولوك واحذر هولا الرهط
فانهم لا يبرحون يدفعوننا عن هذا الامر حتى يقوم به غيرنا وايم الله لا
يناله الا بشر لا ينفع معه خير فاجابه علي بما سمع بعضه ولم يسمع بعضه
وتمثل بابيات والتفت فراى ابا طلحة فكره مكانه فقال ابو طلحه لم ترع ابا الحسن
وكان خلع عبد الرحمن منها نفسه ورضوا ان يكون هو الذي يختار للمسلمين

وقد كان جاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والقوم في البيت
يتشاورون فجلسا بالباب فحصبهما سعد وأقامهما ٥ ولما كان اليوم
الرابع صعد عبد الرحمن المنبر وجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه
رسول الله صلى الله عليه ثم قال أيها الناس إني قد سألتكم سرا وجهرا
عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحد الرجلين إما علي وإما عثمان فقم إلي
يا علي فوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيده فقال هل أنت مبايعي على
كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر قال اللهم لا ولكن على جهدي
وطاقتي قال فأرسل يده ثم نادى قم يا عثمان فأخذ بيده وهو في موقف
علي الذي كان فيه فقال هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل
أبي بكر وعمر قال اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان
ثم قال اللهم اسمع واشهد اللهم اسمع واشهد اللهم إني جعلت ما في رقبتي
من ذاك في رقبة عثمان فازدحم الناس يبايعون عثمان وكان عبد الرحمن

قعد مقعد النبي صلى الله عليه من المنبر وأقعد عثمان على الدرجة الثانية
قال وجعل الناس يبايعونه وتلكأ علي فقال عبد الرحمن ومن نكث فإنما ينكث
على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما فرجع
علي يشق الناس حتى بايع عثمان وهو يقول خدعة وأيما خدعة ٥

ذكر هذه الخدعة

كان سبب قول علي خدعة أن عمرو بن العاص كان لقي عليا في ليالي
الشورى فقال إني أحبك ولقد نصحك إن عبد الرحمن رجل مجتهد ومتى
أعطيته العزيمة كان أزهد له فيك فلا تظهر كل الرغبة ولا تبذل
له من نفسك إلا الجهد والطاقة وأنف له كل ما يسألك ولعل إلى التواضع
ثم لقي عثمان فقال إن عبد الرحمن ليس والله يبايعك إلا بالعزيمة فاقبل
ما يعطيك وأعطه ما يسألك فلذلك قال علي خدعة وقد قيل إن عليا
قال ذلك لأجل ما ذكرناه من اقتران عثمان وعبد الرحمن فلما انصرف عثمان
٦

232

الى بيت فاطمه بنت قيس والناس بعد فقام المغيره بن شعبه خطيبا
فقال يا ابا محمد الحمد لله الذى وفقك ما كان لنا احد غير عثمن وعلى جالس
فقال عبد الرحمن يا ابن الدباغ ما انت وذاك والله ما كنت ابايع احدا
من هولاء الا قلت فيه هذه المقالة   وكان اول ما كتبه عثمن
الى امرا الاجناد فى الفروج اما بعد فانكم حماه المسلمين وذادتهم
وقد وضع عنكم عمر ما لم يغب عنا بل كان عن ملا منا فلا يبلغنى عن
احد منكم تغيير ولا تبديل فيغير الله ما بكم ويستبدل بكم غيركم
وكتب الى عمال الخراج كتابا يحضهم فيه على العدل وكتابا الى العامه
يامرهم فيه بالطاعه والاقتدا وترك الابتداع ٥

مقتل يزدجرد وما تم عليه من الاتفاقات الطريفه

ان يزدجرد لما وقع الى ارض فارس بقى سنين ثم اتى كرمان فاقام بها
مثل ذلك فطلب اليه دهقان كرمان شيا فلم يجبه اليه فطرده عن

بلاده ثم اجمع ان ينزل خراسان فاتى سجستان فاقام بها ثم سار الى مرو
ومعه الرهن من اولاد الدهاقين ومعه من روسايهم فرخزاد فلما قدم مرو [واستغاث]
منها بالملوك وكتب اليهم يستمدهم مثل صاحب الصين وملك فرغانه
وملك كابل وملك الخزر وكان الدهقان بمرو ماهويه وكان له ابن يسمى
برازا فوكل ماهويه ابنه برازا بمدينه مرو ونقدم اليه والى اهل المدينه
الا يفتحوا الباب ليزدجرد وقال لهم ليس هذا لكم بملك لانه قد سلم
بلاده وجاكم مفلولا مجروحا ومرو لا تحتمل ما تحتمل غيرها من الكور
فاذا جيتكم غدا فلا تفتحوا الباب فلما اتاهم فعلوا ذلك وانصرف فرخزاد
فجثا بين يدى يزدجرد وقال استصعبت عليك مرو وهذه العرب قد اتتك
قال فما الراى قال ان تلحق ببلاد الترك فتقيم بها حتى يتبين لنا امر العرب
فانهم لا يدعون بلدة الا دخلوها قال لست افعل ولكن ارجع عودى على
بدى فعصاه ولم يقبل رايه فسار يزدجرد واجمع على صرف الدهقنة عن

ابنه براز الى صبحان لبن اخيه فبلغ ذلك ماهويه وكان ابو براز فعل
في هلاك يزدجرد وكتب الى نيزك طرخان يخبره ان يزدجرد وقع اليه
مفلولا ودعاه الى القدوم عليه ليكون ايديهما معا في اخذه والاستيثاق
منه فيقتلوه او يصالحوا عليه العرب وجعل له في كل يوم الف درهم وساله
ان يكتب الى يزدجرد ما كرهه لينحي عامة جنده ويحصل في طايفة من خواصه
فيكون اضعف لركنه واهون لشوكته وقال تعلمه في كتابك اليه الذي
عزمت عليه في مناصحته ومعونته على العرب ان يشتق لك اسما
من اعلى الدرجات بكتاب مختوم بالذهب وتعلمه انك لست قادما
عليه حتى ينحي عنه فرخراد فكتب نيزك بذلك الى يزدجرد فلما ورد عليه
كتابه بعث الى عظماء مرو فاستشارهم فقال له صبحان لست ارى
ان تنحي عنك اصحابك ولا فرخراد لشي وقال براز بل ارى ان تتالف
نيزك وتجيبه الى ما سال فقبل رايه وفرق عنه جنوده وامر

فرخراد ان ياتي اجمة سرخس فصاح فرخراد وشق جيبه وتناول عمودا
بين يديه يريد ضرب براز به وقال يا قتلة الملوك قتلتم ملكين واظنكم
قاتلي هذا ولم يبرح فرخراد حتى كتب له يزدجرد كتابا بخط يده نسخته
هذا كتاب لفرخراد انك قد اسلمت يزدجرد واهله وولده وحاشيته
وما معه الى ماهويه دهقان مرو واشهد عليه بذلك فاقبل نيزك الى
موضع من مرو يقال له حلسدان فلما اجمع يزدجرد على لقايه والمسير اليه
اشار عليه ابو براز ان لا يلقاه في السلاح فيرتاب به وينفر عنه ولكن يلقاه
بالملاهي والمزامير ففعل وسار اليه كذلك وتقاعس عنه ابو براز وكردس
نيزك اصحابه كراديس فلما تدانيا استقبله نيزك ماشيا ويزدجرد على
فرس له فامر لنيزك بجنيبة من جنايبه فركبها فتوسط عسكره فتوافقا
فقال له نيزك فيما يقول زوجني احدى بناتك لاناصحك ولاقاتل معك عدوك
فقال له يزدجرد وعلي تجترئ يا كلب فعلاه نيزك بمخفقته وصاح يزدجرد

234

عن دار الغادر وركض منهزما ووضع أصحاب نيزك سيوفهم فيهم فأكثروا
القتل وانتهى يزدجرد في هزيمته الى مكان من ارض مرو فنزل عن فرسه
ودخل بيت طحان فمكث فيه ثلثة ايام فقال له الطحان ايها الشقي اخرج
فاطعم شيئا فانك جائع منذ ثلث قال لست اصل الى ذلك الا بزمزمة
وكان رجل من زمازمة مرو قريبا منه فاتاه الطحان وسأله ان يزمزم عليه
ليأكل ففعل ذلك فلما انصرف الى مرو سمع ابا براز يذكر يزدجرد ويطلبه
فاتاه فسأله واصحابه عن حليته فوصفوه فاخبرهم انه رآه في بيت طحان
وهو رجل جعد مقرون حسن الثنايا مقرط مسور فوجه اليه رجلا من الاساوره
وامره ان يخنقه بوتر ويطرحه في نهر مرو فلقوا الطحان فضربوه ليدل عليه
فلم يفعل وجحدهم ان يعرف اين يتوجه فلما ارادوا الانصراف عنه قال
رجل منهم اني اجد ريح المسك فلو شممنه فنظر الى طرف ثوب من ديباج
في الما فاجتذبه اليه فاذا هو يزدجرد فسأله الا يقتله ولا يدل عليه

ويجعل له خاتمه وسواره ومنطقته فقال اعطني اربعة دراهم واخلي عنك
قال ويحك خاتمي لك وثمنه لا يحصى فابى عليه قال يزدجرد قد كنت اخبرت
اني ساحتاج الى اربعة دراهم واضطر الى ان يكون اكلي اكل الهر فقد عاينته
ثم انتزع احد قرطيه واعطاه الطحان مكافاة لكتمانه عليه ودنا منه كانه
يكلمه بشي فانذر الرجل اصحابه واتوه فطلب اليهم يزدجرد الا يقتلوه
وخوفهم ما عليهم في دينهم من ذلك وقال ائتوا الدهقان او سرحوني
الى العرب فانهم يستحيون مثلي من الملوك فاخذوا ما كان عليه من الحلي
فجعلوه في جراب وختموا عليه ثم خنقوه بوتر وطرحوه في نهر مرو فجرى
به الما حتى انتهى الى فوهة الرزيق فتعلق بعود فاخذه من هناك اسقف ثم فقد
ابو براز احد قرطيه فاخذ الذي دل عليه فضربه حتى اتى على نفسه وبعث
بما اصيب له الى الخليفة يومئذ فاغرم الخليفة الدهقان قيمة القرط
المفقود وقد حكي في رواية اخرى ان براز وسنجان كانا متباغضين

متجاسين وحض به براز لحسده سنجان فظهر ذلك للرجل فجعل يوغر
صدر يزدجرد ويسعى في قتله ولم يزل يغري يزدجرد بسنجان حتى عزم على
قتله وافشى ما كان عليه عزمه من ذلك الى امراة من نسائه كان براز واطاها
فارسلت الى براز تبشره باجماع يزدجرد على قتل سنجان ونشا الخبر وبلغ سنجان
فجمع جموعا وتوجه نحو القصر الذي فيه يزدجرد وبلغ ذلك براز
فنكص عن سنجان لكثرة جمعه وارعب ذلك يزدجرد فخرج من القصر متنكرا على وجهه
راجلا لينجو بنفسه فمشى نحوا من فرسخين حتى وقع الى رحى من ماء فدخل
بيت الرحى فجلس فيه كالا لغبا فراه صاحب الرحى ذا هيئة وطرة وبزة
كريمة ففرش له واتاه بطعام فطعم ومكث عنده يوما وليلة فساله
صاحب الرحى ان يامر له بشي فبذل له منطقته وكانت مكللة بجوهر
فابى صاحب الرحى ان يقبلها وقال انما يرضيني من هذه المنطقة اربعة دراهم
اكل بها واشرب فاخبره انه لا ورق معه فتملقه صاحب الرحى حتى اذا

اغفى قام اليه بفاس فضرب بها هامته فقتله واحتز ما كان عليه من ثياب
وحلي والقى جيفته في النهر وبقر بطنه فادخل فيه من اصول طرفا كانت
نابتة على النهر ليحبس جثته في الموضع الذي القاها فيه فلا يتنقل فيعرف
ويطلب قاتله وما اخذ من سلبه وهرب على وجهه وبلغ قتل يزدجرد
رجلا من اهل الاهواز كان مطرانا على مرو يقال له ايليا فجمع من كان قبله
من النصارى وقال ان ملك الفرس قتل وهو ابن شهريار بن كسرى وانما
شهريار ولد شيرين المومنة التي عرفتم حقها واحسانها الى اهل ملتها وكانت
بنت قيصر ○ ثم لهذا الملك عنصر في النصرانية مع ما نال النصارى
في ملك جده من الشرف حتى بني لهم البيع وشد ملتهم فينبغي لنا ان نحزن
هذا الملك بقدر الطاقة من الكرامة وقد رايت ان ابني له ناووسا
واحمل جثته في كرامة حتى اجعلها فيه فقال النصارى امرنا لامرك تبع فامر
المطران فبني له في جوف بستان بمرو ناووس ومضى بنفسه ومعه نصارى

مرو حتى لسبع حجته يزدجرد وكفن فيها في تابوت وحمله من كان معه
من النصارى على عواتقهم حتى اتوا به الناووس وواروه فيه وردموا بابه
وقيل بل حمله الى اصطخر موضع في النواويس هناك وذلك في سنة احدى
وثلثين للهجرة وكان ملك يزدجرد عشرين سنة منها اربع سنين في دعة
وست عشرة سنة في تعب من محاربة العرب اياه وبحثته لهم وغلظهم
عليه وكان آخر ملك ملك من آل اردشير بابك وصفا الملك
بعده للعرب ٥ وقد ذكرنا ما يجب ذكره من خلافة عثمن
رضي الله عنه وما كان منه على الوجه الذي اقتضيناه ثم جرى بعد ذلك
ما يستفاد منه تجربة ان قوما من المسلمين انكروا منه اشياء وكانوا ابتدأ ذكرها
بينهم وذلك بالعراق خاصة وبالمدينة دون غيرها ثم انتشر منهم
طايفة في ساير الاعمال يعيبون على عثمن اشياء ويشنعون عليه فسير عثمن
منهم نفرا الى الشام ليذلهم بمعوية وجرى لهم معه خطب طويل ثم كانوا

بعد ذلك وجميع ذلك شبيه بالسيرة الى ان شرب الوليد بن عقبة وهو وال على ٧
الكوفة خمرا وشهد عليه به من لم يمكن رد شهادته فاستقدمه عثمن المدينة
وجلده الحد ورد مكانه سعيد بن العاص فورد سعيد ولم يغسل المنبر
من مقامه فكلمه في ذلك قوم من قريش فابى عليهم وغسل الموضع ورأى
الناس فلم يتم له ما اراد وشغب عليه الناس ثم اجمع رأي الناس على
ان يبعثوا الى عثمن رجلا يكلمه ويخبره بما جرى فارسلوا اليه عامر بن عبد القيس
التميمي وكان يعد من النساك فاتاه فدخل عليه فقال ان ناسا من المسلمين
اجتمعوا ونظروا في اعمالك فوجدوك قد ركبت امورا عظاما فاتق
الله وتب اليه وانزع عنها فقال عثمن انظروا الى هذا فان الناس يزعمون
انه قارئ ثم يجي فيكلمني في المحقرات وزعم انها عظام فوالله ما يدري
اين الله قال عامر انا لا ادري اين الله قال نعم والله ما تدري اين الله قال
عامر بلى والله اني لادري ان الله لك بالمرصاد فارسل عثمن الى معوية

معوية بن ابي سفين والى عبد الله بن سعد بن ابي سرح والى سعيد بن العاص
والى عمرو بن العاص وامثالهم فجمعهم ليشاورهم ويخبرهم بما بلغ منه فلما
اجتمعوا عنده قال ان لكل امرى وزرا ونصحا وانكم وزراى ونصحاى
واهل ثقتى وقد صنع الناس ما رايتم وطلبوا الى ان اعزل عمالى وان
ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون فاجتهدوا الى رايكم ثم اشيروا
على فقال عبد الله بن عامر راى لك يا امير المومنين ان تامرهم بجهاد يشغلهم عنك
وان تجمرهم في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكون همة احدهم الا نفسه وما هو
فيه من دبر دابته وقمل فروه ثم اقبل على سعيد بن العاص فقال ما رايك
قال يا امير المومنين ان كنت ترى راينا فاحسم عنك الدا واقطع ما تخاف من
الاصل واعمل براى قال وما هو قال ان لكل قوم قادة متى تهلك تفرقوا
ولا يجتمع لهم امر فقال عثمن ان هذا الراى لولا ما فيه ثم اقبل على
معوية فقال ما رايك قال راى يا امير المومنين ان ترد عمالك على

الكفاية لما قبلهم وانا ضامن لما قبلى ثم اقبل على عبد الله بن سعد فقال
ما رايك قال يا امير المومنين الناس اهل طمع فاعطهم من هذا المال يعطف
عليك قلوبهم ثم اقبل على عمرو بن العاص فقال ما رايك قال ارى انك
قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزم ان تعتزل فانك قد وليت الناس بنى
امية وحملتهم على رقابهم فاعتزل فان ابيت فامض قدما فقال له عثمن
مالك قمل فروك من عزلك اهذا الجد منك فسكت عنه عمرو حتى اذا
تفرق القوم قال عمرو لا والله يا امير المومنين لانت اعز على من ذلك
ولكن قد علمت ان الناس قد علموا انك جمعتنا لتستشيرنا وسيبلغهم قول
كل رجل منا فاردت ان يبلغهم قولى فيثقوا بى فاقود اليك خيرا وادفع
عنك شرا فرد عثمن عماله على اعمالهم وامرهم بالتضييق على من قبلهم
وامرهم بتجمير الناس في البعوث وعزم على تحريم اعطياتهم ليطيعوه
ويحتاجوا اليه ورد سعيد بن العاص اميرا على الكوفة فخرج اهل الكوفة

وان الطريق لواضح بين وان اعلام الدين لقايمة تعلم يا عثمن ان
افضل عباد الله عند الله امام عادل هدي وهدى واستقام واقام
سنة معلومة وامات بدعة معلومة فوالله ان كلا لبين وان السنن
لقايمة لها اعلام وان البدعة لقايمة لها اعلام واني احذرك
الله وسطوته ونقماته واحذرك ان تكون امام هذه الامة الذي سمعنا
به فانه كان يقال يقتل في هذه الامة امام يفتح به عليها القتل والقتال
الى يوم القيامة ويلبس عليهم امورهم ويتركهم شيعا لا يبصرون الحق
لعلو الباطل يموجون فيها موجا قال عثمن قد والله علمت انك تقول
الذي قلت اما والله لو كنت بمكاني ما عنفتك ولا اسلمتك ولا عبت عليك
واني جئت منكرا ان وصلت رحما وسددت خلة وآويت ضايعا ووليت
شبيها بمن كان يولي عمر انشدك الله يا علي هل تعلم ان المغيرة بن شعبة
ليس هناك قال نعم قال فتعلم ان عمر ولاه قال نعم قال فلم تلومني

ان وليت عبد الله بن عامر في رحمه وقرابته قال علي ساخبرك
ان عمر كان كل من ولى فانما يطأ على صماخه ان بلغه عنه حرف جلبه ثم بلغ
اقصى الغاية وانت لا تفعل ضعفت ورفقت على اقربايك قال عثمن
هم اقرباوك ايضا قال علي اجل لعمري ان رحمهم مني لقريبة ولكن الفضل
في غيرهم قال هل تعلم ان عمر ولى معوية خلافته كلها فقد وليته قال علي
انشدك الله هل تعلم معوية كان اخوف من عمر من يرفا غلام عمر منه
قال نعم قال علي فان معوية يقطع الامور دونك وانت تعلمها فيقول للناس
هذا امر عثمن فيبلغك فلا تغير على معوية ثم خرج علي من عنده
وخرج عثمن على اثره فجلس على المنبر فقال اما بعد فان لكل شي افة
ولكل امر عاهة وان افة هذه الامة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون
يرونكم ما تحبون ويسترون ما تكرهون يقولون لكم ويقولون امثال
النعام يتبعون اول ناعق احب مواردها اليها البعيد لا يشربون

الا تبرضًا ولا يردون الا عليًّا لا تقوم لهم راية قد اعتبتم الامور
وتعززون عليهم المكاسب الا فقد والله عبتم علي بما اقررتم لابن الخطاب
بمثله ولكنه وطئكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه فدنتم له على ما
احببتم او كرهتم ولنت لكم واوطأت لكم كتفي وكففت يدي ولساني
فاجترأتم علي اما والله لانا اعز نفرا واقرب ناصرا واكثر عددا
واقمن ان قلت هلم اتي الي ولقد اعددت لكم اقرانكم وافضلت عليكم
فضولا وكشرت لكم عن نابي واخرجتم مني خلقا لم اكن احسنه ومنطقا لم انطق
به فكفوا عليكم السنتكم وطعنكم وعيبكم على ولاتكم فقد كففت عنكم
من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا الا فما تفقدون
من حقكم والله ما قصرت في بلوغ ما كان يبلغ من قبلي ومن لم تكونوا
تختلفون عليه فضل فضل من مال فما لي لا اصنع في الفضل ما اريد
فلم كنت اماما؛ فقام مروان بن الحكم فتكلم فقال عثمن اسكت لا سكت

دعني واصحابي ما منطقك في هذا الم اتقدم اليك الا تنطق بحرف
فسكت مروان ونزل عثمن ثم دخلت سنة خمس وثلثين

وفيها كان ظهور السبائية وخروج اهل مصر الى المدينة لقتل عثمن

وكان سبب ذلك ان عبد الله بن سبا كان يهوديا من اهل صنعا وامه سودا
فاسلم ايام عثمن ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول بدعته فبدا بالحجاز ثم
بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام فلم يجتمع له امر على ما يريد فمضى نحو
مصر فلما اتاها قال لاهلها فيما يقول انا اعجب ممن يصدق بان عيسى
يرجع ويكذب بان محمدا يرجع وقد قال الله ان الذي فرض عليك
القرآن لرادك الى معاد فمحمد احق بالرجوع فوضع لهم الرجعة
ثم قال ما من نبي الا له وصي وعلي وصي محمد ثم قال من اظلم
ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه ووثب على حق ليس له وتناول
الامة ثم قال هذا عثمن قد غصب عليا وغيره وبدل ودان وكان فانهضوا

في الأمر واظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واطعنوا على امرائكم
تجدوا مقالا وادعوا الى هذا الأمر وبث دعاة في الأمصار وكاتب
من استفسده في الأمصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه
رأيهم واظهروا الأمر بالمعروف وتكاتب اهل الأمصار حتى اوسعوا
الأرض اذاعة وتناولوا المدينة فدخل قوم على عثمن فقالوا يا امير المؤمنين
اياتيك ما ياتينا قال لا ما جاءني الا السلامة قالوا فانا قد اتانا كتب
وكتب قال فاشيروا علي قالوا نشير عليك ان تبعث رجالا ممن تثق
بهم الى الأمصار حتى يرجعوا اليك باخبارهم فدعا جماعة من وجوه
الصحابة فيهم عمار بن ياسر فارسل احدهم الى الكوفة وارسل اخر
الى البصرة وارسل عمارا الى مصر وارسل ابن عمر الى الشام
وفرق الباقين في البلاد فرجعوا جميعا قبل عمار فقالوا ايها الناس
ما انكرنا شيئا ولا انكره اعلام المسلمين ولا عوامهم والناس ساكنون

قادرون فاستبطأ الناس عمارا فلم يفجأهم الا الكتاب من عبد الله بن ابي سرح
يخبرهم ان عمارا قد استماله قوم بمصر وقد انقطعوا اليه منهم عبد الله
السوداء وسودان بن حمران وفلان وفلان فكتب عثمن الى اهل الأمصار
اما بعد فاني آخذ العمال بموافاتي في كل موسم فاقدموا علي فقدم عليه
عبد الله بن عامر ومعوية وعبد الله بن سعد وادخل في المشورة سعدا
وعمرا فقال ويحكم ما هذه الشكاة وما هذه الاذاعة اني والله لخائف
ان تكونوا مصدوقا عليكم وما يعصب هذا الا بي فقالوا لا والله
ما صدعوا ولا بروا ولا الحل اخذ بها ولا انتها اليها قال فاشيروا علي
قالوا هذا امر يصنع في السر ثم يلقى الى غير ذي المعرفة فيخبر به فيتحدث
به الناس في مجالسهم قال فما دواء ذلك قال طلب هؤلاء القوم
ثم قتل الذين يخرج هذا من عندهم وقال معوية وليتني قولت قوما
لا ياتيك عنهم الا الخير قال فما الرأي قال حسن الأدب قال فما ترى

يا عمرو فقال ابى الا انك قد لنت لهم وارخيت عنهم وزدتهم على ما كان
يصنع عمر فارى ان تصنع كما كان يصنع عمر فتكلم عثمن بكلام لين ونفر
فشخص معويه وعبد الله بن سعد ورجع ابن عامر وسعيد معه ورد سائر
الامرا الى اعمالهم وكان معويه قد قال لعثمن غداة ودعه بالمسير
المومنين انطلق معي الى الشام قبل ان يهجم عليك من لا قبل لك به فان
اهل الشام على الامر لم يزولوا فقال اما ابيع جوار رسول الله صلى الله
عليه وان كان فيه قطع خيط عنقي قال فابعث اليك جندا منهم يقيم
بين ظهراني اهل المدينه لنائبه ان نابت قال انا اقتر على جيران رسول الله صلى
الله عليه الارزاق بجند يساكنهم واضيق على دار الهجره والنصره قال والله
يا امير المومنين لتقاتلن ولتغزين قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال
معويه يا ايسار الجزور اين ايسار الجزور ثم خرج ٥ ثم ان السبائيه
كاتبوا اهل الامصار ان يتوافوا المدينه لينظروا فيما يريدون واظهروا

انهم يامرون بالمعروف ويسالون عثمن عن اشيا لتطير في الناس وليحقق
عليه فتوافوا المدينه وارسل عثمن رجلين فقال انظروا ما يريدون واعلما
علمهم فاتياهم ودخلا بهم حتى امنوهما فاخبروهما بما يريدون فقالا من معكم
من اهل المدينه قالوا ثلثه نفر قالا فهل الا قالوا لا قالا فكيف تريدون ان
تصنعوا قالوا نريد ان نذكر له اشيا قد زرعناها في قلوب الناس ثم نرجع
اليهم فنقول لهم انا قررناه بها فلم يخرج منها ولم يتب ثم نخرج بعد ذلك كانا
حجاج حتى نقدم فنحيط به فنخلعه فان ابى قتلناه وكانت اياها فرجعا
الى عثمن بالخبر فضحك وقال اللهم سلم هولا النفر اما عمار فحمل على ذنب
غيره وعرك بي واما محمد بن ابي بكر فانه رجل معجب يرى ان الحقوق لا تلزمه
واما ابن سهله فانه يتعرض للبلا ثم خطب عثمن فجمع اهل المدينه واهل الكوفه
واهل البصره واخبرهم بما جا به الرجلان واعتذر مما يجني الناس عليه واستشارهم
فاشار قوم بقتلهم ولان عثمن فابى اولئك الا قتلهم وابى الا تركهم

فرجعوا الى بلادهم وفي نياتهم ان يغزوه مع الحجاج كالحجاج
فتكاتبوا وقالوا موعدكم ضواحي المدينة في شوال فلما كان ذلك الوقت
اجتمعوا فنزلوا قرب المدينة وذلك سنة خمس وثلثين وعدتهم الفا رجل
ينقصون قليلا او يزيدون من اهل البصرة والكوفة وخرج اهل مصر
ومعهم ابن السوداء وكنانة بن بشر وسودان بن حمران ومن اهل الكوفة
زيد بن صوحان والاشتر النخعي ومن اهل البصرة حكيم بن جبلة وبشر
شريح وامرهم حرقوص بن زهير ثم تلاحق بهم الناس واما اهل مصر
فانهم كانوا يشتهون عليا واما اهل البصرة فانهم كانوا يشتهون
طلحة واما اهل الكوفة فانهم كانوا يشتهون الزبير وكان خروجهم جميعا وقلوبهم
شتى فيمن يختارون ولا تشك فرقة الا ان الفلج معها حتى اذا كانوا من
المدينة على ثلث تقدم ناس من اهل البصرة فنزلوا ذا خشب وناس من اهل
الكوفة فنزلوا الاعوص وجاءهم ناس من اهل مصر وتركوا عامتهم

بذي المروة وقالوا لا تعجلوا ولا تعجلونا حتى ندخل المدينة ونرتاد فانه
بلغنا انهم قد عسكروا لنا فوالله ان كان اهل المدينة ليستحلوا قتالنا
وهم لم يعلموا علمنا لهم اذا علموا علمنا اشد وان امرنا هذا لباطل
وان لم يستحلوا قتالنا ووجدنا الذي بلغنا باطلا لنرجعن اليكم بالخبر قالوا
فاذهبوا فدخل رجلان فلقيا ازواج النبي صلى الله عليه وطلحة والزبير
وعليا وقالوا انما نؤم هذا البيت ونستعفي هذا الوالي من بعض
عمالنا ما جئنا الا لذلك واستاذنوهم للناس في الدخول فكلهم ابى
ونهى فاجتمع قوم من اهل مصر فاتوا عليا ونفر من اهل البصرة فاتوا
طلحة ونفر من اهل الكوفة فاتوا الزبير فاما المصريون فانهم لما اتوا
عليا وجدوه في عسكر عند احجار الزيت فسلم المصريون على علي
وعرضوا فصاح بهم وطردهم وقال ارجعوا لا صحبكم الله فانصرفوا
عسكره على ذلك واتى البصريون طلحة وهو في جماعة اخرى الى جنب

هو وقد ارسل ابنيه الى عثمن فسلم البصريون عليه وعرضوا الافصاح
بهم وطردتهم وقال قريبا مما قال علي واتى الكوفيون الزبير وهو في
جماعة وقد سرح ابنه عبد الله الى عثمن فسلموا عليه وعرضوا الافصاح
بهم وقال مثل ما قال صاحباه فانصرف القوم الى عساكرهم وهي على
ثلث مراحل كي يتفرق اهل المدينة ثم كروا راجعين فافترق اهل المدينة
وكروا راجعين فلم يفجا اهل المدينة الا والتكبير في نواحي المدينة فنزلوا
في مواضع عساكرهم واحاطوا بعثمن وقالوا من كف يده فهو آمن
وصلى عثمن بالناس اياما ولزم الناس بيوتهم ولم يمنعوا احدا من الكلام
فاتاهم الناس فكلموهم وفيهم علي فقال ما ردكم بعد ذهابكم
ورجوعكم عن رايكم فقالوا اخذنا مع بريد كتابا بقتلنا واتاهم طلحة
فقالوا له مثل ذلك واتاهم الزبير فقالوا له مثل ذلك واجمعوا
على ان يعزلوا عثمن وهو في ذلك يصلي بهم وهم يصلون خلفه ويغشى

عثمن من شاء وهم في عينه ادق من التراب وكتب الى اهل الامصار
يستمدهم ويشكوا ما يلقى بكتاب بليغ فاما من اتاه الكتاب وخرج على
الصعبة والذلول فبعث معوية حبيب بن مسلمة الفهري وبعث عبد الله
سعد معوية بن حديج السكوني وخرج من اهل الكوفة القعقاع بن عمرو
وكان بالكوفة جماعة يحضون على اغاثة اهل المدينة مثل حنظلة بن
الربيع واشباههم من اصحاب النبي صلى الله عليه وكانوا يطوفون على
مجالسهم يقولون يا ايها الناس ان الكلام اليوم وليس به غدا ان النظر
يحسن اليوم ويقبح غدا انهضوا الى نصرة خليفتكم وقام بالبصرة عمران بن
الحصين وانس بن مالك في امثالهما من اصحاب النبي صلى الله عليه يقولون
مثل ذلك وقام بالشام عبادة بن الصامت وابو الدرداء في امثالهما
من اصحاب النبي صلى الله عليه يقولون مثل ذلك وقام بمصر خارجة
في اشباه له ○ ولما جاءت الجمعة التي (فيها نزول) اثر المصريين مسجد الرسول

خرج عثمن فصلى بالناس ثم قام على المنبر فقال الله الله يا معشر
الغربي فوالله ان اهل المدينة يعلمون انكم ملعونون على لسان
محمد صلى الله عليه فامحوا الخطا بالصواب فقام محمد بن مسلمة
فقال انا اشهد بذلك فاخذه حكيم بن جبلة فاقعده فقام زيد بن ثابت
فقال ابغني الكتاب فثار اليه محمد بن ابي بكر فقتره واقعده وقال اوطع
وقام الناس باجمعهم ثائرين باهل المدينة فحصبوهم حتى اخرجوهم
من المسجد وحصبوا عثمن حتى صرع عن المنبر مغشيا عليه فاحتمل
وادخل داره وكان المصريون لا يطمعون في مساعدة احد من اهل
المدينة الا في ثلثة فانهم كانوا يراسلونهم محمد بن ابي بكر ومحمد بن جعفر
وعمار بن ياسر وصار اناس مستقتلين منهم سعد بن مالك والحسن
بن علي وابو هريرة وزيد بن ثابت فبعث اليهم عثمن بعزمة لما انصرفوا
فانصرفوا واقبل علي وطلحة والزبير حتى دخلوا على عثمن يعودونه

من صرعته ثم رجعوا الى منازلهم وكان الناس قبل ذلك وافقوه على
اشياء وجد فيها العذر وعلى اشياء ان يخرج منها فاقال واستغفر الله
واتوب اليه واخذوا ميثاقه وكتبوا عليه شرطا واخذ عليهم الا يشقوا
عصا ولا يفارقوا جماعة ما قام لهم بشرطهم ثم قالوا نريد الا ياخذ
اهل المدينة عطا فانما هذا المال لمن قاتل عليه ولهولا الشيوخ
من اصحاب محمد فرضوا واقبلوا معه حتى خطب عثمن وقال الا من كان
له زرع فليلحق بزرعه ومن كان له ضرع فليحتلب الا انه لا مال لكم
عندنا انما هذا المال لمن قاتل عليه ولهولا الشيوخ من اصحاب محمد
صلى الله عليه فغضب الناس وقالوا هذا مكر بني امية ورجع
وفد المصريين راضين فبيناهم في الطريق اذاهم براكب يتعرض لهم مرة
يرونه ومرة يغيب عنهم فقالوا ان لهذا الرجل لشانا فاخذوه وقرروه
فقال انا رسول امير المومنين الى عامله بمصر ففتشوه فاذا هم بكتاب

على لسان عثمن عليه خاتمه الى عامله بمصر قد جعل في اداوة يامره
بامر ان يقتلهم او يقطع ايديهم وارجلهم او يصلبهم فاقبلوا حتى قدموا
المدينة فاتوا عليًا فقالوا الم تر الى عدو الله انه كتب فينا بكذا وكذا
بعد الميثاق الذي بيننا وبينه وان الله قد احل لنا دمه قم معنا اليه
قال والله لا اقوم معكم قالوا فلم كتبت الينا قال والله ما كتبت اليكم
كتابا قط فنظر بعضهم الى بعض ثم قال بعضهم لبعض الهذا تقاتلون
او لهذا تغضبون فخرج علي من المدينة الى قرية وانطلق القوم حتى
دخلوا على عثمن فقالوا كتبت فينا بكذا وكذا فقال عثمن انما هما اثنتان
اما ان تقيموا علي رجلين من المسلمين او يميني بالله الذي لا اله الا هو
ما كتبت ولا امليت ولا علمت وقد علمتم ان الكتاب يكتب على لسان الرجل
وينقش الخاتم على الخاتم قال فقالوا ان كنت كاذبًا في يمينك فقد احل
الله دمك ولئن كنت صادقًا لقد ضعفت عن الامر حين لا تضبط

من امرك هذا المقدار فحاصروه وقد ذكر الناس في هذه الروايات
اشياء شنيعة لم نذكرها ان وقد كان عثمن لما احس بانصراف المصريين
اليه من الطريق ان عليًا في منزله فقال يا ابن عم انه ليس لي منزل وان قرابتي
قريبة ولي حق عظيم عليك وقد جاء ما ترى من هولاء القوم وهم مصبحي
وانا اعلم ان لك عند الناس قدرًا وانهم يسمعون منك فانا احب ان
تركب اليهم فتردهم عني فاني لا احب ان يدخلوا علي فان ذلك جراة منهم علي
ويسمع بذلك غيرهم فقال علي على ما اردهم قال على ان اصير الى ما
اشرت به علي ورايته لي ولست اخرج من يديك فقال علي اني قد كلمتك
كلمتك مرة بعد مرة وكل ذلك نخرج فتكلم وتقول ونقول وذلك كله
فعل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر ومعوية اطعتهم
وعصيتني قال وامر الناس المهاجرين والانصار فركبوا معه وارسل
عثمن الى عمار بن ياسر فكلمه ان يركب مع علي فابى ومضى علي في

المهاجرين والانصار وهم ثلثون رجلا فكلمهم علي ومحمد بن مسلمه
حتى رجعوا فلما رجع علي الى عثمن واعلمه انهم رجعوا وكلمه علي
كلاما كان في نفسه وخرج الى بيته مكث عثمن ذلك اليوم حتى
اذا كان الغد جاه مروان بن الحكم فقال له تكلم واعلم الناس ان اهل
مصر علموا ان ما بلغهم عن امامهم كان باطلا وقد رجعوا فان خطبتك
تسير في البلاد قبل ان يتحلب الناس عليك من امصارهم فياتيك امر
لا تستطيع دفعه فابى عثمن ولم يزل به مروان حتى خرج فجلس على
المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان هولا القوم من اهل
مصر كان بلغهم عن امامهم امر فلما تيقنوا انه باطل رجعوا الى بلادهم
فقال له عمرو بن العاص اتق الله يا عثمن فانك قد ركبت نهابير وركبناها
معك فتب الى الله نتب معك فناداه عثمن وانك هنالك يا ابن النابغة
قملت جبتك منذ عزلتك عن العمل فنودي من ناحية اخرى اظهر

التوبه يا عثمن مكف الناس عنك ونودي من ناحيه اخرى بمثل ذلك
فرفع عثمن يده واستقبل القبله فقال اللهم اني اول تايب اليك
ورجع الى منزله ثم ان عليا جاه فقال له تكلم كلاما يسمعه الناس عامه
ويشهد الله على ما في قلبك من النزوع والانابه فان البلاد قد تمخضت
عليك فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفه او البصره فتقول لي
اركب اليهم فلا اركب ولا اسمع لك عذرا وتراني قد قطعت رحمك
واستخففت بحقك ه فخرج عثمن فخطب الخطبه المشهوره
التي يقول فيها اني نزعت وتبت مما فعلت اذ التوبه خير من التمادي
في الهلكه والله ايها الناس لئن ردني الحق عبدا لاذلن ذل العبد
ولاكونن كالمرقوق الذي ان ملك صبر وان عتق شكر فليأتني وجوهكم
فوالله لابرلن عذرا لكم ولا احتجبن الى الحكم فرق له الناس وبكى من
بكى منهم وعلت الاصوات بالنشيج فقال له سعيد بن زيد اتق الله

يا امير المومنين في نفسك واتمم على ما قلت فلما نزل عثمن وجد
في منزله مرون وسعيدا ونفرا من بني امية لم يشهدوا الخطبة قال
مرون يا امير المومنين اتكلم ام اصمت فقال بعض اهله لا بل اصمت
فانتم والله قاتلوه انه قد قال مقالة مشهورة لا ينبغي له ان ينزع
عنها فاقبل عليه مرون بكلام قبيح الى ان سكتها عثمن ثم قال مرون
اتكلم يا امير المومنين ام اصمت قال بل تكلم فقال مرون باي انت وامي
لوددت ان مقالتك هذه كانت وانت ممتنع منيع وكنت اول من
رضي بها واعان عليها ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام الطبيين
وحين اعطى الخطة الغليظة الذليل والله لاقامة على خطيئة يستغفر
منها اجمل من توبة تخبر عليها وقد اجتمع بالباب مثل الجبال من
الناس فقال عثمن فاخرج اليهم وكلمهم فاني استحي ان اكلمهم فخرج
مرون الى الباب والناس يركب بعضهم بعضا فقال ما شانكم

قد اجتمعتم كانكم جيتم لنهب كل انسان اخذ باذن صاحبه
شاهت الوجوه الا من اريد جيتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا
اخرجوا عنا اما والله لين رمتمونا لتلقون منا ما لا يسركم ارجعوا
فوالله ما نحن مغلوبين على ما في ايدينا فرجع الناس الى علي يشكون
اليه فجا علي مغضبا حتى دخل على عثمن فقال اما رضيت من مرون
ولا رضي منك الا باخراجك عن دينك وعقلك مثل جمل الظعينة
يقاد حيث شا ربه والله ما مرون بذي راي في دينه ولا نفسه واني
لاراه سيوردك ولا يصدرك وما انا بعايد بعد هذا لمعاتبتك
فقد الرث والرث اذهبت شرفك وغلبت على امرك
فلما خرج علي دخل اليه بعض اهله فقال اني سمعت قول علي
لك وانه ليس يعاودك فقد احا القدر ارا او اطعت مرون قال
فما اصنع قال تتقي الله وحده وتتبع سنة صاحبيك فان مرون ليس له

عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة واراه سيقتلك فارسل الى علي
ليستصلحه فانه يعطف عليك ولا يعصي وقوله مقبول فارسل عثمن
الى علي فابى ان ياتيه وقال قد اعلمته اني غير عائد اليه ومكث عثمن لا يخرج
ثلثة ايام حيا من الناس ثم ذهب عثمن بنفسه حتى اتى عليا في منزله ليلا
وجعل يقول اني غير عائد واني فاعل واني فاعل فقال له علي ابعد ما تكلمت به
على منبر رسول الله صلى الله عليه واعطيت من نفسك وبكيت حتى اخضلت
لحيتك بالدمع ولبكا الناس دخلت منزلك وخرج مروان الى الناس يشتمهم
على بابك وينالهم بما يكرهونه وانصرف من عند علي ولزم علي
منتحيا عنه لا يفعل ما كان يفعل الا انه لا يمنع الماء وحصر اشتغل له
وغضب غضبا شديدا وكلم طلحة وغيره حتى دخلت الروايا الى عثمن
ولما راى عثمن ما نزل به وما قد انبعث عليه من الناس كتب الى معوية
وهو بالشام يسله ان يبعث له مقاتلة الشام على كل صعب وذلول

فلما جا معوية كتابه تربص وكره اظهار مخالفة اصحاب النبي صلى الله عليه فلما
ابطا نصره على عثمن كتب الى اهل الشام يستنفرهم ويعظم حقه ويذكر
امر الخلفا وما امر الله به من طاعتهم ويقول العجل العجل فان القوم معاجلي
فقام قوم يحضون على نصره ولم يات خلق كثير وكتب عثمن الى عبد الله بن
عامر بالبصرة ان اندب الي اهل البصرة وكتب الى اهل البصرة نسخة
كتابه الى الشام فقامت الخطبا من اهل البصرة يحضهم عبد الله بن عامر يحضون
على نصر عثمن وعلى المسير اليه فيهم مجاشع بن مسعود وهو يومئذ سيد قيس
بالبصرة فتسارع الناس وكان اشار مروان على عثمن بمقاربة من حوله من اهل
مصر وغرهم حتى يقوى فقال له اعطهم ما سالوك وطاولهم ما طاولوك
وارسل الى علي يكلمهم فارسل عليا وقال ان الامر بلغ القتل فاردد الناس
عني فان الله لهم ان اعتبهم من كل ما يكرهون واعطيهم الحق من نفسي وغيري
وان كان في ذلك سفك دمي فراسله علي بان الناس الى عدلك احوج منهم

الى قبلك وانى لا ارى قوما لا يرضون الا بالرضا وقد كنت اعطيتهم في المرة الاولى
من العهود ما نقضته ولم يف به لهم فقال عثمن اعطهم اليوم ما يحبون فوالله
لافين فخرج علي الى الناس فقال ايها الناس انكم انما طلبتم الحق وقد اعطيتموه
ان عثمن يزعم انه منصفكم من نفسه ومن غيره وراجع عن جميع ما تكرهون
فاقبلوا منه قال الناس قد قبلنا فاستوثق لنا فانا لا نرضى بقول دون فعل
فقال علي ذلك لكم واخبر عثمن الخبر فقال عثمن اضرب بيني وبينهم اجلا
يكون لي فيه مهلة فاني لا اقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد فقال له علي
ما حضر بالمدينة فلا اجل فيه وما غاب فاجله وصول امرك قال نعم
ولكن اجلني فيما بالمدينة ثلثة ايام فقال علي نعم فخرج علي وكتب بينهم
وبين عثمن كتابا على اجل شرط فيه ان يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل
كرهه المسلمون ثم اخذ عليه في الكتاب اعظم ما اخذ الله على احد
من خلقه من عهد او ميثاق واشهد ناسا من وجوه المهاجرين والانصار

فكف المسلمون عنه ورجعوا الى ان يفي لهم بما اعطاهم فجعل يتاهب للقتال
ويستعد بالسلاح وكان قد اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس فلما انقضت
الايام الثلثة وهو على حاله لم يغير شيا مما كرهوه ولا عزل عاملا ثار
به الناس وخرجوا فدخلوا يومئذ وما سلموا عليه بالخلافة وقالوا السلم
عليكم فقال من حضره وعليكم السلم فتكلم القوم وذكروا ما صنع عبد الله بن
سعد بمصر من استيثاره بغنائم المسلمين وتحامله عليهم وعلى اهل الذمة
فاذا قيل له في ذلك قال هذا كتاب امير المومنين ثم ذكروا ما احدثه بالمدينة
واطالوا وقالوا انا رحلنا من مصر لا نريد الا دمك او تنزع الخلافة فردنا
علي ومحمد بن مسلمة وضمنا لنا النزوع عن كل ما تكلمنا فيه ثم اقبلوا على محمد
وقالوا هل قلت لنا ذلك قال محمد نعم فرجعنا الى بلادنا حتى اذا كنا بالبويب
اخذنا غلامك على راحلة من صدقات المسلمين ومعه كتابك وخاتمك
الى عبد الله بن سعد يامره فيه بجلد ظهورنا والمثلة بنا بالقطع والحبس الطويل

وهذا كتابكم فعلتم وفعلت فحمد الله عثمن واثنى عليه وقال والله
ما كتبت ولا امرت ولا شوورت قالوا فمن كتبه قال لا ادري قالوا فيجترا
عليك ويبعث غلامك وجمل من صدقات المسلمين وينقش خاتمك ويكتب
الى عاملك في اعناق المسلمين بهذه العظايم وانت لا تعلم لبئس مثلك
من يلي الخلافة اخلع نفسك من هذا الامر كما خلعك الله منه فابى وقال
لا انزع قميصا البسنيه الله ولكني اتوب من كل ما تكرهون قالوا قد فعلت
ذلك وكذبت وقد وقعت عليك التهمة مع ما بلونا منك في مرات كثيرة
من الجور في الحكم والاثرة في القسم والعقوبة لمن انكر المنكر واظهار
التوبة مرة بعد مرة ثم رجوعك الى كل منكر ولقد كنا رجعنا عنك
وما كان لنا ان نرجع حتى نخلعك ونستبدل بك من نرضاه ومن لم
يجرب عليه ما جربناه عليك فاردد خلافنا فاجابهم عثمن بجوابه
الاول فاذنوه بالحرب وشددوا عليه الحصار فصعد بعض عبيد

عثمن الى سطح داره فدلى منه حجرا فقتل رجلا يقال له دينار فارسلوا
الى عثمن ان امكنا من قاتله فقال عثمن والله ما اعرف قاتله فباتوا تلك
الليلة فلما اصبحوا من يوم الجمعة احضروا نارا ونفطا ودخلوا من ناحية
الحرم فاضرموا جوانب الدار فاحترقت فقال عثمن لاصحابه ما بعد الحريق
شي فمن كانت لي عليه طاعة فليمسك يده فانما يريدني القوم ولو كنت
في اقصاكم لتخطوكم الي ولو وجدوني في ادناكم ما تخطوني الى غيري فابى
مروان وقال والله لا وصلوا اليك وفي روح وخرج الى الناس بسيفه
وعليه درع فناوشوه القتال ثم خرج اليه شاب (غلام) طوال فضربه مروان على
ساقه وضرب الغلام مروان على رقبته فسقط لا ينبض منه عرق وقتل
المغيرة بن الاخنس وجرح عبد الله بن الزبير وانهزم من في الدار وخرجوا
هربا في طرق المدينة ودخلوا الى عثمن فقتل قبل ان يلحقه الغوث
من الامصار

اسماء كتاب عثمن

كتب له مروان بن الحكم وكتب له عبد الملك بن مروان على ديوان المدينة
وابو جبيرة على ديوان الكوفة وعبد الله بن الارقم على بيت المال وكتب
لمصعب مولاه وكتب له حمران مولاه فانكر عليه شيا فنفاه الى البصرة
فلم يزل بها حتى قتل عثمن ٥ سبب سقوط هذا الكاتب من عين عثمن
وكان سبب نفيه اياه ان عثمن اشتكى شكاة فقال له اكتب العهد بعدي
لعبد الرحمن بن عوف فانطلق حمران الى عبد الرحمن فقال له البشرى فقال لك
البشرى فماذا فاخبره الخبر فصار عبد الرحمن الى عثمن فاخبره بما قال حمران
فغاظ عثمن وخاف ان يشيع فنفاه لذلك ٥

ذكر تدبير عثمن مع علي رضي الله عنه ورايه

لما حصر عثمن الحصار الاول كان علي بخيبر فلما قدم ارسل اليه عثمن
فذهب اليه فكلمه عثمن واذكره حقه من الاسلام والقرابة والصهر
وماله في عنقه من العهد ثم قال له ولو لم يكن من هذا شيء ثم كنا نحن

في جاهلية لكان عيبا على عبد مناف ان يبتزهم اخو بني تيم ملكهم يعني
طلحة وقد كان اجتمع الى طلحة قوم وطمع فيها فتكلم علي فحمد الله واثنى
عليه ثم قال اما بعد فكل ما ذكرت من حقك علي كما ذكرت واما قولك
لو كنا في جاهلية لكان عيبا على عبد مناف ان يبتزهم اخو بني تيم فصدقت
وسياتيك الخبر ثم خرج فدخل المسجد فراى اسامة جالسا فدعاه فاعتمد
عليه وخرج يمشي الى طلحة فلما دخل عليه وجد داره ممتلئة بالرجال
فقام عليه وقال يا طلحة ما هذا الامر الذي وقعت فيه فقال يا ابا حسن ابعد
ما مس الحزام الطبيين فسكت علي عنه وانصرف حتى اتى بيت المال
فقال افتحوا هذا الباب فلم يقدر على المفاتيح وتاخر عنه صاحب المفاتيح
فقال اكسروه فكسر باب بيت المال وقال اخرجوا المال وجعل
يعطي الناس فبلغ الذين في دار طلحة ما يصنع علي فجعلوا يتسللون
اليه حتى ترك طلحة وحده وبلغ الخبر عثمن فسر بذلك ثم اقبل طلحة

يمشي عامدا الى دار عثمن فقال بعض الصحابه والله لانظرن ما يقول
هذا قال فتبعته فاستاذن على عثمن فلما دخل عليه قال يا امير المؤمنين
استغفر الله واتوب اليه اردت امرا فحال الله بيني وبينه فقال عثمن
انك والله ما جئت تائبا ولكنك جئت مغلوبا الله حسيبك يا طلحه

ذكر بيعة علي بن ابي طالب عليه السلم

لما قتل عثمن اجتمع عامة المهاجرين والانصار على علي رضي الله عنه
فاتوه فابى عليهم وقال انا وزير خير لكم من امير فارتد الناس عنه
ولقوا طلحه والزبير فكلاهما في قتل عثمن بما ظنوه توعدا فقالوا لطلحه والزبير
ان كلاهما لو عبد ثم انصرفوا عنهما وقال بعضهم لبعض ان رجع
الناس الى امصارهم بقتل عثمن ولم يقم بعد قائم بهذا الامر لم
نامن اختلاف الناس وفساد الامة فعادوا الى علي وخاطبوه
فاخذ الاشتر بيد علي فقبضها علي فقال الاشتر مالك معشر

وانت ترى ما فيه الناس فقال علي ابعد ثلثه فقال له الاشتر اما والله
لئن تركتها لتعصرن عينيك عليها حينا فبايعوه وقد رواه صاحب التاريخ
قال اجتمع اهل الامصار وقالوا دونكم يا اهل المدينه فقد اجلناكم يومكم والله
لئن لم تفرغوا لنفعلن ولنفعلن فغشي الناس عليا وقالوا نرى ما نزل بالناس
وما ابتلينا به من بين القرى فقال علي دعوني والتمسوا غيري فانا
مستقبلون امرا له وجوه لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول
فقالوا ننشدك الله الا ترى ما نرى الا ترى الفتنه الا تخاف الله قال
اعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم وان تركتموني فانما انا كاحدكم
الا اني اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه فافترقوا على ذلك واتعدوا
الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحه والزبير فقد استقامت
فبعث المصريون بصريا الى الزبير وقالوا احذر لا تحاده وكان رسولهم
حكيم بن جبله في نفر فجاوا به يحدونه بالسيف وبعثوا الى طلحه

كوفيا وقالوا الحذر لاجابه وبعثوا بنفر فجاوا به يجدونه بالسيف فبعثوا
بالاشتر الى علي واهل الكوفة واهل البصرة شامتون بصاحبيهم واهل
مصر فرحون بما اجتمع عليه اهل المدينة وقد صار اهل الكوفة والبصرة
كالاتباع وهم خشعون فلما اصبحوا يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجا
علي حتى صعد المنبر فقال يا ايها الناس عن ملا واذن ان هذا امركم ليس
لاحد فيه حق الا من امرتم وقد افترقنا بالامس على امر فان شئتم
قعدت لكم والا فلا اجد على احد فقالوا نحن على ما افترقنا عليه بالامس وقام
الاشتر فقدم طلحة وقال له بايع فقال امهلني انظر فجرد سيفه وقال لتبايعن
او لاضعنه بين عينيك فقال طلحة واين المذهب عن ابي حسن فصعد المنبر
فبايعه فنظر رجل من بعيد يعتاف فقال انا لله لاول يد بايعت امير المومنين
يد شلا لا يتم هذا الامر ابدا وكان طلحة وقى رسول الله بيده حين رمى
سهما اقبل نحو وجهه فاصاب السهم يده وشلت يده ثم قدم الزبير

فبايع وفي الزبير خلاف ثم تتابع الناس بالبيعة لا يكره فيها احد وذلك
يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلثين ٥
وخطب علي رضي الله عنه خطبته المشهورة واجتمع الى علي عدة
من الصحابة فيهم طلحة والزبير فقالوا يا علي انا اشترطنا اقامة الحدود
وان هولا القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل واحلوا بانفسهم فقال لهم
يا اخوتاه اني لست اجهل ما تعلمون ولكن كيف اصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم
ها هم هولا قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم
يسومونكم ما شاوا فهل ترون موضعا لقدرة على شي مما تريدون قالوا
لا قال فلا والله لا ارى الا رايا ترونه الا ان يشا الله ان الناس من هذا
الامر ان حرك على امور فرقة ترى ما ترون وفرقة لا ترى ما ترون وفرقة
لا ترى لا هذا ولا هذا حتى يهدا الناس وتقع القلوب مواقعها وتوخذ
الحقوق فاهدوا عني وانظروا ماذا ياتيكم ثم عودوا ٥

ثم ان بني امية لما هربت وخرجت عن المدينة فاشتد على علي عليه السلم على قريش
وحال بينهم وبين الخروج على حالها ذلك ثم خرج علي في اليوم الثالث فقال
يا ايها الناس اخرجوا عنكم الاعراب وقال يا ايها الاعراب الحقوا بمياهكم فابت
السبائية واطاعهم الاعراب ودخل علي بيته ودخل عليه عدة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه فيهم طلحة والزبير فقال لهم علي دونكم ثاركم
فاقتلوه فقالوا قد عشوا عن ذلك فقال لهم هم والله بعد اليوم اعشى وتمثل

ولو ان قومي طاوعتني سراتهم ... امرتهم امرا يديخ الاعاديا

وقال طلحة دعني فآتي البصرة فلا يفجأك الا وانا في خيل وقال الزبير دعني
آتي الكوفة فلا يفجأك الا وانا في خيل فقال حتى انظر وسمع المغيرة
بذلك المجلس

ذكر راي حسن للمغيرة

فجا المغيرة حتى دخل على علي عليه السلم فقال ان حولك من يشير
ويرى ولك علي حق الطاعة وان النصح رخيص ولست بقية الناس

وانا لك ناصح واعلم ان الراي اليوم تحوز به ما في غد وان الضياع اليوم
تضيع به ما في غد اقرر معوية على عمله واقرر ابن عامر على عمله
واردد عمال عثمن على اعمالهم هذا واكتب باثباتهم على اعمالهم فاذا بايعوا
لك واطمان الامر عزلت من احببت واقررت من احببت فقال علي والله
لو كان ساعة من نهار لاجتهدت فيها رايي ولا وليت امثال هولا وما كنت
متخذ المضلين عضدا فقال المغيرة فاذ قد ابيت فانزع معوية فان له جراة
واهل الشام يطيعونه ولك حجة في اثباته كان عمر بن الخطاب قد ولاه الشام
كلها فقال علي لا والله لا استعمله يومين فقام المغيرة وانصرف ثم عاد
اليه بعد ذلك فقال اني اشرت عليك اول مرة بالذي اشرت وخالفتني
ثم رايت بعد ذلك رايا وانا الان ارى ان تصنع الذي رايت فتنزعهم وتستعين
بمن تثق به فقد كفى الله العرب وهم اهون شوكة من ذلك وخرج
المغيرة وتلقاه ابن عباس خارجا فدخل الى علي فقال يا امير المومنين اخبرني

عن شان المغيرة وام خالد بك قال انه جاءني بعد مقتل عثمن بثلثة ايام
وقال اخلني ففعلت فقال كيت وكيت فاجبته بكيت وكيت فانصرف من عندي
ولنا اعرف فيه انه يرى انني مخطئ ثم عاد الي الآن فقال كيت وكيت فقال
ابن عباس اما في المرة الاولى فقد نصحك واما في المرة الاخرى فقد غشك
فقال له وكيف نصحني قال ابن عباس لانك تعلم ان معوية واصحابه اهل
دنيا فمتى تثبتهم لا يبالون من ولي هذا الامر ومتى تعزلهم يقولوا اخذ
الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا وحملك ما قدر عليهم من الذنب فتنتقض
عليك الشام ولا امن طلحة والزبير ان يكرا عليك فقال علي اما ما ذكرت
من اقرارهم فوالله ما اشك ان ذلك خير في عاجل الدنيا لاصلاحها
واما الذي يلزمني من الحق والمعرفة بعمال عثمن فوالله لا اولي منهم احدا
ابدا فان اقبلوا فذلك خير لهم وان ادبروا بذلت لهم السيف قال ابن عباس
فاطعني وادخل دارك والحق بمالك بينبع واغلق بابك فان العرب تجول

حولك وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لو نهضت مع هولاء القوم
ليحملنك الناس غدا دم عثمن فابى علي وقال لابن عباس سر الى الشام فقد وليتكها
فقال ابن عباس ما هذا والله براي معوية رجل من بني امية وهو ابن عم عثمن
وعامله على الشام ولست آمن ان يضرب عنقي بعثمن او ادنى ما هو صانع
ان يحبسني فيتحكم علي قال علي ولم ذلك قال القرابة ما بيني وبينك وان
كل ما عليك فهو علي ولكن اكتب الى معوية فمنه وعده فقال علي ان هذا
ما لا يكون ابدا وتمثل

فما ميتة ان متها غير عاجز ٭ بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقال ابن عباس انت يا امير المؤمنين رجل شجاع ولست بارب في الحرب
اما سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الحرب خدعة قال بلى قال ابن
عباس اما والله لئن اطعتني لاصدرن بهم بعد ورد ولاتركنهم ينظرون
في دبر الامور لا يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك ولا اثم

لك فقال علي يا ابن عباس لست من هنياتك وهنيات معوية في شيء
تشير علي وارى فاذا عصيتك فاطعني فقال ابن عباس افعل ان ايسر ما لك
عندي السمع والطاعة وفرق علي عليه السلام عماله في سنة ست وثلثين
فبعث عثمن بن حنيف على البصرة وعمارة بن شهاب على الكوفة وعبيد الله بن
عباس على اليمن وقيس بن سعد على مصر وسهل بن حنيف على الشام
فاما سهل فانه خرج حتى اذا كان بتبوك لقيته خيل فقالوا من انت قال امير
على الشام فردوه ولم يدعوه يتجاوزها. واما قيس بن سعد فانه لما انتهى
الى ايلة لقيته خيل فقالوا من انت فقال من فالة عثمن اطلب من آوي اليه
وانتصر به قالوا من انت قال قيس بن سعد قالوا امض فدخل مصر فافترق
الناس فبعضهم دخل في الجماعة وكانوا معه وفرقة اعتزلت وقالت
ان قتل قتلة عثمن والا فنحن على جديلتنا. واما عثمن بن حنيف فانه سار
ولم يرده احد عن دخول البصرة ولم يوجد لابن عامر في ذلك رأي ولا تدبير

ولتفترقن الناس بالبصرة كما افترقوا بمصر. واما عمارة فلما صار بزبالة
لقيه طليحة بن خويلد وكان خرج يطلب بدم عثمن وقال له ارجع فان الناس
لا يريدون بأميرهم بدلا وان ابيت ضربت عنقك فرجع وهو يقول احذر
الخطر ما تماسك الشر خير من شر منه فصار مثلا وعلقه عمار بن ياسر
الى ان قتل. وانطلق عبيد الله بن عباس الى اليمن فجمع يعلى بن امية كل مال
كان جباه وخرج وسار على حاميته الى مكة فقدمها بالمال فدعا علي
طلحة والزبير فقال ان الذي كنت احذركم به قد وقع ولنا هي فتنة كالنار
كلما سعرت ازدادت واستنارت فقالا له ائذن لنا نخرج من المدينة
فقال سامسك الامر ما استمسك فاذا لم اجد بدا فآخر الداء الكي
وكتب الى ابي موسى وهو بالكوفة والى معوية وهو بالشام فاما ابو موسى
فكتب اليه بطاعة اهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذي كان والراضي
بما كان حتى كان علي على الواضحة من امر اهل الكوفة

وأما معوية فلم يكتب بشيء ولم يجب الرسول وجعل يردده وكان كلما
تنجزه تمثل بشعر لا يحصل منه على بيّنة حتى احكم امر نفسه وواطأ من
اراد واتى على الرسول ثلثة اشهر ثم دعا باحد ثقاته وارضاه ودفع طومارا
مختوما اليه عنوانه من معوية الى علي وقال اذا دخلت المدينة فاقبض
على اسفل الطومار ليقرأ الناس العنوان ثم اوصاه بأشياء يفعلها ويقولها
وسرّح رسول علي معه فلما دخلا المدينة رفع رسول معوية الطومار
تفرق الناس الى منازلهم وقد علموا ان معوية ممتنع ومضى الرسول
حتى دخل على علي فدفع اليه الطومار ففض خاتمه فلم يجد في جوفه
كتابا فقال للرسول ما وراءك قال آمن انا قال نعم لعمري ان الرسل
آمنة قال وراءي اني تركت قوما لا يرضون الا بالقود قال ممن قال من
خيط رقبتك ولقد تركت ستين الف شيخ يبكي تحت قميص عثمن وهو منصوب
لهم قد البسوه منبر دمشق فقال مني يطلبون دم عثمن الست موتورا

كترة عثمن اللهم اني ابرأ اليك من دم عثمن نجا والله قتلة عثمن الا ان
يشاء الله فانه اذا اراد امرا امضاه اخرج قال وانا آمن قال وانت آمن فخرج
وصاح السبائية واقف فقالوا هذا الكلب وافد الكلاب اقتلوه فنادى
يا لمضر يا لقيس الخيل والنبل احلف بالله لتردنها عليكم اربعة آلاف خصي فانظروا
كم الفحولة والركاب فتعاووا عليه ومنعته مضر وجعلوا يقولون له اسكت
لا ابا لك فيقول والله لا افلحتم ابدا فلقد اتاكم ما توعدون فيقولون له
اسكت فيقول لقد حل بكم ما تحذرون انتهت والله اعماركم
ذهبت والله ريحكم ولم يزل بذلك حتى تبين الذل فيهم وتم لمعوية
تدبيره هذا   واستأذن طلحة والزبير في العمرة فاذن علي لهما
فلحقا بمكة واحب اهل المدينة ما رأى علي في معوية واستفاضه ليعرفوا ذلك
رأيه في قتال اهل القبلة ايقدم عليه ام يجزع منه وكان يلعمار ان الحسن
ابنه دخل عليه وحذره ودعاه الى القعود وترك الناس فقد سوّوا

له زياد بن حنظلة التميمي وكان منقطعا الى علي فدخل عليه وجلس اليه ساعة
ثم قال له علي سار زياد تيسر قال لاي شي قال لغزو الشام قال زياد الاناة
والرفق امثل وقال

ومن لا يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكانه لا يريده

متى تجمع القلب الذكي وصارما وانفا حميا تجتنبك المظالم

فخرج زياد على الناس وهم ينتظرونه فقالوا ما وراءك قال السيف يا قوم
فعرفوا رأي علي ٥ ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع اليه اللواء وولى عبد الله
بن عباس ميمنته وعمر بن ابي سلمة ميسرته وجعل على مقدمته عمرو بن الجراح
ابن اخي ابي عبيدة بن الجراح ولم يول احدا ممن خرج على عثمان ٥ واستخلف
على المدينة قثم بن العباس وكتب الى ابي موسى والى قيس بن سعد والى عثمان
بن حنيف ان يندبوا الناس الى الشام واقبل يتجهز وخطب الناس فدعاهم

الى النهوض وحضهم على قتال اهل الفرقة فبينا هو على ذلك اذ اتاه
من مكة عن عائشة ام المؤمنين وطلحة والزبير شيء آخر خلاف ما هو فيه
ثم اتاه عنهم انهم يريدون البصرة للاصلاح فقال ان فعلوا فقد انقطع
نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام ولا اكراه فتعبأ للخروج
نحوهم وخطب وندب الناس فتثاقلوا ولما رأى زياد بن حنظلة تثاقل
الناس على علي انتدب وقال من تثاقل عنك يا امير المؤمنين فانا نخف
معك ونقاتل بين يديك ما حملت ايدينا سيوفنا واجابه رجلان
من اعلام الانصار ٥ ولما قرب بنو امية لحقوا بمكة فاجتمعوا الى عائشة
وكانوا ينتظرون ان يلي الامر طلحة لان هوى عائشة كان معه وكانت
من قبل تشنع على عثمان وتحض عليه وتخرج راكبة بغلة رسول الله
صلى الله عليه ومعها قميصه وتقول هذا قميص رسول الله صلى الله
عليه ما بلي وقد بلي دينه اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا فلما صار

الامر الى علي بن ابي طالب كرهته وعادت الى مكة بعد ان كانت متوجهة الى المدينة
ونادت الا ان الخليفة قتل مظلوما فاطلبوا بدم عثمن فاول من استجاب لها
عبد الله بن عامر ثم قام سعيد بن العاص والوليد بن عقبة وسائر بني امية وكان قدم
عبد الله بن عامر هاربا ويعلى بن امية من اليمن واجتمع اليهم بعد نظر طويل وخطاب
كثير على البصرة وقالوا معوية قد كفاكم الشام وكان مع يعلى ستماية بعير
وستماية الف درهم فانفقها في ذلك الوجه وشتموا عبد الله بن عامر وقالوا لا انت
مسالم ولا انت محارب هلا اقمت بالبصرة فمنعتها حوزتك كما منع معوية
او هلا ارفدتنا اليوم بمالك كما فعل يعلى بن امية فتكلم بالمعذرة في
جوابهم وسالت الناس غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه فاردن حفصة
الخروج فاتاها عبد الله بن عمر بن الخطاب فطلب اليها ان تقعد فقعدت
وبعثت ام الفضل بنت الحرث بن عبد المطلب رجلا من جهينة استاجرته
على ان يطوي ويأتي عليا بكتابها فقدم من جهتها بالخبر على علي ع

فاما المغيرة بن شعبة وسعيد بن العاص فانهما خرجا من مكة مرحلة مع القوم
ثم تشاوروا فقال المغيرة عندي ان الراي لنا ان نعتزل الجمع فايهم اظفره
الله اتيناه وقلنا كان هوانا معك وصغونا اليك فاعتزلا وعادا الى
مكة وجلسا ومعهما عبريماه ويقال ان سعيد بن العاص اتى طلحة والزبير
فقال ان ظفرتما لمن يكون الامر قالا لاحدنا اينا رضيه المسلمون قال لا
بل اجعلوه لولد عثمن فانكم خرجتم تطلبون بدمه فقالوا لا والله ما ندع مشايخ
المهاجرين والانصار ونجعل الخلافة في ابنايهم فقال ما اراني اسعى الا في
اخراجها من ولد عبد مناف فرجع سعيد ومن رجع واستمر بالقوم المسير فلما
نزلوا ذات عرق اذن مروان ثم جاء حتى وقف عليهما فقال على ايكما اسلم بالامرة
واوذن بالصلاة فقال ابن الزبير على ابي وقال ابن طلحة على ابي وتنازعا
فارسلت عايشة الى مروان ما لك اتريد ان تفرق جماعتنا
ليصل ابن اختي بالناس فكان يصلي بهم عبد الله بن الزبير حتى [illegible]سوا

البصره وكانوا يقولون لو ظفرنا لافتتنا وما كان لتخلى الزبير دون الامر لطلحه
ولا الطلحيون الامر للزبير وان عليا لجدير فيمن خف معه يبادرهم ليعترض
عليهم دون البصره وخرج معه تسعمائة رجل في التعبيه التي كان تعبى
بها الى الشام حتى انتهى الى الربذه وبلغه مسيرهم وقد فاتوه فاقام هناك
يأتمرون

فمما اتفق في ذلك الوجه

ان صاحب الجمل الذي يقال له عسكر وخبره مشهور حكى انه لما اشتري
منه الجمل بحكمه وركبته عايشه سالوه عن الطريق وهل هو خبير قال فقلت
لنا اهدى من القطا فاعطوني دنانير نقدا منهم وكانوا يسلكوني عن
كل ماء حتى نزلوا الحواب وكان الحديث المشهور فبينا نحن كذلك اذا
بابن الزبير يركض وينادي ادرككم علي بن ابي طالب النجا النجا وشتموني عوض
ورحلوا وانصرفت فما سرت الا قليلا حتى لقيت علي بن ابي طالب ومعه
ركب فقال علي بالراكب فاتيته فقال اين لقيت الظعينة فقلت

مكان كذا وقد بعثتهم جملي واعطوني ناقتها وهي هذه تحتي واعطوني
كيت وكيت قال وقد ركبته قلت نعم وسرت معهم الى الحواب وكان من
امرهم كذا وكذا وارتحلوا واقبلت قال علي فهل انت دال لي عليهم قلت نعم
قال سر معنا فسرنا حتى نزلنا بذي قار وقام علي الى جوالقين فضم احدهما
الى صاحبه ثم جي برحل فوضع عليه ثم صعد عليه وخطب الناس واعلمهم
الخبر ثم استشارهم فقام الحسن فبكى وقال اشرت عليك فعصيتني
فتقتل غدا بمضيعة لا ناصر لك فقال له علي انك لا تزال تحن حنين
الجاريه وما الذي اشرت به علي فعصيتك تكلم به اسمعه الناس قال
كنت قلت لك يوم احيط بعثمان ان تخرج من المدينه فلا تشهد
قتله فابيت وقلت لك يوم قتل لا تبايع حتى ياتيك وفود العرب
وبيعة اهل الامصار فابيت ثم قلت لك حين فعل الرجلان ما فعلا
ان تجلس في بيتك حتى يصطلح الناس فان كان فساد كان على يدي غيرك

فعصيتني في ذلك كله . فقال اي بني اما قولك لو خرجت من المدينة
فوالله لقد احيط بنا كما احيط به . ثم اما قولك انتظره حتى ياتيك الوفود
واهل الامصار فان الامر امر اهل المدينة وعقدهم جائز على المسلمين
وكرهنا ان نضيع هذا الامر فتكون فتنة . واما قولك حين خرج
طلحة والزبير ان اجلس في بيتك فان ذلك كان وهنا على اهل الاسلام
لو فعلته ووالله ما زلت مقهورا منذ وليت منقوصا لا اصل الى حقي
ولا الى شيء مما ينبغي لي . واما قولك اجلس في بيتك فكيف لي بما لزمني
اتريد ان اكون كالضبع التي يحاط بها ويقال داب داب ام عامر
ليست ها هنا حتى يحل عرقوباها اذا لم انظر فيما لزمني ويعنيني
فمن ينظر فيه فكف عليك يا بني . ان النبي صلى الله عليه قبض
وانى احق بهذا الامر مني فبايع الناس ابا بكر فبايعت كما بايعوا ثم
هلك ابو بكر وما انى احق بهذا الامر مني فبايع الناس عمر فبايعت

كما بايعوا ثم هلك عمر وما انى احق بهذا الامر مني فجعلني سهما من ستة
اسهم ثم عدل عني الى عثمن فبايعت كما بايع الناس ثم سار الناس الى عثمن
فقتلوه واتوني طائعين غير مكرهين فبايعوني فانا مقاتل من اتبعني من
خالفني حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . ولما قربت عائشة
ومن معها من البصرة قدمت عبد الله بن عامر وقالت انت للصنائع فاذهب
الى صنائعك فليلقوا الناس وكتبت الى رجال البصرة كالاحنف بن قيس
وصبرة بن شيمان ووجوه الناس واقامت بالحفير تنتظر الجواب . ولما
بلغ الخبر البصرة دعا عثمن بن حنيف عمران بن الحصين وكان رجل عامة
وابا الاسود الدؤلي وكان رجل خاصة وقال انطلقا الى هذه المراة فاعلما
علمها وعلم من معها فانتهيا اليها والناس بالحفير فاستاذنا فاذن لهما
فسلما وقالا ان اميرنا بعثنا اليك نسألك عن مسيرك فهل انت مخبرتنا
فقالت والله ما مثلي يسير بالامر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر ان الغوغاء

وتراجع القبايل غير واحد من رسول الله وبالوا من قتل الامام ما استحقوا
به لعنة الله وفعلوا ان فعلوا فخرجت في المسلمين الى هذا المصر لاعلمهم
ما فيه الناس وراينا وما ينبغي لهم بان ياتوه من الاصلاح وقرات لا
خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس
فنهض انا اننا نامركم بمعروف ونحضكم عليه وننهاكم عن منكر ونحثكم
على تغييره فخرجا من عندها ولقيا طلحة فقالا لاما قالا لعايشه وسالاه
ما الذي اقدمه قال الطلب بدم عثمن قالا الم تبايع عليا قال بلى
والسيف على عنقي وما استقبل عليا ان هو لم يحل بيننا وبين قتلة عثمن ثم
لقيا الزبير فقالا اما اقدمك قال الطلب بدم عثمن قالا الم تبايع عليا
قال بلى والسيف على عنقي وما استقيل عليا ان لم يحل على قتلة عثمن ۞
ومضى الرجلان حتى دخلا على عثمن بن حنيف فبدر ابو الاسود عمران
وانشد يا ابن حنيف قد اتيت فانفر وطاعن القوم وجالد واصبر

وابرز لهم مستلئما وشمر فقال عثمن بن حنيف انا لله وانا اليه راجعون
دارت رحى الاسلام ورب الكعبة فانظروا الى ما يزيف فقال عمران
اي والله لتعركنكم عركا طويلا قال فاشر علي يا عمران قال اني قاعد
فاقعد قال بل امنعهم حتى ياتي امير المومنين فانصرف عمران وقام عثمن
في امره ونادى في الناس وامرهم بالتهيؤ فلبسوا السلاح واجتمعوا
في المسجد الجامع واقبل عثمن بن حنيف على الكيد ه

فمما كاد به لينظر ما راي الناس

ان دس رجلا الى الناس كوفيا قيسيا يقال له قيس بن العقديه فقام
فقال ايها الناس ان هولاء القوم الذين جاوكم ان كانوا جاوا خايفين
فقد جاوا من مكان يامن فيه الطير وان جاوا يطلبون بدم عثمن
فما نحن بقتلة عثمن اطيعوني في هولاء القوم فردوهم من حيث جاوا
فقام الاسود بن سريع فقال او زعموا انا قتلة عثمن انما فزعوا الينا

يستعينون بنا على قتله عثمان منا ومن غيرنا فتكلم القيسي فحصبه
الناس فعرف عثمان ان لهم بالبصرة ناصرا ممن معه فكسره ذلك
واقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا الى المربد فدخلوا من اعلاه
ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه وخرج اليها من اراد ان يكون معها
واجتمع الناس بالمربد وجعلوا يتوثبون واغتص المكان بالناس
فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد وعثمان في ميسرته فانصتوا
فذكر فضل عثمان والبلد وما استحلوا منه وعظم ما اتى اليه ودعا
الى الطلب بدمه وقال في اخر كلامه انه حد من حدود الله فان فعلتم
اصبتم وعاد امركم وان تركتم لم يقم لكم سلطان ولم يكن لكم
نظام فقال من في ميمنة المربد صدقا وبرا وقال من في
الميسرة فجرا وغدرا قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان وتحاصب
الناس وتكلموا فتكلمت عائشة وكانت جهيرة الصوت فحمدت

على الطلب بدم عثمان والاخذ بالكتاب الذي يدعون اليه واقبل
جارية بن قدامة السعدي فقال يا ام المومنين لقتل عثمان اهون
من خروجك من بيتك عرضة للسلاح فقد كان لك ستر من الله وحرمة
فهتكت سترك وابحت حرمتك انه من راى قتالك فهو يرى قتلك
فان كنت خرجت طائعة فارجعي الى بيتك وان خرجت كارهة فاستعيني
بالناس وخرج رئيس كل طائفة فتكلم فقال بعضهم اما انت يا زبير
فحواري رسول الله صلى الله عليه واما انت يا طلحة فوقيت رسول الله
بيدك واري امكما معكما فهل جيتما بنسائكما قالا لا قال فما انا منكما
في شيء واعتزل ○ واقبل حكيم بن جبلة فانشب القتال فاقتتلوا
الى الليل وقتل في الفريقين خلق ثم انهم تداعوا على ان يكتبوا
الى المدينة ويستعلموا الناس هل بايعا مكرهين فان بايعا
مكرهين خرج عثمان حنيف وان كانا بايعا طائعين خرج طلحة

والزبير فجرى خطب طويل بالمدينة لما ورد الرسول من البصره
ليس لذكره وجه فالحق بسبيله وكان الناس كتبوا بينهم كتابا شرط
فيه الانصار احد باحد في سوق ولا طريق الى ان تعود الرسل
الا ان محمد بن طلحة قام يوما في المسجد قريبا من مقام عثمن بن حنيف
فتعرض له عثمن وجا بعض الحرس فنحاه وظن انه جاء في شره
ووصل كتاب عثمن بن حنيف الى علي بما كان من الناس وكتب اليه علي
رضي الله عنه يعجزه ويقول ما اكرها على فرقة ولما اكرها على جماعة
فان كانا يريدان الخلع فلا عذر لهما فقدم الكتاب على عثمن واتفق
ان تاخر ابن حنيف عن الصلاه فقدما عبد الرحمن بن عتاب فشهر
الزط السلاح ومنعوه ثم اقتتلوا في المسجد وصبر الرجاله
لهم فقتلوهم عن آخرهم وهم اربعون رجلا وادخلوا
الرجال على عثمن فما وصل اليه الا بعد ان لحقه مكروه عظيم

وارسلوا الى عايشه يستشيرونها في امره فامرت بقتله فناشدها
قوم فيه واذكروها بصحبته رسول الله صلى الله عليه فاشار مجاشع
بن مسعود بضربه فضربوه اربعين سوطا ونتفوا شعر لحيته وراسه حتى
حاجبيه وعينيه واشفار عينيه ثم حبسوه فغضب له قوم وثار اشفار
حكيم بن جبله واصحابه بيت المال والحرس في بني طلحة والزبير وقال
حكيم بن جبله لست اخاف الله ان لم انصر عثمن بن حنيف فجاء في جماعة
من عبد القيس وبكر بن وايل فاتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال مالك
يا حكيم بن ما تريد قال نريد ان نرتزق من هذا الطعام وان تخلوا
عثمن فيقيم في دار الامارة على ما كتبتم بينكم حتى يقدم علي
ولكم الله لو اجد اعوانا لاحقتكم بمن قتلتم فقد احل الله لنا
دماكم بمن قتلتم من اخواننا اما تخافون الله بم تستحلون سفك
الدما قال بدم عثمن قال فالذين قتلتموهم هم قتلة عثمن اما تخافون

الله ومقته وعقوبته فقال ابن الزبير لا يرزقكم من هذا الطعام ولا
تخلي سبيل عثمن بن حنيف حتى تخلع عليا قال حكيم اللهم انك حكم عدل
ثم قال لاصحابه اني لست في شك من قتال هولا القوم فاقتتلوا قتالا
شديدا وضرب رجل ساق حكيم فقطعها فاخذ حكيم ساقه فرماه بها فاصاب
عنقه فصرعه ثم حبا اليه فقتله واتكى عليه فاشى اليه رجل وقال له من
قتلك قال وسادتي وقتل سبعون رجلا من عبد القيس وقال حكيم حين قطعت

رجله   يا نفس لن تراعي   ان معي ذراعي   واحتمل

الرجل حكما وضمه في ستين من اصحابه فتكلم يومئذ وانه لقائم على رجل
وان السيوف لتاخذهم ما يتعتع انا خلفنا هذين وقد بايعا عليا واعطياه
الطاعة ثم اقبلا مخالفين يطلبان بدم عثمن وهما كاذبان وانما ارادا
الملك والامرة واخذته السيوف فاتيهم واتيت اصحابه وافلت حرقوص بن زهير
وصاح منادي عايشه الا من كان فيهم من قبايلكم احد ممن غزا

المدينه فليأتنا بهم فجي بهم كما يجا بالكلاب فقتلوا فما افلت منهم غير حرقوص
فخشنوا صدور بني سعد وانهم لعثمانيه حتى اعتزلوا وغضبت عبد القيس
لمن قتل منهم بعد الوقعه ثم امر الناس باعطياتهم وفضلا اهل السمع
فخرجت عبد القيس وكثير من بكر بن وايل فبادروا الى بيت المال وركبهم
الناس فخرجوا حتى نزلوا على طريق علي واقام طلحه والزبير بالبصره ليس
معهما مخالف ٥   وكتبوا الى اهل الشام بما صنعوا وقصوا القصه
واطالوا وذكروا انهم اقاموا حد الله وانهم قد اعذروا وقضوا ما
عليهم فناشدكم الله في انفسكم الا نهضتم بمثل ما نهضنا به ٥
وكتبوا الى اهل الكوفه بمثل ذلك والى اهل اليمامه بمثله وكتبت عايشه الى اهل
الكوفه كتابا بليغا تطلب الحض على اقامه كتاب الله وتذكر لهم ما صنعوا
بالبصره وكتبت الى رجال باسمائهم وقالت ثبطوا الناس عن نصره هولا
القوم والزموا بيوتكم ولما قتلوا حكيما واصحابه هموا بقتل عثمن بن حنيف

فقال لهم عثمان ما شئتم ان اخي سهلا بالمدينة مع علي وهو وال بها

فان قبلتموني انتصر تخلوا عنه ○ وصلى بالناس عبد الله بن الزبير ○

وكتبت عايشة بنت ابي بكر الى زيد بن صوحان من عايشة ام المومنين وحبيبة

الرسول الى ابنها الخالص زيد بن صوحان اما بعد فاذا اتاك كتابي هذا

فاقدم فانصرنا على امرنا فان لم تفعل فخذل الناس عن علي بن ابي طالب فكتب

اليها زيد بن صوحان من زيد بن صوحان الى عايشة بنت ابي بكر اما بعد

فانا ابنك الخالص ان اعتزلت من هذا الامر ورجعت الى بيتك والا

فانا اول من نابذك وقال رحم الله عايشة امرت ان تلزم بيتها وامرنا

ان نقاتل فتركت ما امرت به وامرتنا به وصنعت ما امرنا به ونهتنا عنه ○

وكان علي عليه السلم حين انتهى الى الربذة اقام وارسل الى اهل الكوفة

وكاتبهم واستدعى من المدينة ما احتاج من سلاح وغيره ○ وقدم

عثمن بن حنيف الربذة على علي منتوف شعر الوجه كله وقال يا امير المومنين

بعثتني ذا لحية وجئتك امرد فقال اصبت خيرا واجرا اللهم احلل ما عقدا

ولا تبرم ما احكما وارهما المساءة فيما عملا ○ فاما اهل الكوفة فلما انتهى

اليهم رسول علي ليستنفرهم استشاروا ابا موسى فقال لهم انما هما امران القعود

سبيل الاخرة والخروج سبيل الدنيا وجعل يثبط الناس الى ان انفذ علي

عليه السلم ابن عباس والاشتر فلم يغنيا وكان بعث هاشم بن عتبة الى ابي موسى

يستنفر الناس فكتب اليه هاشم اني قدمت على رجل مشاق ظاهر الغل

فبعث علي الحسن وعمارا وكتب الى ابي موسى اما بعد فقد كنت ارى ان

بعدك من هذا الامر الذي لم يجعل الله لك فيه نصيبا سيمنعك من رد

امري وقد بعثت الحسن بن علي وعمار بن ياسر وبعثت قرظة بن كعب

واليا فاعتزل عملنا مذموما مدحورا ○ فقدم الحسن بن علي

وعمار بن ياسر فلطف الحسن وقال ايها الناس اجيبوا الى امامكم وسيروا

الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر اليه والله لان يليه اهل

التي هي أمثل في العاجلة وخير في العاقبة فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على
ما ابتلينا به وابتليتم فقام زيد بن صوحان فقال يا قوم سيروا إلى أمير المؤمنين
وسيد المسلمين وانفروا إليه أجمعين فقام القعقاع بن عمرو فقال
أيها الناس إني لكم ناصح وعليكم شفيق ولأقولن لكم قولا هو الحق إنه
لا بد للناس من إمارة تنظم الناس وتردع الظالم وتعز المظلوم وهذا علي
ولي ما ولي وقد أنصف في الدعاء وإنما يدعو إلى الإصلاح فانفروا
وكونوا من هذا الأمر بمرأى ومسمع ثم تكلم سيحان وقال مثل قول
القعقاع وتكلم عدي بن حاتم في قومه لما بلغه كلام الحسن وجواب الناس
وقال قد بايعنا هذا الرجل ودعانا إلى أمر جميل ونحن سائرون وتكلم
هند بن عمرو وحجر بن عدي والأشتر وقالوا مثل ذلك وقال الحسن
أيها الناس إني غاد فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر ومن شاء
فليخرج في الماء فنفر معه تسعة آلاف رجل وروي أيضا أنهم كانوا اثني عشر ألفا

وأخرج أبو موسى من القصر وشدد عليه الأشتر فلما وردوا على علي بذي قار
تلقاهم علي فرحب بهم وأثنى عليهم ثم دعا القعقاع بن عمرو فأرسله
إلى أهل البصرة وقال الق هذين الرجلين فادعهما إلى الألفة والجماعة
وعظم عليهما الفرقة ووصاه بما أراد ثم قال له كيف أنت صانع فيما
جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني قال نلقاهم بالذي أمرت به
فإذا جاءنا منهما أمر ليس عندنا منك فيه وصاة اجتهدنا الرأي وكلمناهم
على قدر ما نسمع منهم ونرى أنه ينبغي قال أنت لها فخرج القعقاع
بلغ حتى قدم البصرة فبدأ بعائشة فسلم عليها ثم قال أي أمه ما أشخصك
وما أقدمك قالت أي بني إصلاح بين الناس قال فابعثي إلى طلحة
والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما فبعثت إليهما فجاءا فقال إني سألت
أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت إصلاح بين
الناس فما تقولان أنتما أمتابعان أم مخالفان قالا متابعان قال

فأخبراني ما وجه هذا الصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحن ولئن أنكرناه
لا نصلح قالا قتلة عثمن فإن هذا إن ترك كان تركا للقرآن وإن عمل به
كان إحيا للقرآن قال قد قتلتما بالبصرة من زعمتم أنهم قتلة عثمن وأنتم
قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم قتلتم ستماية إلا رجلا فغضب
لهم ستة ألف فاعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم وطلبتم ذلك الواحد
الذي أفلت يعني حرقوص بن زهير فمنعه ستة ألف وهم على رجل فإن تركتموه
كنتم تاركين لما تقولون وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم
فالذي حذرتم وقويتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون وأنتم
أحميتم مضر وربيعة من أهل هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم
وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب
الكبير قالت عائشة فتقول أنت ماذا قال أقول إن هذا الأمر
دواؤه التسكين فإذا سكن اختلجوا فإن أنتم بايعتمونا فعلامة

خير وتباشير رحمة ودرك بثار هذا الرجل وعافية لهذه الأمة وإن
أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه كانت علامة شر وذهاب هذا
الثار وقا هذه الامة فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح خير
كما كنتم تكونون ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعكم ويصرعنا أن هذا
الأمر الذي لستم فيه أمر ليس يقدر وليس كالأمور ولا كقتل الرجل الرجل
ولا النفر الرجل ولا القبيلة الرجل فقالوا إذا أحسنت وأصبت المقالة
فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر فرجع
إلى علي فأخبره الخبر فأعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح كرهه
من كرهه ورضيه من رضيه وأقبلت وفود البصرة نحو علي
حين نزل بذي قار فجاءت وفود تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا
ما رأي إخوانهم من أهل الكوفة وعلى أي حال نهضوا وليعلموهم أن
الذي عليه رأيهم الإصلاح ولا يخطر قتالهم على بالهم فلما لقوا عشائرهم

من اهل الكوفة بالذي يعنيهم فيدعسا برهم من اهل البصرة وقالوا لهم
مثل مقالتهم فادخلوهم الى علي فاخبروه بخبرهم فسال علي جرير بن شرس
عن طلحة والزبير وعن نيابتهما فاخبره بدقيق امرهما وجليله وحتى تمثل له

الا ابلغ بني بكر رسولا فليس الى بني كعب رسول
سيرجع ظلمكم منكم عليكم طويل الساعدين له فضول

فتمثل علي عندها

الم تعلم ابا سمعان انا نرد الشيخ مثلك ذا الصداع
ويذهل عقله بالحرب حتى يقوم فيستجيب بغير داع
فدافع عن خزاعة جمع بكر وما بك يا سراقة من دفاع

وتحدث الناس بهذه الابيات ثم اولوها الا ان طلحة كان يديم انشاد البيتين الاولين ورجع القعقاع من عند ام المومنين وطلحة والزبير بمثل رايهم فجمع علي الناس ثم قام على الغرائر فخطب وذكر الجاهلية وشقاها

والاسلام والسعادة وانعام الله على الامة بالجماعة وحض الناس على الالفة ثم قال ان قوما حسدوا هذه الامة التي افاء الله عليها ما افاء على الفضيلة وارادوا رد الامور على ادبارها والله مصيب امره وبالغ ما اراد الا واني راحل غدا فارتحلوا الا ولا يرتحلن احد اعان على عثمن بشيء من امور الناس وليغن السفهاء عني انفسهم

ذكر السبب في نقض ما اشرف عليه القوم من الاصطلاح

فاجتمع نفر منهم علباء بن الهيثم وعدي بن حاتم وشريح بن اوفى والاشتر وغيرهم من طبقتهم ممن سار الى عثمن او رضي بسير من سار وجاءهم ابن السوداء وخالد بن ملجم ومعهم المصريون فتشاوروا

ذكر اراء هولاء وما نفر عليه الرأي فيما اجمعوا عليه ودبروه من الحيلة في نقض الصلح

فقال القوم هذا والله علي وهو اعلم وابصر بكتاب الله ممن يطلب قتلة عثمن واقربهم الى العمل بذلك وهو يقول ما يقول ولم ينفر اليه الا هم والقليل من غيرهم

فكيف بنا اذا شام القوم وشاموه ورأوا قلتنا في كثرتهم انتم والله ترادون
وما انتم بانجى من شيء فقال الاشتر اما طلحة والزبير فقد عرفنا امرهما
واما علي فلم نعرف امره حتى كان اليوم ورأي الناس فينا واحد وان يصطلحوا
مع علي فعلى دمائنا فهلموا نتواثب على علي فتعود فتنة يرضى منا فيها
بالسكوت فقال عبد الله بن السوداء بئس الرأي رأيت انتم يا قتلة عثمن
من اهل الكوفة بذي قار الفان وخمسمائة وهذا ابن الحنظلية في خمسة آلاف
بالاشواق الى ان يجدوا الى قتالكم سبيلا فارق على ظلعك
وقال علباء بن الهيثم انصرفوا بنا عنهم ودعوهم فان قلوا كان اقوى لعدوهم
عليهم وان كثروا كان احرى ان يصطلحوا عليكم ارجعوا فتعلقوا ببلد
من البلدان وامتنعوا من الناس فقال ابن السوداء بئس ما رأيت ود والله
الناس انكم على جديلة ولم تكونوا مع قوم برآء ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم
كل شيء فقال عدي بن حاتم والله ما رضيت ولا كرهت ولقد عجبت

من تردد من تردد عن قتله بخوض الحديث فاما اذ وقع ونزل من الناس بهذه
المنزلة فان لنا عتادا من خيول وسلاح محمولا فان اقدمتم اقدمنا وان امسكتم
امسكنا فقال ابن السوداء احسنت ٥ وقال سالم بن ثعلبة من كان اراد
بما اتى الدنيا فاني لم ارد ذلك والله لئن لقيتهم غدا لا ارجع الى شيء ولئن طال
بقائي اذا انا لاقيتهم لا يزيد على جزر جزور واحلف بالله انكم لتفرقون السيف
فرق قوم لا تصير امورهم الا الى السيف ٥ فقال ابن السوداء قد قال
قولا ٥ وقال شريح بن اوفى ابرموا اموركم ولا تؤخروا امرا ينبغي لكم
تعجيله ولا تعجلوا امرا ينبغي لكم تأخيره فانا عند الناس بشر المنازل فلا
ادري ما الناس صانعون غدا اذا هم التقوا ٥ وتكلم عبد الله بن السوداء
فقال يا قوم ان عزكم في خلطة الناس فصانعوهم واذا التقى الناس
غدا فانشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر الطويل فان من انتم معه لا
يجد بدا من ان يمتنع ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون

فابصروا الراي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون واصبح علي على ظهره
فمضى ومضى الناس حتى انتهى الى عبد القيس فنزل بهم والناس يتلاحقون
به وقد قطعهم [illegible] ولما بلغ اهل البصرة نزول علي حيث نزل اجتمعوا
الى طلحة والزبير واشاروا عليهما ان يبعثا خيلا فيبيتا عليا قبل ان يجتمع
الناس اليه فنهى الزبير وقال نرجو الصلح وقد رددنا ولعلهم يعني القعقاع
على امر وارجوا ان يتم فقام صبرة بن شيمان الى طلحة فقال يا طلحة انتهز
بنا هذا الرجل ان الراي في الحرب خير من الشدة فقال يا صبرة انا وهم
مسلمون وهذا امر حدث لم يكن قبل اليوم ولسنا ننتظر نزول قرآن
فيه ولا فيه من رسول الله صلى الله عليه سنة وهو علي ومن معه
فاما اصحاب علي فتحركوا وقاموا لعلي فقال ان الذي يدعوكم اليه من اقرار
هو لا هو شر وهو خير من شر منه وهو كامن وقد كاد يبين لنا وجاء
الاحكام من المسلمين بايثار اعمها منفعة واحوطها ه واقبل

كعب بن سور فقال ما تنتظرون يا قوم بعد توردكم اوايلهم اقطعوا
هذا من العنق فقالوا يا كعب ان هذا امر بيننا وبين اخواننا وهو
امر ملتبس وان الشي يحسن عندنا اليوم ويقبح عند اخواننا فاذا كان
من الغد قبح عندنا وحسن عندهم وانا لنحتج عليهم بالحجة فلا يرونها
حجة ثم يحتجون بها على امثالنا ونحن نرجوا الصلح ان اجابونا اليه
والا فان آخر الدواء الكي ه

ذكر فتوى لعلي ابن ابي طالب عليه السلام في تلك الحال

وقام الى علي عليه السلام جماعة من اهل الكوفة يسلونه عن اقدامهم
على القوم وسالوه ما الذي يرى فقال علي الاصلاح واطفا النايرة
لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم فقد اجابوني قالوا
فان لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قالوا فان لم يتركونا قال دفعناهم
عن انفسنا وقام اليه ابو سلامة الدالاني فقال اترى لهولاء القوم حجة

فيما اجتمعوا له وطلبوه من هذا الامر قال نعم قال فترى لك حجة
بتاخيرك ذلك قال نعم ان الشي اذا كان لا يدرك فالحكم فيه احوطه
واعمه نفعا فقال ما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال اني لارجو ان لا
يقتل احد منا ومنهم نقى قلبه لله بما يصنع الا ادخل الجنة ٥

وقام علي فخطب وقال ايها الناس كفوا السنتكم عن هولا وايديكم
فانهم اخوانكم واياكم ان تسبقونا فان المخصوم من خصم اليوم ثم ارتحل
على تعبيته حتى اذا اطل على القوم بعث اليهم ان كنتم على ما فارقتم
عليه القعقاع بن عمرو فكفوا حتى ننزل وننظر في هذا الامر فاقاموا ثلثه
ايام لم يكن بينهم قتال قال فكنا نرسل اليهم وندعوهم وبعث علي تلك
العشية عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثا هما من العشي محمد بن طلحه
الى علي وان يكلم كل واحد صاحبه فارسل علي الى روسا اصحابه
ما خلا اوليك الذين ساروا الى عثمن وارسل طلحة والزبير الى روسا اصحابهما

وباتوا على الصلح بليلة لم يبيتوا بمثلها سردا اما العافية مما اشرفوا عليه
وبات الذين اثاروا امر عثمن بشر ليلة باتوها قط قد اشرفوا على الهلكة
وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها حتى اجتمعوا على امضا ما كانوا اتهموا به
من انشا الحرب في السر واستسروا به خوفا من ان يفطن لهم فغدوا مع
الغلس وما يشعر بهم فانسلوا انسلالا وعليهم ظلمة فخرج مضريهم الى
مضريهم وربعيهم الى ربعيهم ويمانيهم الى يمانيهم فوضعوا فيهم السلاح
فثار اهل البصره وثار كل قوم في وجوه اصحابهم الذين بهتوهم ٥
وخرج طلحة والزبير في وجوه الناس من مضر وبعثا الى الميمنة والميسرة
فعبوهما وقالا ما هذا قالوا طرقنا اهل الكوفة ليلا فقالا قد علمنا
ان عليا غير منته حتى يسفك الدما ويستحل الحرمة ولنه لن يطاوعنا
ورجعا باهل البصره حتى ردوهم الى عسكرهم فسمع علي واهل الكوفه
الصوت وقد كان ابن السودا والاشتر واصحابهما قد وضعوا رجلا قريبا

من علي ووصوه بما يريدون وقالوا اذا سمعت عليا يسل عن الخبر فقلتم
وقل كنت وكنت فلما قال علي ما هذا قال ذلك الرجل ما لقينا الا قوم منهم
قد بيتونا فرددناهم من حيث جاوا فوجدنا القوم على رحل فركبوا ونادى
الناس وقال علي لصاحب ميمنته ائت الميمنه وقال لصاحب ميسرته ائت الميسره
فلقد علمت ان طلحه والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدم ويستحلا الحرمه
وانهما لن يطاوعانا والسابيه لا تفتر فنادى علي ايها الناس كفوا
فلا شي وكان يحب ان يبدوهم لتكون الحجه على القوم وخرج الاحنف بن قيس وبنو
سعد مشمرين قد بعثوا احوص بن زهير الى علي فقال يا علي ان قومنا بالبصره
يزعمون انك ان ظهرت عليهم غدا انك تقتل رجالهم وتسبي نساهم فقال
ما مثلي من يخاف هذا منه فهل انت مغن عني قومك قال نعم واختر
مني واحدا من اثنتين اما ان اتيك فاكون معك بنفسي واما ان اكف
عنك عشره الاف سيف قال بل اكفف عني عشره الاف سيف فرجع

ودعا قومه الى القعود والكف ففعلوا ثم ان الزبير خرج على فرس له عليه
سلاح فقيل لعلي هذا الزبير قال اما انه احرى الرجلين ان ذكر بالله ان
يذكر وخرج طلحه فخرج اليهما علي ودنا منهما حتى اختلفت اعناق دوابهم
فقال علي لعمري لقد اعددتما سلاحا وخيلا ورجالا ان كنتما اعددتما عذرا
عند الله فاتقيا الله ولا تكونا كالتي نقضت غزلها من بعد قوه انكاثا الم اكن
اخا لكما في دينكما تحرمان دمي واحرم دمكما فهل من حدث احل لكما
دمي قال طلحه البت على عثمان قال علي يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق
ويعلمون ان الله هو الحق المبين يا طلحه تطلب بدم عثمان فلعن الله اشدنا
كان عليه يا زبير اتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه
بني غنم فنظر الي وضحك وضحكت اليه فقلت لا يدع ابن ابي طالب
زهوه فقال لك رسول الله صلعم ليس به زهو ولتقاتلنه وانت له ظالم
فقال اللهم نعم ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا اقاتلك ابدا

فانصرف علي وخلى ذلك لاصحابه ورجع الزبير الى عائشة فقال لها ما كنت
في موطن مذ عقلت الا وانا اعرف فيه امري غير موطني هذا قالت ما تريد
ان تصنع قال اريد ان ادعهم واذهب قال له ابنه عبد الله جمعت هذين
الغارين حتى اذا حرد بعضهم لبعض اردت ان تتركهم وتذهب احسست
رايات ابن ابي طالب وعلمت انها تحملها فتية انجاد فغضب الزبير حتى
ارعد ثم قال ويحك اني قد حلفت الا اقاتله قال كفر عن يمينك فدعا
غلاما له يقال له مكحول فاعتقه فقال عبد الرحمن بن سليمن التيمي

لم ار كاليوم اخا اخوان اعجب من مكفر الايمان

بالعتق في معصية الرحمن

وانما حكينا هذه الحكاية لان فيها تجربة تستفاد وان ذهب ذلك على قوم فانا
ننبه عليه وذلك ان المجنون ربما سكن بالكلام الفصيح والساكن ربما احنق
بالزور من الكلام وذلك بحسب تاتي من يريد ذلك ولسانه من وجهه ٥

ما حفظ من كلام الاحنف في الاعتزال وحمل الناس عليه

انه لما رجع من عند علي لقيه هلال بن وكيع وهو مستند رقطه فقال ما رايك
قال مكانفة ام المومنين افتدعنا وتعتزل عنا وانت سيدنا قال انما اكون سيدكم
غدا اذا قتلت وبقيت فقال هلال سبحان الله تقول هذا وانت شيخنا فقال انا الشيخ
المعصي وانت الشاب المطاع ٥ ولما ابتدأ القتال قال علي لاصحابه:
ايكم يعرض عليهم هذا المصحف ويدعوهم الى ما فيه فان قطعت يده اخذه
بيده الاخرى فان قطعت اخذه باسنانه فقال فتى شاب انا فطاف على اصحابه
يعرض ذلك عليهم فلم يقبله الا ذلك الفتى فقال له علي اعرض عليهم هذا وقل
هو بيننا وبينكم من اوله الى اخره فالله الله في دمائنا ودمائكم فحمل القوم على
الفتى وفي يده المصحف فقطعت يداه فاخذه باسنانه حتى قتل فقال علي لاصحابه
قد طاب لكم الضراب فقاتلوهم فالتحمت الحرب واشتد القتال الى العصر
ثم انهزم اصحاب الجمل وعائشة يومئذ في هودجها على الجمل الذي يقال له

عشيّته وانهزم الزبير نحو وادي السباع وتشاغل الناس عنه واتبعه قوم
فلما رأى الفرسان تتبعه كرّ عليهم فلما عرفوه رجعوا عنه فتركوه وكان علي
وصاحهم ألا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح وأصاب طلحة سهم فشكّ
ركبته بصفحة الفرس فامتلأ موزجه دما وضعف فانتهى إليه القعقاع
في نفر وهو يقول إليّ عباد الله الصبر الصبر فقال له يا أبا محمد إنك لجريح وإنك عمّا
تريد لعليل فادخل الأبيات فقال يا غلام أدخلني وابغني مكانا فأدخل ومعه
غلام له ورجلان واقتتل الناس بعده وأقبل الناس في هزيمتهم فلما انتهوا
إلى الجمل عادوا فلما كانوا حيث التقوا وعادوا في أمر جديد ووقفت الميمنة
والميسرة وقالت عائشة لكعب بن سور وهو آخذ خطام الجمل يا كعب خلّ
عن البعير وتقدّم بكتاب الله فادعهم إليه ودفعت إليه مصحفا فاستقبلهم
بالمصحف وكانت السبئية أمام الناس يخافون أن يجري الصلح فاستقبلهم
كعب بالمصحف وعلي بن عمهم ويأبون إلا إقداما فرشقوا كعبا رشقا

واحدا فقتلوه ورموا الهودج فجعلت عائشة تنادي البقية البقية يا بني الله
الله فيأبون إلا إقداما

فكان أول ما أحدثت حين رأت الناس يأبون إلا قتالها

أن قالت أيها الناس العنوا قتلة عثمان وأشياعهم وأقبلت تدعو وضجّ أهل البصرة
بالدعاء وسمع علي الدعاء فقال ما هذه الضجّة قالوا عائشة تدعو ويدعون
معها على قتلة عثمان فأقبل علي يدعو ويقول اللهم العن قتلة عثمان وأشياعهم
ودمرت عائشة الناس لما رأت أن الناس لا يريدون غيرها ولا يكفّون وازدلفت
مضر البصرة فقصفت مضر الكوفة حتى زوحم علي وكانت الحرب صبيحة
هذا اليوم مع طلحة والزبير فلما انهزم الزبير وأصيب طلحة وذلك بعد الظهر
صارت الحرب مع عائشة قال محمد بن الحنفية دفع إليّ أبي اللواء وقال احمل
فحملت حتى لم أر موضعا أحمله وقد كان زوحم علي فنخس علي قفا محمد
وقال تقدّم قال فلم أجد متقدّما إلا على سنان فقلت لا أجد متقدّما

فتناول الرمح من يدي منا ولا ادري من هو فنظرت فاذا ابي بين يدي واقبلت
المجنبتان حين تزاحفنا فما اشبهه ما فيه القلبان وارتجز الفرسان وكثر القتلى وتنادى
الكماة في عسكر علي وعسكر عائشة لما راوا الصبر الشديد يا ايها الناس طرقوا
اذا فرغ الصبر ونزع النصر فجعلوا يتوخون الاطراف الايدي والارجل
فما رايت وقعة قط قبلها ولا بعدها ولا اسمع بها اكثر يدا مقطوعة ورجلا
مقطوعة منها لا يدرى من صاحبها وكان الرجل من هولاء وهولاء اذا اصيب
بشي من اطرافه استقتل الى ان يقتل ونادت عائشة من هودجها بصوت
عال فيه كبر ايها الناس خالطوا اجلادا بقاتلي منه لخ سيوف او طحيته
وسيوف قريشية ثم نادت بني ضبة ويا جرة الجراب واحدقوا بالجمل لها
حتى استحر فيهم القتل ورقوا وكانت عائشة تقول ما زال راس الجمل
معتدلا حتى فقدت بنو ضبة حولي وضربوا ضربا بالسيف بالتعذير
حتى اذا كثر القتلى وظهر في العسكر النظر بعضه كره بعضهم تعاضوا ارتدت

المجنبتان فصارتا في القلب ثم تلاقوا جميعا في قلبهم واخذ ابن يثربي بخطام
الجمل وارتجز وادعى قتل علباء بن الهيثم وزيد بن صوحان وهند بن عمرو فقال

انا لمن ينكرني ابن يثربي   قاتل علباء وهند الجمل
وابن صوحان على دين علي

فناداه عمار لقد لذت بحريز وما اليك من سبيل فان كنت صادقا فاخرج
من هذه الكتيبة الي فترك الزمام وبرز حتى كان بين صف عائشة
وصف علي ونزل اليه عمار وهو يومئذ ابن تسعين سنة وقد شد
وسطه بحبل وعليه فرو فضربه ابن يثربي فنحاه في درقته فنشب السيف
فيها ولسق عمار لرجليه فضربه فقطعهما فوقع على استه وحمله اصحابه
فارتث بعد فاتي به علي بن ابي طالب فقال استبقني يا امير المومنين فقال بعد
ثلاثة نفر وجوههم بسيفك وامر به فضربت عنقه   فتتابع
الناس على زمام الجمل حتى قتل اربعون رجلا يرتجزون وما يحتذون

الخطام فيقتلون ه فحدث عبد الله بن الزبير قال امسيت يوم الجمل
وبي سبع وثلثون جراحة من طعنة وضربة وما رأيت مثل يوم الجمل قط ما ينهزم
منا احد وما اخذ بخطام الجمل احد الا قتل ما اخذت بالخطام فقالت عايشة من
انت قلت ابن الزبير قالت واثكل اسماء ومر بي الاشتر فعرفته دعا نفتنه وسقطنا
جميعا ونادت اقتلوني ومالكا فجا ناس منا ومنهم فقاتلوا عنا حتى
تحاجزنا وضاع مني الخطام فسمعت عليا وهو ينادي اعقروا الجمل فانه
ان عقر تفرقوا فضربه رجل فسقط فما سمعت قط اشد من عجيج الجمل ه
وفي رواية ابي بكر بن عياش عن علقمة قال قلت للاشتر قد كنت كارها القتل
عثمن فما اخرجك بالبصرة قال ان هولا بايعوه ثم نكثوا وكان ابن الزبير
هو الذي اكره عايشة على الخروج وكنت ادعو الله ان يلقينيه فلقيني كفة
لكفة فما رضيت لشدة ساعدي ان قمت في الركاب فضربته ضربة على راسه
فصرعته قلت فهو القايل اقتلوني ومالكا قال لا ما تركته وفي نفسي منه شي

ذاك عبد الرحمن عتاب بن اسيد لقيني فاختلفنا ضربتين فصرعني وصرعته
فجعل يقول نحن مصطرعون اقتلوني ومالكا والناس لا يعلمون من مالك فلو يعلمون
لقتلوني ثم قال ابو بكر بن عياش هذا كانت شاهره ه وحدث عوف بن رجا
قال رايت رجلا قد اصطلمت اذنه فقلت اخلقة ام شي اصابك قال احدثك
بينا انا امشي بين القتلى يوم الجمل فاذا رجل يفحص برجله وهو يقول
لقد اوردنا حومة الموت امنا فلم ننصرف الا ونحن رواء
قال قلت يا عبد الله قل لا اله الا الله قال ادن مني ولقني فان في اذني وقرا
قال فدنوت منه فقال لي ممن انت قلت رجل من اهل الكوفة قال فوثب
علي واصطلم اذني كما ترى وقال اذا رجعت الى امك فاخبرها ان عمير
الاهلب الضبي فعل بك هذا وتمام ابيات عمير الاهلب
اطعنا قريشا ضلة من حلومنا ونصرتنا اهل الحجاز عنا
اطعنا بني تيم بن مرة شقوة وهل تيم الا اعبد واما

وروي عن الصعب بن عطية قال كان منا رجل يدعى الحرث قال يومئذ
يا لمضر علام يقتل بعضنا بعضا فنادوا الا تنتهون الا آنا الى قضاء ما تقولون
في ذلك وقال القعقاع بعد ذلك ما رأيت شيئا اشبه بشيء من قتال القلب
يوم الجمل بقتال صفين لقد رأيتنا ندافعهم بأسنتنا ونتكي على ازجتنا وهم
مثل ذلك حتى لو ان الرجال مشت عليها لاستقلت بهم وقال عبد الله بن سنان
الكاهلي لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فنيت وتطاعنا بالرماح حتى
تشبكت في صدورنا وصدورهم حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت ثم قال علي
السيوف يا ابناء المهاجرين قال الشيخ فما دخلت دار الوليد بالبصرة وسمعت صوت
القصابين يضربون الا ذكرت ذلك اليوم وما شبهت هودج عائشة الا
بالقنفذ من النبل ه   ثم امر علي عليه السلم بحمل الهودج من بين القتلى
وقد كان القعقاع وزفر بن الحرث انزلاه عن ظهر البعير فوضعاه الى جنب البعير
فاقبل محمد بن ابي بكر ومعه عمار حتى احتملاه وادخل محمد يده فقالت

من هذا ويلك قال انا اخوك محمد قالت بل مذمم قال يا اخيه هل اصابك
شيء قالت ما انت من ذاك قال فمن اذا الضلال قالت بل الهداة ولقيها
علي فقال كيف انت يا امه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك
واما الزبير فانه تبعه ابن جرموز فقتله   واما الاحنف فقصد عليا ومعه
ابن جرموز فقال علي للاحنف تربصت فقال ما كنت اراني الا قد احسنت
وبامرك كان يا امير المؤمنين فارفق فان طريقك الذي سلكت بعيد وانت غدا
الي احوج منك امس فاعرف احساني واستصف مودتي ولا تقولن مثل هذا
فاني لم ازل لك ناصحا وحملت عائشة الى دار عبد الله بن خلف الخزاعي وكان عبد الله
هذا قتل يوم الجمل مع عائشة وقتل عثمن اخوه مع علي واما الجرحى
فانهم انسلوا في جوف الليل ودخلوا البصرة من كان يطيق الانبعاث وسالت
عائشة عن عدة ممن كانوا معها وممن كانوا عليها فكلما نعي واحد منهم
لها قالت رحمه الله فاما علي فصلى على قتلى هولا وهولا وجمع الاسلاب الى

المسجد بالبصرة ونادى من عرف شيئا فليأخذه الا سلاحا كان في الخزاين عليها
سمة السلطان وصلى علي في المسجد ثم دخل البصرة فأتاه الناس ثم راح
الى عايشه على بغلته وهي في دار عبد الله بن خلف وهي اعظم دار بالبصرة فوجد
النساء يبكين على عبد الله وعثمن ابني خلف وصفية بنت الحرث مختمرة تبكي فلما راته
قالت له يا علي يا قاتل الاحبة يا مفرق الجمع ايتم الله منك بنيك كما ايتمت
ولد عبد الله فلم يرد عليها شيئا ولم يزل على حاله حتى دخل على عايشه فسلم
عليها وقعد عندها ثم قال جبهتنا صفية اما اني لم ارها منذ كانت
جارية حتى اليوم فلما خرج علي اقبلت عليه فاعادت عليه الكلام فكف
بغلته ثم قال لهممت واشار الى باب من ابواب الدار ان افتح هذا الباب
واقتل من فيه ثم هذا واقتل من فيه وكان ناس من الجرحى لجؤوا الى عايشه
فاخبر علي بمكانهم فتغافل عنهم فسكتت صفية وخرج علي فقال له
رجل من الازد ما تفلتنا هذه المراة فغضب وقال مه لا تهتكن سترا

ولا تدخلن دارا ولا تهيجن امراة باذى وان شتمن اعراضكم وسفهن امراءكم
وصلحاءكم فانهن ضعاف ولقد كنا نؤمر بالكف عنهن وهن مشركات وان الرجل
ليكافي المراة ويتناولها بالضرب فيعير به عقبه من بعده فلا يبلغني عن احد
عرض لامراة فانكل به شرار الناس ومضى علي فلحق به رجل فقال يا امير المومنين
قام رجلان ممن لقيت على الباب فتناولا من هو امض لك شتيمة من صفية
قال ويحك لعلها عايشه قال نعم فبعث القعقاع بن عمرو الى الباب فاقبل بمن كان
عليه فاحالوا على رجلين فقال اضرب اعناقهما ثم قال لا بل انهكهما عقوبة
ثم قال لا بل اضربهما مائة واخرجهما من ثيابهما ثم بايع اهل البصرة حتى الجرحى
والمستامنة فلما فرغ من بيعتهم نظر في بيت المال فاذا فيه ستمائة الف فقسمها
على من شهد معه فاصاب كل رجل منهم خمسمائة فقال لكم ان اظفركم الله بالشام
مثلها الى اعطياتكم فخاض في ذلك السبائية وطعنوا على علي من وراء وراء
وكان من سيرة علي الا يقتل مدبرا ولا يذفف على جريح ولا يكشف سترا

ولا يأخذنا إلا فقال قوم يومئذ ما يحل لنا دماؤهم ويحرم علينا أموالهم
فقال علي القوم أمنا لكم من صفح عنا فهو منا ونحن منه ومن لج حتى
يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر وإن لكم في خمسه لغنى فيومئذ
تكلمت الخوارج ٥ وكتب كتاب البشارة إلى عامله بالمدينة وكان
زياد بن أبي سفيان ممن اعتزل فلما انجلت الحرب ذكره علي واستبطأه فقال
ابن أخيه عبد الرحمن بن أبي بكرة وكان ورد مستأمنا هو مستأنس بأمير المؤمنين
فقال لعنتر أمامي فاهدني إليه ففعل فلما دخل عليه قال تقاعدت وتربصت
فاعتذر زياد فقبل عذره واستشاره فيمن يوليه البصرة وأراد عليه أهلها
فقال يا أمير المؤمنين رجل من أهل بيتك تسكن إليه الناس فإنه أجدر
أن يطمئنوا إليه ويساكنه ولتشير عليه فافترقا على ابن عباس وولى زيادا
الخراج وبيت المال واعجلت السابئة عليا عن المقام وارتحلوا بغير إذنه
فارتحل في آثارهم ليقطع عنهم أمرا إن كانوا أرادوه وقد كان له مقام لولاهم

وكان عدة القتلى يوم الجمل عشرة آلاف من الفريقين ٥ وتحدث الناس أن
أهل المدينة علموا بيوم الجمل يوم الخميس قبل أن تغرب الشمس وفيه كان القتال
وذلك من نسر مر بما حول المدينة معه شيء متعلق فتأمله الناس فوقع فإذا كف
فيها خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب ثم جعل من بين مكة والمدينة ممن قرب
من البصرة أو بعد قد علموا بالوقعة مما ينقل إليهم النسور من الأيدي والأقدام
وجهز علي عائشة لغرة رجب سنة ست وثلثين بكل شيء ينبغي لها وأخرج
معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام ٥ واختار لها من نساء
البصرة المعروفات أربعين امرأة وأمر أخاها محمدا بالخروج معها وخرج
في تشييعها أميالا وسرح بنيه معها يوما ؛ وكان علي بن أبي طالب ولى
قيس بن سعد بن عبادة مصر لما قتل عثمان فسار إليها وبايع أهلها لعلي
ودارى الناس فاستجاب له أهل مصر إلا أهل قرية يقال لها خربتا فإن
أهلها أعظموا قتل عثمان وكانوا نحو عشرة آلاف رجل من الوجوه والفرسان

فكره قيس أن يهيجهم فراسلهم قيس وارسلوه يقولون انا لا نقاتلك فابعث
عمالك فالارض ارضك ولكن دعنا على حالنا حتى ننظر الى ما يصير امر
الناس فامسك عنهم وارسل اليهم عماله فجباهم ثم نوثب عليه قوم بمصر
فداراهم وكان قيس ذا حزم ورأي فجبى الخراج لا ينازعه احد وخرج
امير المومنين الى اهل الجمل وهو على مصر ورجع الى ارض الكوفة من البصرة
وهو مكانه وكان اثقل خلق الله على معوية لقربه من الشام مخافة ان يقبل اليه
علي في اهل العراق ويقبل اليه قيس في اهل مصر فيقع معوية بينهما فكتب
اليه معوية وعلي بن ابي طالب بالكوفة يومئذ يعظم عليه قتل عثمن ويذكر له
ان صاحبه اغرى به الناس وحملهم على قتله ونحمل نفسا على ما يعينه ويضمن
له سلطان العراقين اذا ظهر ما بقي ويشترط له سلطان الحجاز يوليه من
شاء من اهله ويقول له بعد ذلك وسلني غير هذا مما تحب فانك لا تسلني
شيئا الا اتيتك اليه فاجابه قيس بالاعتذار من قتل عثمن وانه لم يشهده

ولا صاحبه امير المومنين اغرى به ولا رضيه واستمهله فيما عرض عليه من متابعته
وقال لي فيه نظر وروية فلما نظر في كتابه معوية وقرأه لم يره الا متباعدا
ولم يامن ان يكون مكايدا فكتب اليه كتابا اخر يقول له لم ارك تدنو فاعدك
سلما ولم ارك تتباعد فاعدك حربا وليس مثلي من يصانع بالخداع ومعه اعنة
الخيل وعدد الرجال فلما قرأ قيس كتابه ورأى انه لا يقبل منه المدافعة
اظهر له ذات نفسه وكتب اليه العجب من اغترارك بي وطمعك
في واستسقاطك رأيي تسومني الخروج من طاعة اولى الناس بالامارة واقولهم
بالحق واقربهم الى الرسول واهداهم سبيلا وتامرني بالدخول في
طاعتك طاعة ابعد الناس من هذا الامر واقولهم بالزور واضلهم
سبيلا وابعدهم من الله ورسوله وسيلة ولد ضالين مضلين طاغوت من
طواغيت ابليس واما قولك اني مالئ عليك خيلا ورجالا فوالله ان لم
اشغلك بنفسك حتى تكون نفسك اهم اليك انك لذو جد والسلم

فلما اتى معوية كتاب سعد هذا ايس منه وثقل عليه مكانه واخذ في طرق
الحيلة عليه والمكيدة له ٥

ذكر مكيدة معوية لقيس وما تم له عليه

فاخذ معوية يكيد قيسا من قبل علي فيظهر مرة كتابا يفتعله من قيس اليه
بانه منكر لقتل عثمان تايب الى الله منه وان هواه وميله معه في اشيا تشبه
هذا الكلام ومرة يظهر رسولا يزعم انه من قبله ويلقنه ما يقوي به
قلوب شيعته من اهل الشام ومرة يقول لثقاته لا تسبوا قيس بن سعد فانه
لنا شيعة تاتينا نصيحته سرا الا ترون ما يفعل باخوانكم من اهل خربتا
يجري عليهم ارزاقهم ويؤمن سربهم ويحسن الى كل راكب قدم عليه
منكم فسمع جواسيس امير المومنين علي بن ابي طالب وعيونه ذلك
فكتبوا اليه به ولم يزل معوية بامثال هذه المكايد حتى اتهم علي قيسا
وجمع ثقاته وقال لهم ما كتب اليه من امر قيس فقالوا يا امير المومنين دع

ما يريبك الى ما لا يريبك اعزل قيسا وابعث مكانه فقال علي
اني والله ما اصدق هذا على قيس فقال عبد الله بن جعفر اعزله يا امير المومنين
فوالله لئن كان هذا حقا لا يعتزل لك فبينا هم كذلك اذ جاء كتاب من قيس بن
سعد يخبره ان رجالا معتزلين قد سالوني ان اكف عنهم وادعهم حتى يستقيم
امر الناس فنرى ويروا رايهم وقد رايت ان اكف عنهم وان لا اعجل حربهم فلعل
الله يعطف بقلوبهم فقال عبد الله بن جعفر يا امير المومنين ما اخوفني ان يكون
هذا ممالاة منه لهم فمره بقتالهم فكتب اليه علي اما بعد فسر الى القوم
الذين ذكرت فان دخلوا فيما دخل فيه المسلمون والا فناجزهم والسلام
فلما اتى قيس بن سعد الكتاب لم يتمالك ان كتب اما بعد يا امير المومنين فقد عجبت
لامرك تامرني بقتال قوم كافين عنك مفرغيك لقتال عدوك وانك متى حاربتهم
ساعدوا عليك عدوك فاطعني يا امير المومنين واكفف عنهم فان الراي تركهم
فلما اتى عليا كتاب قيس قراه على اصحابه فقال عبد الله بن جعفر ابعث محمد بن ابي بكر

على مصر يكفك فقد بلغني عن قيس هنات واقوال يعني ما كان يستبعه معوية
عنه وكتب على عهد محمد بن ابي بكر على مصر فلما قدم محمد مصر خرج قيس فلحق
بالمدينة فاخافه مروان والاسود بن البختري حتى اذا خاف ان يقتل ركب راحلته
وظهر الى علي وبلغ ذلك معوية فكتب الى مروان والاسود يتغيظ عليهما ويقول
امددتما عليا بقيس بن سعد ورايه ومكانه والله لو انكما امددتماه بمائة الف
مقاتل ما كان ذلك باغيظ لي من اخراجكما قيس بن سعد الى علي
ولما قدم قيس على علي وباثه نجاه فقتل محمد بن ابي بكر عرف ان قيس بن سعد
كان يداري امورا عظاما من المكايد وان من كان يحمله على عزل قيس
لم يكن ينصح له فاطاع علي قيس بن سعد بعد ذلك في الامر كله
وكان اهل الشام قد علموا للنعمان بن بشير بقميص عثمن الذي قتل فيه
مخضبا بدمه وباصابع زوجته نائلة مقطوعة البراجم اصبعان منها
مع شيء من الكف واصبعان مقطوعتان من اصولهما ونصف

الابهام وكان معوية يضع القميص على المنبر ويعلق منه الاصابع
ويشنع به ويكاتب الاجناد فثاب اليه الناس وبكوا سنة والقميص بتلك
الحال وآلى رجال من اهل الشام الا ياتوا النساء ولا يمسهم الما للغسل
الا من الاحتلام ولا يناموا على الفرش حتى يقتلوا قتلة عثمن ومن عرض دونهم
بشيء او تفنى ارواحهم وبلغ عليا خبر معوية وما يصنعه فبعث اليه
برسل وخرج من الكوفة فعسكر بالنخيلة وقدم عليه عبد الله بن عباس بمن
نهض معه من البصرة وتهيا منها الى صفين واستشار الناس فاشار عليه
قوم ان يبعث الجنود ويقيم واشار آخرون بالمسير فابى الا المباشرة
فجهز الناس وبلغ الخبر معوية فدعا عمرو بن العاص واستشاره فقال اذا
بلغك انه يسير فسر بنفسك ولا تغب عنه برايك ومكيدتك قال معوية
فجهز الناس فخرج عمرو الى الناس فحضهم وضعف عليا
واصحابه وقال ان اهل العراق قد فرقوا جمعهم واوهنوا شوكتهم

وقطعوا احدهم ثم ان اهل البصرة مخالفون لعلي وقد قتلهم ووترهم وتفانت
صناديدهم يوم الجمل وانما سار علي في شرذمة قليلة منهم من قتل خليفتكم
فالله الله في حقكم ان تضيعوه وفي دمكم ان تطلوه ٥ وبعث علي بن ابي طالب
زياد بن النضر طليعة في ثمانية الف وشريح بن هانئ ووجه من المداين معقل بن
قيس في ثلثة الف وامره ان ياخذ على الموصل حتى يوافيه وسار بنفسه حتى
انتهى الى الرقة وقال لاهلها اجسروا لي جسرا حتى اعبر من هذا المكان الى الشام
فابوا وكانوا اضموا اليهم السفن فنهض علي من عندهم ليعبر من جسر منبج وخلف
عليهم الاشتر فدخل ليمضي بالناس ويعبر بهم فنادى الاشتر يا اهل هذا الحصن
الا اني اقسم بالله لئن مضى امير المؤمنين ولم تجسروا له عند مدينتكم جسرا حتى
يعبر لاجردن فيكم السيف ثم لاقتلن الرجال ولاخربن الديار ولانهبن الاموال
فلقي بعضهم بعضا فقالوا ان الاشتر يفي بما حلف عليه ويأتي بما هو شر منه فنادوه
نعم انا ناصبون لكم جسرا فاقبلوا وجاء علي فنصبوا له الجسر فعبر علي بالاثقال

والرجال ثم امر علي الاشتر فوقف في ثلثة الاف فارس حتى لم يبق من الناس احد الا
عبر ثم عبر آخر الناس رجلا فاما زياد بن النضر وشريح بن هانئ فسارا امام علي كما ذكرنا
من الكوفة آخذين على شاطئ الفرات من قبل البر مما يلي الكوفة حتى بلغا عانات
فبلغهما ان عليا اخذ على طريق الجزيرة وان معوية قد اقبل من دمشق في جنود اهل
الشام فقالا لا والله ما هذا لنا براي ان نسير وبيننا وبين المسلمين ولامير المؤمنين هذا
البحر وما لنا خير في ان نلقى جنود الشام بقلة من معنا منقطعين من المدد فذهبوا
ليعبروا من عانات فمنعهم اهل عانات وحبسوا عنهم السفن فاقبلوا راجعين حتى
عبروا من هيت ثم لحقوا عليا فقال عليه السلم مقدمتي تاتيني من ورائي فقدم اليه
زياد وشريح فاخبراه بما راينا فقال سددتما ثم مضى فلما عبر الفرات قدمهما امامه وارسل
معوية ابا الاعور السلمي في جند عظيم من اهل الشام فارسلا الى علي انا قد لقينا
ابا الاعور السلمي في جمع من اهل الشام ودعوناهم فلم يجبنا منهم احد فمرنا بامرك
وكان علي امرهما ان لا يبدا بقتال حتى يدعوا الى الحق ويكون مبدا القتال من عندهما

فارسل علي عليه السلم الاشتر فقال يا مالك ان زيادا وشريحا ارسلا الي انهما لقيا
ابا الاعور السلمي في جمع من اهل الشام واخبرني الرسول انهم متوافقون فالنجا الى اصحابك
النجا فاذا قدمت عليهم فانت عليهم واياك ان تبدا القوم ولا يجرمنك شنانهم على قتالهم
قبل دعائهم مرة بعد مرة ولا تدن منهم دنو من يريد ان ينشب الحرب ولا
تباعد منهم بعد من يهاب الناس حتى اقدم عليك فاني حثيث السير في اثرك ان شا الله
وكتب الى زياد وشريح بالسمع له والطاعة فخرج الاشتر والنخعي مع القوم وكف
عن القتال الى ان حمل ابو الاعور فثبتوا له ثم انصرف اهل الشام في تلك الليلة
لما ادركهم المسا واقبل من الغد وجا الاشتر من المكان الذي كان فيه ولم يزل ابن خف
حتى يقف في المكان الذي كان فيه بالامس ابو الاعور فقال الاشتر لسنان بن مالك
انطلق الى ابي الاعور فادعه الى المبارزة فقال الى مبارزتي او الى مبارزتك
فقال الاشتر لو امرتك بمبارزته فعلت قال نعم والله لو امرتني ان اعترض صفهم
بسيفي ما رجعت حتى اضرب فيهم بسيفي فقال له الاشتر يا ابن اخي اطال الله بقاك

قد والله ازددت فيك رغبة لا ما امرتك بمبارزته انما امرتك ان تدعوه الى مبارزتي
انه لا يبرز الا لذوي الاسنان والكفاة والشرف وانت ولربك الحمد من اهل الشرف
والكفاية غير انك حديث السن وليس بمبارز الاحداث ولكن ادعه الى مبارزتي
فاتاه فنادى امنوني فاني رسول فاومن حتى جا الى ابي الاعور قال فدنوت منه فقلت
ان الاشتر يدعوك الى المبارزة قال فسكت عني طويلا ثم قال ان خفة الاشتر
وسو رايه هو حمله على اجلا عمال عثمن بن عفان من العراق ومن خفة الاشتر ان سار
الى ابن عفان في داره حتى قتله فيمن قتله فاصبح متبعا بدمه الا لا حاجة لي
في مبارزته قال فقلت له انك قد تكلمت فاسمع مني اجيبك قال لا لا حاجة لي في
الاستماع منك ولا في جوابك اذهب عني وصاح بي اصحابه فانصرفت عنه ولو سمع
الي لاخبرته بحجة صاحبي فرجعت الى الاشتر فاخبرته انه قد ابى المبارزة فقال لنفسه
نظر واقمنا متحاجزين يومنا ونتحارس ليلتنا فلما اصبحنا نظرنا فاذا القوم قد
انصرفوا من تحت ليلتهم ويصبحنا علي غدوة فقدم الاشتر فيمن كان معه في

تلك المقدمة وجاء علي في اثره حتى لحق بالاشتر ولنتهى الى معوية قال فلما انتهينا
الى معوية وجدناه قد عسكر في موضع سهل افيح قد اختاره قبل قدومنا الى
جانب شريعة الفرات ليس في ذلك الصقع كله شريعة غيرها وجعلها في حيزه
وبعث عليها ابا الاعور يمنعها ويحميها قال فارتفعنا على الفرات رجاء ان نجد
شريعة غيرها نستغني بها عن شريعتهم فلم نجدها قال فاتينا عليا فاخبرناه بعطش
الناس وقال له الاشتر ان القوم قد سبقوك الى الشريعة والى سهولة المنزل
فان رايت سرنا حتى نجوزهم الى القرية التي خرجوا منها فننزل في منزلهم فانهم يتخوفون
في اثرنا فاذا لحقوا بنا لنا وكانوا هم على السوا فكره ذلك علي وقال ليس كل الناس
يقوى على المسير فنزل بهم فقال علي فاتلوهم على الما وبعث الى معوية رسول
يقول انا سرنا اليك ومن راينا الكف الى ان ننظر لنفسك وننظر لمنعنا من
قبلك فبدانا وهذا الما منعتموه فخل بين الناس وبين الشريعة حتى ننظر
وان كان الاعجب اليك ان نترك ما جئنا له ونترك الناس يقتتلون على الما حتى

يكون الغالب هو الشارب فعلنا ان فقال معوية لاصحابه ما ترون فاما الاكثر التارك
فقال هو انعم عيني امنعهم الما كما منعوه عثمن فان رجعوا كان ذلك فلا لهم فقال
عمرو خل بينهم وبين الما فان القوم لن يعطشوا ولكن بغير الما فانظر فيما بينك
وبينهم فارتفع الصياح من كل جانب امنعوهم الما منعهم الله يوم القيامة وكان
الرسول صعصعة بن صوحان فقال صعصعة انما يمنعه الله يوم القيامة الكفرة
والفسقة وشربة الخمر ضربكم من الناس فتواثبوا اليه يشتمونه ويتهددونه
فقال معوية كفوا عن الرجل فانه رسول فقال صعصعة فخرجت من عنده
ومن رايه منع الما فالتفت الى علي حتى رايت الخيل تسرب الى ابي الاعور ليكفنا
عن الما فابرز علي اليهم وقال قاتلوهم على الما فارتمينا ثم اطعنا ثم تجالدنا بالسيوف
الى ان انهزموا وصار الما في ايدينا فقلنا لا والله لا نسقيهم فوجه بعد ان غلبنا
عليه بالسيف فارسل الينا علي ان خذوا من الما حاجتكم وارجعوا الى
عسكركم وخلوا عنهم فان الله قد نصركم عليهم ببغيهم وظلمهم ثم اقبل علي بامره

ذا الشرف من الناس فيخرج ومعه جماعة ويخرج معوية اليه مثله فيقتتلان
في خيلهما ثم ينصرفان واخذوا يكرهون ان يلقوا بجمع العراق اهل الشام لما يتخوفون
ان يكون في ذلك من الاستيصال والهلاك الى ان نقضى شهر ذي الحجه ٥
فلما دخل المحرم توادع علي ومعويه الى انقضايه طمعا في الصلح وترددت
الرسل وطال الكلام بينهما فاستقام بينهما الصلح وانقضى المحرم فامر علي
مرثد بن الحرث الجشمي فنادى اهل الشام عند غروب الشمس الا ان امير المؤمنين
يقول لكم اني استاذنتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا اليه واحتججت عليكم
بكتاب الله ودعوتكم اليه فلم تناهوا عن طغيان ولم تجيبوا الى حق واني قد
نبذت اليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ففزع اهل الشام الى
امرايهم وخرج معوية وعمرو في الناس يكتبان الكتايب ويعبيان الناس واوقدوا
النيران وبات علي ليلته كلها يعبي الناس ويكتب الكتايب ويدور في
الناس ويحرضهم وكان فيما يوصيهم اذا قاتلتموهم وهزمتموهم فلا تقتلوا

مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فاذا وصلتم
الى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا الا باذن ولا تاخذوا شيا
من اموالهم الا ما وجدتم في عسكرهم ولا تهيجوا امراة باذى وان شتمن اعراضكم
وسببن امراءكم وصلحاكم فانهن ضعيفات القوى كان هذا كلامه في يوم
الجمل وصفين وفي يوم النهروان وكان يحرض فيقول عباد الله غضوا الابصار
واخفضوا الاصوات واقلوا الكلام ووطنوا انفسكم على المنازلة والمبارزة
والمبالطة والمعانقة واثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ولا تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين اللهم الهمهم الصبر وانزل
عليهم النصر واعظم لهم الاجر ٥ ولما اصبح علي عبى ميمنته وميسرته
ومعوية في مثل ذلك وبايع رجال من اهل الشام على الموت فعقلوا انفسهم
بالعمايم وكان المعقلون خمسة صفوف وكانوا يخرجون ويصفون
احد عشر صفا ويخرج اهل العراق احد عشر صفا ٥

فخرجوا اول يوم من صفر فاقتتلوا وعلى من خرج يومئذ من الكوفة
الاشتر وعلى اهل الشام حبيب بن مسلمة وذلك يوم الاربعا فاقتتلوا عامة
نهارهم ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض. فلما كان اليوم الثاني خرج
هاشم بن عتبة المرقال وخرج اليه ابو الاعور السلمي في خيلها ورجالها فاقتتلوا
عامة يومهم وصبر بعضهم لبعض. وخرج اليوم الثالث عمار بن ياسر وخرج
اليه عمرو بن العاص في خيليهما ورجليهما فاقتتلوا كاشد ما يكون القتال وكان مع
عمار زياد بن النضر على الخيل فامره عمار ان يحمل فحمل في خيله وصبر له الناس
وشد عمار في الرجال فازال ابن العاص عن موقفه ثم انصرف كل واحد عن
صاحبه وتراجع الناس. وخرج اليوم الرابع محمد بن علي وهو ابن الحنفية
فخرج اليه عبيد الله بن عمر في جمعين عظيمين فاقتتلوا كاشد القتال فارسل
عبيد الله الى ابن الحنفية ان اخرج الي فقال نعم وخرج يمشي وبصر به
علي فقال من هذان المتبارزان فقيل له ابنك وعبيد الله بن عمر فحرك دابته

ثم نادى محمدا فوقف له فقال امسك دابتي فامسكها ثم مشى اليه علي وقال
ابرز فهلم الي فقال ليست لي في مبارزتك حاجة فقال بلى هلم فقال لا فرجع
ابن عمر واخذ محمد بن الحنفية يعاتب اباه في منعه ثم خروجه بنفسه الى من ليس
هناك هو ولا ابوه فجرى بينهما كلام مذكور ثم حاجز الناس. فلما كان اليوم
الخامس خرج عبد الله بن العباس وخرج اليه الوليد بن عقبة فاقتتلوا قتالا شديدا
ودنا ابن عباس من الوليد بن عقبة والوليد يشتم بني عبد المطلب فارسل اليه
ابن عباس ان ابرز لي فابى وقاتل ابن عباس قتالا شديدا وغشي الناس بنفسه
يومئذ. وخرج اليوم السادس قيس بن سعد الانصاري فخرج اليه ابن ذي
الكلاع الحميري فاقتتلا قتالا شديدا ثم انصرفا وذلك بعد قتل كثير في
الفريقين. وخرج الاشتر في اليوم السابع وعاد اليه حبيب بن مسلمة
وذلك يوم الثلثا فاقتتلا كاشد ما يكون من قتال ثم انصرفا عند الظهر
وكل غير غالب. ثم ان عليا قال حتى متى لا نناهض هؤلا القوم

باجمعنا فقام في الناس عشية الثلاثاء ليلة الاربعاء بعد العصر فخطبهم فقال الحمد لله
الذي لا يبرم ما نقض ولا ينقض ما ابرم ولو شاء ما اختلف اثنان من خلقه ولا تنازعت
الامة في شيء من امره ولا جحد المفضول ذا الفضل فضله وقد ساقتنا وهولاء القوم
الاقدار فلفت بيننا في هذا المكان فلو شاء عجل النقمة وكان منه التغيير حتى يكذب
الظالم ويعلم الحق اين مصيره ولكنه جعل الدنيا دار الاعمال وجعل الآخرة
هي دار القرار ليجزي الذين اساوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى الا انكم
لاقوا القوم غدا فاطلبوا وجه الله باعمالكم واطيلوا الليلة القيام واكثروا تلاوة
القرآن وسلوا الله الصبر والنصر والقوهم بالجد والحزم وكونوا صادقين ثم وثب
الناس الى سيوفهم ورماحهم ونبالهم يصلحونها ومر بهم كعب بن جعيل التغلبي
وهو يقول اصبحت الامة في امر عجب والملك مجموع غدا لمن غلب
فقلت قولا صادقا غير كذب ان غدا تهلك اعلام العرب
ولما كان من الليل خرج علي فعبى الناس ليلته كلها حتى اذا اصبح زحف الناس وخرج
اليه معوية في اهل الشام فجعل علي يقول من هذه القبيلة ومن هذه الكتيبة

فتنسب له حتى اذا عرفهم ورأى ام كثرهم قال للازد اكفوني الازد وقال لخثعم
اكفوني خثعم وامر كل قبيلة ان تكفيه اختها واذا لم تجد لقبيلة اختها منهم سمى لها قبيلة
اخرى ثم تناهض الناس يوم الاربعاء فاقتتلوا نهارهم كله وانصرفوا عند المساء
وكل غير غالب ٥ حتى اذا كان يوم الخميس وهو التاسع صلى علي بغلس
فيقال انه لم يغلس لشدة من تغليسه يومئذ ثم خرج بالناس وكان علي عليه السلام يبدأ
القوم بالمسير اليهم فاذا رأوه وقد زحف استقبلوه بوجوههم فلما صلى علي
دعا دعاء كثيرا وقال في آخر دعائه اللهم ان اظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي وسددنا
للحق وان اظهرتهم علينا فارزقني الشهادة واعصم بقية اصحابي من الفتنة ٥
ثم خرج وعلى ميمنته عبد الله بن بديل وعلى ميسرته عبد الله بن العباس وقراء اهل العراق
مع ثلاثة نفر مع عمار بن ياسر ومع قيس بن سعد ومع عبد الله بن بديل والناس على
راياتهم وعلي في القلب في اهل المدينة بين اهل الكوفة واهل البصرة واكثر
من معه من اهل المدينة الانصار ثم زحف اليهم بالجمع ٥ ورفع معوية قبة

عظيمة وقد القى عليها الكرابيس وبايعه اعظم اهل الشام على الموت وبعث الى
خيل اهل دمشق فاحاطت بقبته وزحف عبد الله بن بديل في الميمنة نحو حبيب
مسلمة فلم يزل يحوزه ويكشف خيله من الميسرة حتى اضطرهم الى قبة معوية عند
الظهر وحرض عبد الله بن بديل اصحابه وحرضهم وذكرهم الله واثنى عليه وعض معوية
وسبه وقال فيما لا تستبدوا وحمل على اصحابه

خطبة في حض على حرب ووصايا فيها

فقال ان الله قد دلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم واخبركم انه يحب الذين يقاتلون
في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فسووا صفوفكم وقدموا الدارع واخروا
الحاسر وعضوا على الاضراس فانه انبى للسيوف عن الهام والتووا في اطراف
الرماح فانه امور للاسنة وغضوا الابصار فانه اربط للجاش وامتنوا الاصوات
فانه اطرد للفشل واولى بالوقار ورايتكم فلا تميلوها ولا تجعلوها الا
بايدي شجعانكم اجزا امرؤ قرنه وآسى اخاه بنفسه ولم يكل قرنه الى اخيه فيكسب

به لائمة ودناءة وكيف لا وهذا يقاتل اثنين وهذا ممسك بيده قائما ينظر اليه من
يفعل ذلك مقته الله قال الله لقوم لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا استعينوا بالصدق والصبر فان الله ينزل بعد الصبر
النصرة وخطب يزيد بن قيس الارحبي فقال بعد حمد الله ان هولاء القوم
والله لا يقاتلونا على اقامة دين رأونا ضيعناه واحياء حق رأونا امتناه ولن يقاتلونا
الا على هذه الدنيا ليكونوا جبابرة فيها ملوكا فلو ظهروا عليكم ولا اراهم الله
ذلك لرموكم بمثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه الضال يخبر
احدهم في مجلسه بمثل ديته ودية ابيه وجده يقول هذا لي ولا اثم علي كانما
اعطي تراثه عن ابيه وامه وانما هو مال الله افاءه الله علينا فقاتلوا عباد الله
القوم الظالمين الحاكمين بغير ما انزل الله ولا تاخذكم في جهادهم لومة لائم
فانهم من عرفتم وخبرتم والله ما ازدادوا الى يومهم هذا الا شرا
وقاتلهم عبد الله بن بديل في الميمنة حتى انتهى الى قبة معوية ثم ان الذين تبايعوا

علي الموت اقبلوا الى بعوثه فامرهم ان يصمدوا لابن بديل وبعث حبيب بن مسلمه
في ميسرته فحمل بهم ومن كان معه على ميمنة الناس فهزمهم وانكشف اهل العراق
من قبل الميمنة حتى لم يبق منهم الا ابن بديل في مائتين الى الثلثمائة من القراء قد اسند
بعضهم ظهره الى بعض وانجفل الناس فامر علي سهل بن حنيف فاستقدم فيمن كان
معه من اهل المدينة فاستقبلتهم جموع لاهل الشام عظيمه فاحتملتهم حتى
الحقتهم بالميمنة الى موقف علي في القلب فمر علي ومعه بنوه نحو الميسرة قال
فوالله اني لارى النبل تمر بين عاتقه ومنكبه وما من بنيه احد الا يقيه بنفسه
فيتقدم فيحول بين اهل الشام وبينه فياخذ بيده اذا فعل ذلك فيلقيه بين يديه
او من وراءه فبصر به احمر مولى ابي سفيان او عثمان فعرفه فقال علي ورب الكعبه
قتلني الله ان لم اقتلك او تقتلني فاقبل نحوه وخرج اليه كيسان مولى علي
فاختلفا ضربتين فقتله مولى بني اميه وينتهزه علي فيقع بيده في جيب درعه
فجبذه ثم حمله على عاتقه فكاني انظر الى رجليه تختلفان على عنق علي ثم ضرب

به الارض فكسر منكبه وعضده وشد ابنا علي الحسين ومحمد عليه فضرباه باسيافهما
حتى اذا قتلاه اقبلا الى ابيهما والحسن قائم معه فقال له يا بني ما منعك ان تفعل
كما فعل اخواك فقال كفياني يا امير المؤمنين ۝ ثم ان اهل الشام دنوا منه
فوالله ما ان يزيده قربهم منه سرعة في مشيته فقال له الحسن ما ضرك لو سعيت
حتى تنتهي الى هؤلاء الذين قد صبروا لعدوك من اصحابك فقال يا بني ان لابيك
يوما لا يعدوه ولا يبطي به عنه السعي ولا يعجل به اليه المشي وان اباك لا يبالي
وقع على الموت او وقع عليه الموت ۝ ولما اقبل علي نحو الميسرة مر به
الاشتر يركض نحو الفزع قبل الميمنة فقال له علي يا مالك قال لبيك يا امير المؤمنين
قال ائت هؤلاء فقل لهم اين فراركم من الموت الذي لن تعجزوه الى الحياة
التي لا تبقى لكم فمضى فاستقبل الناس منهزمين فقال لهم هذه الكلمات
التي قالها علي لهم ثم قال الي الي ايها الناس انا مالك بن الحارث ثم ظن
انه بالاشتر اعرف في الناس فقال انا الاشتر الي الي فاقبلت طائفة اليه

وذهبت عنه طايفة فقال عضضتم بهن اباكم ما اقبح ما قاتلتم منذ اليوم
يا ايها الناس اخلصوا الى مذحجا فاقبلت اليه مذحج فقال عضضتم بصم الجندل
ما ارضيتم ربكم ولا نصحتم له في عدوكم وكيف ذلك وانتم ابنا الحرب واصحاب
الغارات وفتيان الصباح وفرسان الطراد وحتوف الاقران ومذحج الطعان
الذين لم يكونوا يسبقوا بثارهم ولا تطل دماوهم ولم يعرفوا في موطن بخسف
فانتم حد اهل مصركم وما تفعلوا في هذا اليوم فانه ماثور بعد اليوم
فاتقوا ماثور الحديث واصدقوا عدوكم اللقا فان الله مع الصادقين والذي
نفس مالك بيده ما من هولا واشار بيده الى اهل الشام على مثل جناح
بعوضة من محمد صلى الله عليه انكم ما احسنتم القراع فاجلوا سواد وجهي
يرجع في وجهي دمي عليكم بهذا السواد الاعظم فان الله لو قد فضه تبعه
من بجانبيه كما يتبع موخر السيل مقدمه قالوا خذ بنا حيث احببت فصمد
نحو عظمهم مما يلي الميمنة واخذ يزحف اليهم ويردهم ويستقبله شباب من

همدان وكانت همدان يوميذ ثمان مايه مقاتل قد انهزموا آخر الناس وكانوا صبروا
في الميمنة حتى اصيب منهم مايه وثمانون رجلا وقتل منهم احد عشر رئيسا يتتابعون على
الراية فخرجوا الى الاشتر وهم يقولون ليت لنا عديدنا من العرب يحالفونا على الموت
ثم نستقدم نحن وهم فلا ننصرف حتى نقتل او نظهر فقال لهم الاشتر الي
انا احالفكم واعاقدكم على ان لا نرجع ابدا حتى نظفر او نهلك فاتوه فوقفوا
معه وزحف الاشتر وثاب اليه الناس واخذ لا يصمد لكتيبة الا كشفها
وبيده صفيحة يمانية اذا طاطاها خلت فيها ما منصبا واذا رفعها كاد يغشي
البصر شعاعها وجعل يضرب بسيفه ويقول الغمرات ثم ينجلينا فبصر به الحرث بن
جمهان والاشتر مقنع في الحديد فلم يعرفه فدنا منه وقال جزاك الله خيرا
منذ اليوم عن امير المومنين وجماعة المسلمين فعرفه الاشتر فقال يا ابن جمهان
ان مثلك لا يتخلف عن مثل موطني هذا فعرفه ابن جمهان لما كلمه وكان من اعظم
الرجال واطولهم فقال له جعلت فداك لا والله ما علمت بمكانك الا الساعة

ولا أفارقك حتى أموت   ورآه أيضاً منقذ وحمير ابنا قيس الناعطيان
فقال منقذ لحمير ما في العرب مثل هذا إن كان قتاله على نيته فقال له حمير وهل
النية إلا ما تراه يصنع قال إني أخاف أن يكون يحاول ملكاً   وحمل الأشتر
في بعض حملاته فكشف أهل الشام حتى ألحقهم بصفوف معاوية وذلك بين
صلاة العصر والمغرب وانتهى إلى عبد الله بن بديل وهو في عصبة من القراء بين
المائتين إلى الثلاثمائة وقد لصقوا بالأرض كأنهم جثى فكشف عنهم أهل الشام
فأبصروا إخوانهم قد دنوا منهم فقالوا ما فعل أمير المؤمنين قالوا حي صالح يقاتل
في الميسرة يقاتل الناس أمامه فقالوا الحمد لله قد كنا ظننا أن قد هلك وهلكتم
وقال عبد الله بن بديل لأصحابه استقدموا بنا رحمكم الله فأرسل إليه الأشتر ألا
تفعل اثبت للناس وقاتل فإنه خير لهم وأبقى لك ولأصحابك فعصاه ومضى كما هو نحو
معاوية وحوله كأمثال الجبال الحديد وفي يده سيفان وقد خرج فهو أمام أصحابه
فأخذ كلما دنا منه رجل قتله حتى قتل سبعة ودنا من معاوية فنهض إليه الناس

من كل جانب وأحيط به فقاتل حتى قتل وقتل ناس من أصحابه ورجعت طائفة قد
فبعث جرحوا منهزمين فبعث الأشتر ابن جمهان فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من كان
نجا من أصحاب ابن بديل حتى نفسوا عنهم وانتهوا إلى الأشتر فقال لهم ألم يكن رأيي
خيراً لكم من رأيكم لأنفسكم ألم آمركم أن تثبتوا مع الناس وكان معاوية لما رأى
عبد الله بن بديل يضرب قدماً قال أترونه كبش القوم فلما قتل أرسل إليه لينظر
من هو فلم يعرفه أحد فأقبل إليه حتى وقف عليه فقال بلى هذا عبد الله بن بديل
هذا والله كما قال

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها ... وإن شمرت يوماً به الحرب شمرا

ثم إن الأشتر حمل حملة أزال أهل الشام عن موقفهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسة
المعقلة بالعمائم حول معاوية ثم شد عليهم شدة أخرى فصرع الصفوف الأربعة
المعقلين حتى انتهوا إلى الخامس حول معاوية فدعا معاوية بفرسه فركبه
وكان يقول أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن الإطنابة

ابى لى عفتى وابى بلائى واخذى الحمد بالثمن الربيح

واجشامى على المكروه نفسى واقدامى على البطل المشيح

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى

ممنعني الفرار

تمت المجلدة الاولى من كتاب تعاقب الهمم

وتجارب الامم والحمد لله وهو حسبنا ونعم الوكيل

وصلواته على محمد وآله اجمعين

ويتلوه في المجلدة الثانية وان عليا لما رأى ميمنته قد عادت الى مواقفها

ومصافها وكشفت من بازائها اقبل حتى انتهى اليهم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين وصلواته على محمد النبي وآله الطاهرين وحسبنا الله ونعم المعين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي

العظيم

طه [illegible]

فرغ من انتساخه محمد بن على بن محمد ابو طاهر البلخى في ربيع الاول سنة [illegible]

والحمد لله

فرغ من انتساخه [illegible] في ذى الحجة سنة [illegible]